

محمد ضيف الله

نوافذ على تاريخ نفزاوة

تونس 2008

نوافذ على
تاريخ نفزاوة

محمد ضيف الله

نوافذ على تاريخ نفزاوة/ محمد ضيف الله/ تونس: المغاربية للطباعة

أوت 2008. 232 ص ؛ 24 سم.

ر د م ك: 0-0468-9973-.978

1- تاريخ تونس. 2- تاريخ المجتمعات المحلية. 3- الجنوب التونسي

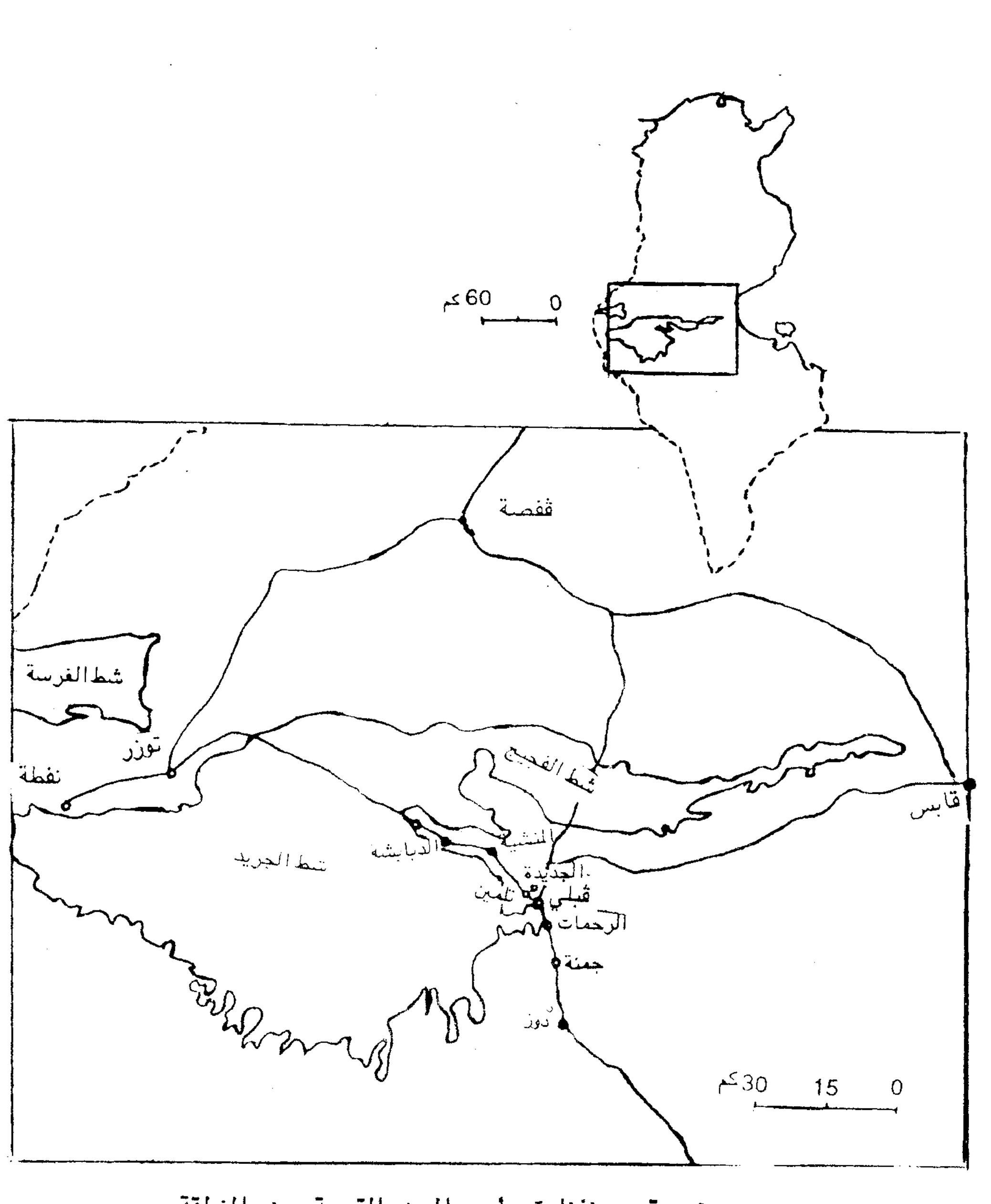
صورة الغلاف:

بريشة الرسام الأستاذ رضا شنوف، بتاريخ 2000

محمد ضيف الله

نوافذ على

تاريخ نفزاوة



بعض قرى نفزاوة وأهم المدن القريبة من المنطقة

الفهرس

المقدمة

نفزاوة هو اسم قبيلة بربرية بترية أطلق على المنطقة التي كانت تتخذها مجالا لظعنها واستقرارها في أزمنة لا قاع لها. وفي حين تفرعت تلك القبيلة إلى بطون وعشائر تفرق بعضها في كامل شمال إفريقيا وصولا إلى بلاد الأندلس كما سنرى، وتعرّب من بقي منها بالمنطقة، استقبلت نفزاوة عناصر بشرية جديدة اتخذتها مستقرا وملجأ في فترات مختلفة من التاريخ، مستفيدة من أهمية موقعها البعيد عن المسالك الكبرى والمحمي وراء الشطوط والمفازات وكثبان الرمال.

وفضلا عن ذلك فإن هذه المنطقة اكتسبت أهميتها التاريخية والاستراتيجية وحتى البشرية من عنصرين أساسيين يمكن اعتبارهما أصل الحياة وسر الوجود وهما المياه والنخيل. فإذا كان الله قد جعل من الماء كل شيء حي، فإن تلك الحياة تصبح ذات نكهة خاصة بالنسبة لمنطقة صحراوية جافة ومنعزلة إذ تحيط بها سباخ الملح شمالا وغربا وكثبان الرمال جنوبا. وكانت عيون نفزاوة الكثيرة وراء غراسة النخيل ونشوء الواحات. وبالفعل يمكن اعتبار النخيل شاهدا رئيسيا على تاريخ المنطقة وعلى الوجود البشري بها، إذ حماها خلال الأزمنة الغابرة من كثير من المساغب والمجاعات التي كانت وتيرتها أكبر في مناطق أخرى غير بعيدة.

ولعله من المفارقة أن منطقة بمثل هذه الإمكانيات لم تستطع إلى وقت قريب أن تغري المؤرخين والباحثين للكتابة عنها، وذلك يعود في اعتقادنا إلى اندراس المعالم وشح المصادر نظرا لبعد المنطقة عن المراكز الحضرية الكبرى حيث تصنع الأحداث ويكتب التاريخ. أما أول من كتب دراسة تاريخية شاملة حول منطقة نفزاوة فهو الفرنسي بيار مورو (Pierre Moreau) ضمن كتابه حول المنطقة والذي ظهر عام 1947، وبذلك فقد فتح مورو بابا كان موصدا تماما، ويسجل له قصب السبق في هذا المجال. ومع ذلك، فإن تلك الدراسة على أهميتها تستوجب منا إبداء الملاحظتين التاليتين:

-أن مورو لم يعتمد على العديد من المصادر الهامة، ولعل ذلك يعود إلى حاجز اللغة من جهة وعدم إتاحة بعض تلك المصادر نظرا لعدم طبعها ونشرها من جهة أخرى، بما حال دون اطلاعه على العديد منها، ويكفي أن نشير في هذا المجال إلى المصادر الإباضية التي لم يطلع عليها البتة.

-أن دراسة بيار مورو اصطبغت بنظرة استعمارية واضحة، إذ حاول أن يبين أن نفزاوة لم تعرف الازدهار إلا في العهد الروماني ثم في العهد الاستعماري الفرنسي، وقد فصلت بينهما الفترة العربية الإسلامية التي تميزت بالفوضى والاضطراب والظلام.

غير أن إبداء تينك الملاحظتين لا يؤثر البتة على القيمة المصدرية لكتاب بيار مورو الذي يعتبر بالفعل أحد المصادر المهمة لكل ما يتعلق بالحياة الاقتصادية والاجتماعية لنفزاوة خلال الفترة المعاصرة وصولا إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية. وهو من هذه الناحية بالذات يعتبر مكملا الدراسات الاثنتوغرافية أو النوتيسات (Notices) التي أعدها ضباط الجيش الفرنسي عن المنطقة خلال العهد الاستعماري، وخاصة منهم نانسي (Nancy) ودمبريجيو (Deambrogio) وبيشفال (Bechevel).

أما المثقفون من أبناء المنطقة، فتعود أول محاولة لهم لكتابة تاريخ المنطقة، إلى أواسط ستينات القرن العشرين، عندما قام عدد من المعلمين في إطار "لجنة البحوث التربوية بقبلي" بإعداد دراسة شاملة حول نفزاوة، لكن هذه المحاولة كانت تشكو بعض الضعف إذ :

-أنها تفتقد إلى التحليل، فاكتفت بجمع بعض الأحداث الواردة كشذرات في المصادر التاريخية المعروفة وسردها متسلسلة، ثم أنها تخطت مراحل وفترات تاريخية هامة، من ذلك أنها لم تتعرض ولو بالإشارة إلى فترة الوجود الإباضي بالمنطقة.

-أنها تأثرت بمنهج وتخطيط كتاب بيار مورو السالف الذكر فلم تقتصر على الجانب التاريخي البحت، وإنما غطت جوانب أخرى مثل جغرافيا المنطقة والحياة الاقتصادية بها.

لكن الأهم من ذلك أن المنطقة بدأت تلفت نظر الباحثين الجامعيين منذ مطلع ثمانينات القرن العشرين، وقد بلغ عدد الرسائل الجامعية التي قدمت بأقسام التاريخ بالجامعة التونسية السبعة، كان أولها البحث الذي قدمه سنة 1982 جمال بن طاهر لنيل شهادة الكفاءة في البحث وكان تحت عنوان : "الملكية بنفزاوة من خلال دفاتر القانون (1852-1862)". وتلاه بعد عشر سنوات البحث الذي قدمه بلقاسم بن حسن، وهو من أبناء المنطقة، حول موضوع : "الأوضاع العامة بنفزاوة في عهد محمد الصادق باي من 1859 إلى 1882". وفي سنة 2003-2004 قدم بحثان لنيل شهادة الدراسات المعمقة أحدهما لحسن بن علي حول "واحة قبلي وعلاقتها بالسلطة المركزية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر"، والآخر لصولة رجب حول "قبيلة نفزاوة ودورها في تاريخ المغرب الوسيط، من الفتح إلى القرن الخامس الهجري 7-11م". وفي السنة الموالية 2004-2005 قدم بحثان في إطار الماجستير من قبل كل من محمد الزيراوي وموضوعه: "نحو إنشاء متحف للتراث الشعبي بواحات نفزاوة" وبلقاسم بنخالد حول : "بلاد نفزاوة في العصر الوسيط : دراسة تاريخية أثرية". وفي سنة 2007 قدم إبراهيم الزاهد، بحثا لنيل شهادة الماجستير أيضا تناول فيه "العلاقات بين المجتمعات الواحية بين الجنوب الغربي التونسي والجنوب الشرقي الجزائري في القرن التاسع عشر". كذلك فإن بعض المؤرخين الجامعيين من أبناء المنطقة قاموا بالعديد من البحوث حولها في العهدين الحديث والمعاصر، ومن بينهم د. الشيباني بنبلغيث ود. عميرة علية الصغير بالإضافة إلى ما كتبناه شخصيا.

وفي نفس الإطار لا يفوتنا أن نشير إلى أن الدعوة لعقد ندوة علمية بمدينة قبلي في بداية 2001 حول "نفزاوة الأرض والتاريخ"، قد لقيت استجابة من أكثر من عشرين باحثا جامعيا ينتمون إلى اختصاصات متعددة، ولو قدر لها أن تنعقد آنذاك لساهمت في تعميق تاريخ المنطقة في مختلف العهود التاريخية. ولا شك أن تعليق هذه الندوة إلى أجل غير مسمى وبدون أي مبرر يذكر، يعتبر خسارة للبحث العلمي وللمنطقة معا. غير أنه لم يؤدّ بطبيعة الحال إلى إيقاف حركة البحث حول تاريخ نفزاوة، والدليل على ذلك البحوث الجامعية والأسماء التي أشرنا إليها أعلاه، فضلا عن نفاد كتابنا هذا من السوق، وإن الطلب عليه هو الذي جعلنا نطبعه للمرة الثانية. وقد رأينا أن تكون هذه الطبعة مزيدة ومنقحة اعتبارا لما صدر منذ طبعته الأولى سنة 2000 من كتابات

جديدة معمقة، فضلا عما وصلنا من ملاحظات عديدة حول تلك الطبعة إن في الشكل أو في المضمون.

لقد أردنا لهذا الكتاب أن يكون شاملا وعاما يرسم الخطوط العريضة لتاريخ نفزاوة منذ ما قبل التاريخ إلى سنة 1956. وقد جعلنا الفصل الأول منه تمهيديا إذ يحاول التعريف بنفزاوة القبيلة ببطونها وعشائرها وتحركات هذه القبيلة الضخمة وتتبعها إلى مضاربها الجديدة، كما حاولنا أن نضع نفزاوة كمنطقة تاريخية في جغرافيتها.

أما الفصلان الثاني والثالث فقد خصصناهما للفترة السابقة للتاريخ العربي الإسلامي وهي فترة يتداخل فيها ما قبل التاريخ مع التاريخ القديم. وهي من جهة أخرى تؤكد على قدم الوجود البشري بالمنطقة، إذ وجد الإنسان البدائي بها بل إن أقدم آثار بشرية وجدت بالبلاد التونسية تم اكتشافها بهذه المنطقة، كما خضعت نفزاوة لتأثيرات حضارية شرقية ثم للوجود الروماني.

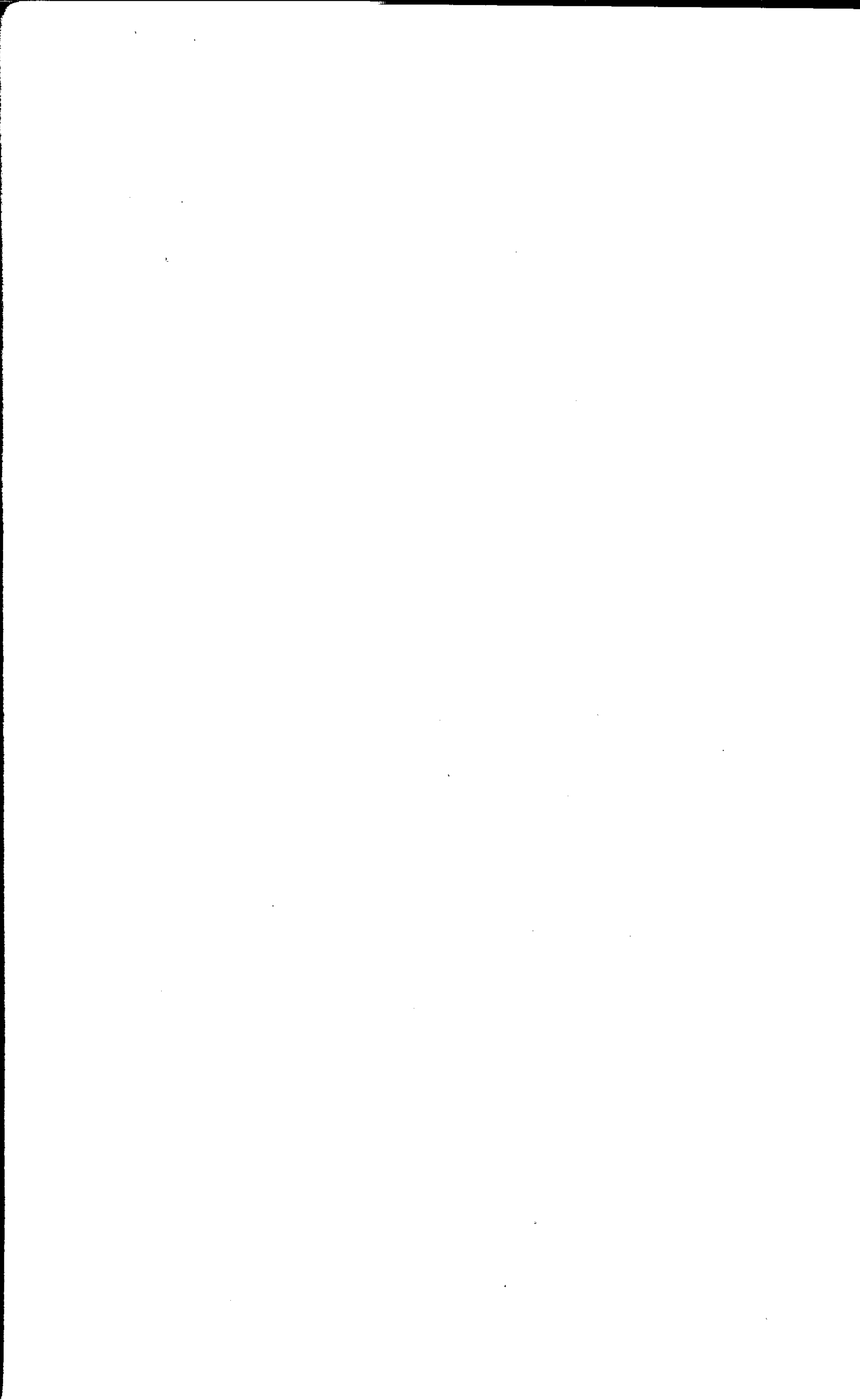
وخصصنا الفصول الرابع والخامس والسادس والسابع لنفزاوة العربية الإسلامية، وهي فترة أجبرنا على تحديدها بالقرن 10هـ /16م، تعرضنا فيها بأكثر ما يمكن من التفصيل إلى جوانب أغفلها غيرنا وهي خاصة : فتح نفزاوة وخضوعها للمذهب الخارجي وكذلك الحياة الاقتصادية بها حتى القرن 10هـ /16م.

أما الفصول الثامن والتاسع والعاشر فهي تغطي التاريخ الحديث والمعاصر، وقد أفردنا الأول من بينها للفترة العثمانية منذ القرن 10هـ/16م إلى 13هـ/19م. كما خصصنا الفصلين الموالين للجوانب السياسية والاقتصادية والبشرية لنفزاوة المعاصرة (1881-1956)، غير أن التاريخ الحديث والمعاصر يبقى قابلا لمزيد البحث والإثراء والإضافة، وذلك اعتمادا على ما يمكن أن توفره أرصدة الأرشيف الوطني وغيره من الأرشيفات الفرنسية من وثائق تهم المنطقة. وقد أنجزت في هذا الإطار عدة بحوث من قبل جامعيين تونسيين أشرنا إلى بعضها أعلاه.

لقد ألحقنا بتلك الفصول قاموسا وجيزا (Lexique) يتضمن التعريف بالأعلام والجماعات والأماكن وغيرها، بما من شأنه أن يلقي أضواء مكملة لما ورد في هذا الكتاب.

أخيرا، عندما يذكر تاريخ نفزاوة لا بد من الإشارة إلى أن عددا من أبنائها شغفوا به، فحفظوا البعض من فقراته ورددوها في المقاهي والنوادي، ويكفي أن نذكر منهم المرحومين المنوبي العزابي وأحمد بن سليمان بلاغة، وكذا الهاشمي بن سوف ومحمد ميلود... ولعلي بهذا البحث أكون قد واصلت رسالتهم وحققت البعض من أحلامهم، ولا يفوتني أن أقدمه لهم هدية متواضعة ؛ كما أنوه ببعض المعمرين الذين شغفت بمرافقتهم وتصفح المكتبة التي يشكلونها وخاصة منهم المرحوم الحاج الطاهر بن خالد ورشيد شمام والمرحوم محمد شمام (بابا) وغيرهم.

كما أهدي هذا الكتاب خاصة إلى روح أستاذي البشير يعقوب الذي تفضل بقراءة المسودة الأولى، وكذا إلى أخي علي بن حمادي الذي اطلع هو أيضا على تلك المسودة وحرص على أن يرى هذا الكتاب النور، وساهم بالتعريف به بعد ذلك، كما أهديه إلى روح الأستاذ إبراهيم الأسود وسيدي مصطفى الصغيرون وأستاذي العربي بن حمادي على مؤازرتهم لي، وإلى والدي علي بن ضيف الله، وإلى زوجتي سميرة وإلى بناتي بلقيس وملاك وندى.



الفصل الأول

نفزاوة قبيلة ومنطقة

ماذا نقصد بنفزاوة؟ هل هي القبيلة ذات الحدود المفتوحة والتي تتسع أو تنحسر تبعا لحدة سيوف رجالها ورماحهم؟ أم هي المنطقة التي تحمل هذا الإسم منذ عدة قرون والتي تقع جنوب وجنوب شرقي شط الجريد؟ تلك هي الإشكالية التي تفرض نفسها في بداية هذا الكتاب. ولا شك أن معالجتها ليست سهلة ولا ميسورة، نظرا إلى إغضاء المصادر والمراجع في كثير من الأحيان عن المنطقة والقبيلة معا، ولا تكاد تجود علينا إلا ببعض الجمل الشحيحة والمقتضبة. ومن هنا فإن مهمتنا تتمثل في القيام بحفريات في تنظيم اجتماعي منقرض وفي منطقة جغرافية معينة ومحددة ولكنها بعيدة عن المراكز الحضرية.

1- نفزاوة القبيلة :

حملت منطقة نفزاوة اسم القبيلة التي كانت تتخذها موطنا ونقطة ارتكاز. وفي هذا الإطار يذكر التجاني ويجاريه في ذلك الوزير السراج أن نفزاوة هي "اسم نقل إلى الموضع من اسم القبيلة التي سكنت به في أول الدهر" ([1]) وفي ذلك إشارة إلى قدم هذه القبيلة من جهة واتخاذها من المنطقة مجالا ووطنا من جهة أخرى، غير أنها بارحته فيما بعد لأسباب مختلفة، واستقرت في مناطق من بلاد المغرب والأندلس.

ولكن قبل ذلك متى ذكرت هذه القبيلة للمرة الأولى؟ يبدو أن ذلك وقع فعلا في بداية القرن الأول للميلاد، إذ في سنة 29-30 ب.م أي في عهد الإمبراطور الروماني تيبريوس (Tiberius) (41-37 ب.م) وقع تحديد أرض قبيلة **النبجني** قرب شط

([1]) التجاني (أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد)، **رحلة التجاني**، تقديم ح.ح.عبد الوهاب، تونس 1981، ص 143 وكذلك الوزير، (محمد السراج)، **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، ج 1، تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة، تونس 1970، ص 383.

الفجيج، وحملت البلدة التي استقر بها أو حولها زعيم القبيلة اسم Nybgeniorum Civitas ([2])؛ ويبدو أن قبيلة النبجني هذه هي نفسها قبيلة نفزاوة المعروفة منذ بداية العصور الإسلامية، وإنما تحول حرفا الباء والجيم في الكلمة الأولى إلى فاء وزاي. ويذهب أحد الباحثين في هذا الإتجاه ليرجح أن اسم قبيلة النبجني كان ينطق، منذ ذلك العهد من قبل سكان المنطقة، نفزاني ([3]).

أما في الكتابات العربية، فقد احتلت قبيلة نفزاوة مكانة هامة ضمن شجرة القبائل البربرية، إلا أن الاختلاف كان حول أصولها، وفي هذا الإطار، برز اتجاهان:

الاتجاه الأول : ومن بين ممثليه التجاني الذي اعتبر أن نفزاوة هم بنو نفزاو بن بر بن قيس عيلان بن الياس بن مضر بن نزار، وبشيء من الإختلاف يذكر الوزير السراج هذا النسب ([4]). وهذا الإتجاه في نسب نفزاوة يرجع أصولها الجغرافية إلى بلاد المشرق والإثنية إلى العرب المستعربة وتحديدا إلى عدنان. وفي هذا الاتجاه يذكر التجاني أن زناتة كلها تفرعت من نفزاوة وأنهم "في الأصل عرب، وإنما تبربروا بمجاورتهم للبربر من المصاميد ومخالطتهم لهم" ([5]). ومهما يكن أمر هذه الاتجاه، فإننا نبدي إزاءه الملاحظتين التاليتين:

1- أن الروايات التي تحاول أن تركز على الأصل العربي لقبيلة نفزاوة أو بطن من بطونها أو حتى البربر بصفة عامة قد تكون محاولة من السكان الأصليين للاندماج في العنصر العربي الفاتح وذلك بإرجاع العنصرين إلى أصل واحد.

2- أن قدوم أوائل السكان إلى شمال إفريقيا من المشرق أمر منطقي خاصة بالنسبة للجزء الشرقي منها نظرا للامتداد الجغرافي بين الرقعتين، ولعله في هذا الإطار قدم الفينيقيون منذ نهاية الألف الثانية ق.م، كما جاء بنو هلال وسليم في القرن 5هـ/11م.

([2]) Carton (L), "Nybgenii et Nefzaoua", in, **Revue Tunisienne**, 1914, I, pp: 209-210.

([3]) **Ibid,** p : 213.

([4]) التجاني، **الرحلة... نفس المصدر**، ص 143 ؛ وكذلك : الوزير السراج، **الحلل**، ج.1، ص 383.

([5]) التجاني، **الرحلة**، **نفس المصدر**، ص 143.

الإتجاه الثاني : ومن بين من يمثله ابن خلدون الذي أورد عديد الروايات التي ترجع البربر إلى أصل عربي ثم انتقدها جميعا واستنتج أنها مجرد مزاعم "والحق الذي شهد به المواطن والعجم أنهم بمعزل عن العرب إلا ما تزعمه نسابة العرب في صنهاجة وكتامة وعندي أنهم من إخوانهم والله أعلم" ([6]). وبالنسبة لنفزاوة تحديدا لم يربطها ابن خلدون بجد عربي، وإنما اكتفى بنسبتها إلى "تطوفت أو توطفت بن نفزاو بن لوا الأكبر بن زحيك"، وعند التعرض إلى بطون هذه القبيلة ذكر من بينها مكلاتة وأضاف ما يلي: "ويقال إن مكلاتة من عرب اليمن وقع إلى توطفت صغيرا فتبناه وليس من البربر" ([7])، وهو بذلك يفرق بين أصول البربر والعرب، ويصنف قبيلة نفزاوة ضمن القبائل البربرية. أما عن الأصول الجغرافية للبربر عموما فيذكر: "والحق الذي لا ينبغي التعويل على غيره في شأنهم أنهم من ولد كنعان بن حام بن نوح"، وقد قدموا إلى المغرب من الشام بعد هزيمتهم أمام بني إسرائيل. وهو بذلك يلتقي مع المؤرخ البيزنطي بروكبيوس القيصري [Procopius de Caesare] (ق 6م) الذي يذكر أن الموريين [Maurousiri] أي سكان المغرب ينحدرون من القبائل الكنعانية التي تركت سواحل الشام بعد غزوها من قبل اليهود بقيادة الملك يوشع في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ([8]). وفي نفس الاتجاه أيضا ينقل الوزير السراج عن الشريف الإدريسي رواية مفادها أن جالوت الذي قتله النبي داود إنما هو ضريس بن الأصغر بن نفزاو ([9])، وهو ما يعني أن **نفزاو** فلسطيني، ثم قدم أحفاده من هناك إلى شمال إفريقيا.

من جهة أخرى تحتل نفزاوة مكانة بارزة ضمن شجرة القبائل البربرية كما ذكرنا، وقد نسبها ابن خلدون إلى زحيك بن مادغيس الأبتر جد البربر البتر، ومنه انحدرت

([6]) **المصدر نفسه**، ص 97.

([7]) ابن خلدون (عبد الرحمن)، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ج 6، ص 114.

([8]) Procopius of caesarea, **History of the wars** IV, 10.13-29. cité par : Stieglitz (R) "Neith, Athena and Tinnit: Cultural Diffusion and the Maghreb Antiquity'', in, **Les Cahiers de Tunisie**, T39, N°117-118, 3è et 4è trim. 1981, p. 469.

ويبدو أن بروكبيوس وابن خلدون قد اعتمدا على نفس المصادر اليهودية.

([9]) الوزير السراج، **الحلل**، **نفس المصدر**، ص 383.

أربعة بطون هي : نفوسة وأداسة وضريسة وبنو لوا. ولمعرفة موقع نفزاوة في هذه الشجرة، قمنا بوضع الجدول التالي اعتمادا على روايات صاحب العبر (ج6، ص89 وما بعدها):

	بطون البربر		
	المستوى الأول	المستوى الثاني	المستوى الثالث
	1.أداسة	1.سفارة، 2.ضرية 3.اندارة، 4.هنزولة، 5.هداغة، 6.اوطيطة، 7.ترهنة	
	2.نفوسة	1.بنو زمور، 2.بنو مكسور، 3.ماطوسة	
البتر	3.ضريسة	1.مضغرة، 2.لماية، 3.صدينة، 4.كومية، 5.مديونة، 6.مغيلة، 7.مطماطة، 8.ملزوزة، 9.مكناسة، 10.دونة	
	4.بنو لوا الأكبر	***1.نفزاوة***	*1.ولهاصة، 2.غساسة، 3.زهيلة، 4.ورسيف، 5.زاتيمة 6.مجرة، 7.مكلاتة، 8.وركول، 9.مرنيسة، 10.ورد غروس، 11.وردن*
		2.لواتة	1.سدراتة، 2.مزاتة
البرانس	1.ازداجة، 2.مصمودة، 3.اوربة، 4.عجيسة، 5.كتامة، 6.صنهاجة، 7.أوريغة، 8.لمطة، 9.هسكورة، 10.كزولة	-هوارة	

من خلال ما سبق ذكره، يمكن التأكيد على أن الاهتمام بنسب نفزاوة وبطونها في الكتابات العربية نقلا عن النسابين البربر يدل على أهميتها كقبيلة في تاريخ المغرب الإسلامي، وإن لم تبلغ أهمية قبائل أخرى مثل كتامة وصنهاجة اللتين ناصرتا الفاطميين أو لمتونة التي أقامت الدولة المرابطية.

أما بالنسبة لمجالات قبيلة نفزاوة؛ فقد كانت مثل القبائل البترية الأخرى تعيش على التنقل والترحال في المناطق الصحراوية والحارة عموما بشمال إفريقيا ؛ ويؤكد هذا المعنى ابن خلدون إذ يذكر أن "إفريقية وطرابلس كانت ديارا لنفزاوة وبني يفرن ونفوسة ومن لا يحصى من قبائل البربر" ([10]). وقد كانت القبائل البترية عموما تتخذ من المغرب الأدنى وطنا لها، لكن يبدو أن بعض بطون نفزاوة توغلت غربا حتى وصلت بلاد الأندلس فضلا عن المغربين الوسط والأدنى، ويمكن تبين ذلك من خلال تحركات بطونها استنادا إلى ابن خلدون دائما ([11]):

-1- ورفجومة : وهي تتحدر من ولهاصة، كانت في القرن 2هـ بجبل أوراس، ومن هناك هجمت على القيروان سنة 140هـ، ثم استقرت لفترة وجيزة في المغرب الأوسط بمدينة طبنة، لكن بعد عدة انتفاضات افترقت هذه القبيلة وتشتتت جموعها بين الأندلس والمغرب الأوسط إذ استقر :

- بعضها بالأندلس ووصل أفراد منها إلى مكانة هامة بقرطبة.

- واستقر البعض الآخر بالمغرب الأوسط بمرماجة وخاصة على السواحل الغربية والشرقية معا. إذ كان هناك فرع بساحل تلمسان يرأسه في أواسط ق 8هـ ابن عبد المكلف ؛ كما نجد بني عريف بساحل عنابة، والذين يذكر ابن خلدون أنهم تعربوا إذ أنهم "يركبون الخيل ويأخذون مذاهب العرب في زيهم ولغتهم وسائر شعائرهم".

-2- زاتيمة : بساحل برسك.

-3- غساسة : بساحل بطوية بالمغرب الأقصى.

([10]) ابن خلدون، **نفس المصدر**، ص 103.

([11]) **المصدر نفسه**، ص 115-116.

-4- زهيلة : بنواحي بادس بالمغرب الأوسط، ومنها ينحدر الولي أبو يعقوب البادسي.

-5- مرنيسة : بإفريقية.

-6- سوماتة : بنواحي القيروان، وقد عرف من بينهم منذر بن سعيد قاضي الجماعة بقرطبة في القرن 4هـ، وهو أحد ستة مشهورين بالعلم في البربر حسب تصنيف ابن خلدون ([12]).

وبالتالي فقد كانت قبيلة نفزاوة مشتتة في كامل المغرب الإسلامي والأندلس، إذ اختارت أهم بطونها المغامَرة والتوجه نحو أراضي جديدة ومراعي أخصب. أما من بقي منها فلا يعرف لها حسب تعبير ابن خلدون في القرن 8هـ "حي ولا مواطن إلا القرى الظاهرة المقدرة السير المنسوبة إليهم" ([13])، وربما نضيف إلى ذلك منطقة نفزة في الشمال الغربي التونسي.

من جهة أخرى، لم تبق منطقة نفزاوة حكرا على القبيلة وإنما سكنتها قبائل أخرى نذكر من بينها :

- 1. بعض القبائل البربرية التي تجاور قبيلة نفزاوة ([14]) وخاصة منها مزاتة التي كان قسم منها مستقرا جنوب شط الجريد بقلعة درجين ([15])؛

- 2. بعض القبائل العربية من بني سليم وخاصة الشريد وزغب وذلك منذ قدومها من المشرق العربي في القرن 5هـ، وينعت ابن خلدون من استقر منهم بنفزاوة بأنهم "كل من عجز عن الظعن وملكوا بها القفار والمياه وكثرت نفزاوة وهم لهذا العهد عامة أهلها" ([16])، وفي ذلك إشارة إلى إتمام تعريب المنطقة في ق 8هـ، وإلى امتدادها

([12]) **المصدر نفسه**، ص 106.

([13]) **المصدر نفسه**، ص 116.

([14]) ابن حوقل (أبو القاسم)، **كتاب صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت 1979، ص 93-94.

([15]) معمر (علي يحي)، **الإباضية في موكب التاريخ**، الحلقة الثالثة : الإباضية في تونس، بيروت 1966، ص 143.

([16]) ابن خلدون، **العبر**، **نفس المصدر**، ج.6، ص 116.

جغرافيا في اتجاه الجنوب حيث "القفار"، إذ كان سكانها الجدد من الأعراب متشـــبثين بحياتهم البدوية التي ترتكز على رعاية الإبل والأغنام.

– 3. أوربيون من أصل سرديني ([17]) حافظوا بعد الفتوحات الإسـلامية الأولـى وإلى ق 8هـ على الأقل على دينهم المسيحي مقابل جزية كانوا يؤدونهـا للمسـلمين، ولكن لا نعلم أهميتهم العددية ولا تاريخ اندماجهم بعد ذلك في المجتمع المحلي.

لقد كانت نفزاوة، في القرن 8هـ/14م مزيجا من العناصر البشرية المختلفة، ولـم تبق حكرا على القبيلة أو بعض بطونها وإنما أصبحت تفتقد صبغتها القبلية منـذ ذلـك الحين، بل لم يعد هناك فيما بعد من ينسب نفسه إلى قبيلة نفزاوة.

2- نفزاوة المنطقة.

ما هي الحدود الجغرافية لمنطقة نفزاوة ؟

يبدو أن حدود المنطقة استمدتها في البداية من حدود القبيلة المتحركة، ولـم تكـن بالتالي ذات حدود معينة. ويبدو أن المرة الأولى التي حددت فيها الأراضـي التابعـة لنفزاوة كانت سنة 29-30 ب م. ومن الممكن أن ذلك تم على حسـاب القبيلـة وقـد تجلت هذه المسالة في عهد ترايانوس (98-117)، إذ وقع تحديد أراضيها من جديـد وانحسرت الرقعة التي كانت قد حددت لها قبل سبعين عاما وأصبحت حـدودها تمـر شمالا بجبل العسكر أي على بعد 51 كم تقريبا من قفصة و46 كم من بلدة نفزاوة، أما مع قابس فإن الحد يقع إلى 60 كم غربي هذه المدينة ([18]). وإذ لم يقع توضيح الحدود الجنوبية والغربية فلأن الهدف من عملية المسح هو تعيين الحدود مع قـابس وقفصـة الرومانيتين وتوفير إمكانات وأراضي أهم لهما على حساب الملكية القبلية. أما قبيلـة نفزاوة فقد بقيت مفتوحة على الأراضي الجرداء في اتجاه الجنوب والغـرب، ومـن المؤكد أنها كانت تسيطر على شبه الجزيرة التي تقع بين شطي الفجيج والجريد.

أما في الكتابات العربية، فإن حدود نفزاوة تختلف من مصدر لآخر، إلا أنه يمكـن تصنيف تلك المصادر إلى مجموعتين:

([17]) **المصدر نفسه**، ص 116 وكذلك ص 419.

([18]) Carton, art. cité, p : 210

- *المجموعة الأولى* : هي مصادر تقحمها في بلاد الجريد، وحينئذ تتخذ بلاد الجريد مفهوما واسعا يتجاوز المفهوم المعاصر له، ونكتفي هنا بإيراد ثلاثة مصادر هي :

أ- **كتاب صبح الأعشى** لأبي العباس أحمد القلقشندي (756-821هـ/1355-1418م) : يعتبر هذا المؤلف أن بلاد الجريد تضم إضافة إلى قفصة وتوزر مدنا أخرى مثل المسيلة وبسكرة بالمغرب الأوسط وطرا بنفزاوة وغدامس بالصحراء ([19])، وبالتالي فهي تمتد غربا وجنوبا.

ب- كتاب **وصف إفريقيا** للحسن الوزان المعروف بجان ليون الإفريقي (ق.10هـ/16م) كان مفهومه لبلاد الجريد أقل اتساعا إذ اعتبرها تضم خمس مدن هي قفصة وتوزر والحامة وقابس ونفزاوة ([20])، وبالتالي فهي تضم كل مناطق الواحات بجنوب إفريقية.

ج- كتاب **الوصف العام لإفريقيا** لدي مارمول De Marmol (ق10هـ-16م) اعتبر أن إفريقيا تنقسم إلى ستة أجزاء، أحدها بلاد الجريد التي تمتد على المناطق المنتجة للتمور، أي أنها تضم جنوب المغرب الإسلامي من بلاد السوس على المحيط الأطلسي غربا إلى مصر شرقا. أما بلاد الجريد في حد ذاتها فهي تضم خمس مدن من بينها توزر وقفصة ونفزاوة، والملاحظ هنا أن دي مارمول استثنى نفطة إذ اعتبرها تابعة لبلاد الزاب ([21]).

غير أن هذا الإتساع في مفهوم الجريد يدل على عدم معرفة بالمنطقة، إذ أن أولئك الجغرافيين لم يزوروا المنطقة البتة، ومن هنا تأتي ضرورة الاعتماد على مصادر أخرى.

- *المجموعة الثانية* : وهي المصادر التي كانت أكثر اطلاعا على المنطقة وأدق وصفا لها، فكانت أقرب إلى الواقع ونورد منها ثلاثة مصادر هي :

([19]) القلقشندي (أبو العباس أحمد)، **كتاب صبح الأعشى**، ج.5، القاهرة 1915، ص 108.

([20]) L'Africain (J.L) **Description de l'Afrique**, traduit de l'italien par A. Epaulard, 2T, Paris 1956,T1, p : 8.

([21]) De Marmol, **Description générale de l'Afrique**, Trad. de Nicolas Perrot sieur d'Ablancourt, Paris 1667, Vol. 2, p : 24-25.

أ- كتاب **المسالك** لأبي عبيد البكري (ق.5هـ) الذي لم يزر المنطقة ولكن يبدو أنه نقل عن مصادر دقيقة، يذكر أن نفزاوة مدينة وهو يتفق في ذلك مع جغرافيين آخرين من بينهم ابن حوقل، لكن تلك المدينة غير تابعة لبلاد قسطيلية إذ يفصلهما شط الجريد الحالي، يقول البكري : "ومن نفزاوة تسير إلى قسطيلية وبينها أرض سواخة"، ويضيف أن من مدن قسطيلية توزر والحامة ونفطة ([22])، ولم يذكر غيرها من المدن بما يجعلها تنطبق على منطقة الجريد الحالية.

ب- **رحلة التجاني** الذي زار نفزاوة والجريد في بداية القرن الثامن هـ، يذكر أنه تفصل بينهما سبخة تاكمرت (شط الجريد) ([23])، ويعتبر أن لنفزاوة قاعدتان هما بشري وطرة، وينقل عن ابن شباط قوله إنها تشتمل على بلاد كثيرة. فهل كانت نفزاوة حينئذ تمتد على المنطقة التي تقع شمال قبلي فقط؟ أم أنها كانت تمتد إلى جنوبها أيضا؟ هذا ما لم يفصح عنه التجاني.

ج- **كتاب العبر** لابن خلدون : يفرق بين بلاد نفزاوة وبلاد الجريد التي تضم نفطة وتوزر وقفصة. وتسمى هاتان المنطقتان معا بلاد قسطيلية، ذلك لأن نفزاوة كانت في ق 8هـ تابعة إداريا إلى توزر ([24]). غير أنه تجدر الإشارة هنا إلى أن قسطيلية عند ابن حوقل هي مدينة توزر.

وبالتالي فقد كانت نفزاوة منطقة معروفة بذاتها وإن تبعت إداريا في فترة أو أخرى بلاد الجريد. ويبدو أن مما سمح بالفصل بين المنطقتين هو شط الجريد الذي كان صعب الإجتياز حسب ما تواتر في الكتابات العربية الإسلامية.

فما هي حدود منطقة نفزاوة؟

([22]) البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز)، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب** وهو جزء من كتاب **المسالك والممالك**، ط 2، الجزائر 1911، حققه وقدم له بالفرنسية دي سلان De Slane، ص 47-48.

([23]) التجاني، **الرحلة**، **نفس المصدر**، ص 154.

([24]) ابن خلدون، **العبر**، **نفس المصدر**، ج.6، ص 101 وكذلك ص 419.

1- شط الجريد الذي كان في القديم يسمى بحيرة تريتونيس (Lac Tritonis) ([25]) ثم سبخة تاكمرت أو فرعون. لعب هذا الشط دور الحد الشمالي والغربي لبلاد نفزاوة، وقد تواترت الروايات وحتى الخرافات لوصف صعوبة اجتيازه، مما يدل على حصانة المنطقة من هاتين الجهتين، ولعل من أقدم النصوص في ذلك ما كتبه أبو عبيد البكري في القرن 5هـ/11م : "ومن نفزاوة تسير إلى بلاد قسطيلية وبينها أرض سـواخة لا يهتدى للطريق فيها إلا بخشب منصوبة وأدلاء تلك الطريق بنـو موليـت لأن هنـاك ظواعينهم، فإن ضل أحد يمينا أو شمالا غرق في أرض ديماس تشبه فـي الرطوبـة بالصابون وقد هلكت فيها العساكر والجماعات ممن دخلها ولـم يـدر أمرهـا" ([26]). ويتحدث الحميري (ق 14م) في نفس المعنى عن صعوبة عبور شط الجريد قائلا "وإذا دخل المسافر هذا الطريق في أيام الصيف يكاد يهلك من حرارة الملح ويرجع ما فـي الزقاق من الماء العذب ملحاً لا يقدر على شربه إلا أن يمزج بالسكر أو العسل" ([27]). أما التجاني الذي قطع سبخة تاكمرت في بداية ق 8هـ فقد كتب ما يلي: "ووجدنا فيها معالم قائمة من جذوع النخل تمنع السالك من الخروج عن طريقهـا المسـلوك يمينـا وشمالا لأن ما على يمينها وشمالها من الأرض مغائض لا تثبت عليها قدم، ولا يسلكها أحد جاهل بها الا غاص فيها" ([28]). ويؤكد ابن خلدون وجود تلك المعـالم الخشـبية بالسبخة، وقد يكون أحد النساخين أدخل على نصه بعض التحريـف فاكسـبه طابعـا خرافيا طريفا، إذ جاء فيه أن ما يفصل بين قسطيلية ونفـزاوة "التماسـيح المشـهورة المبالغة في الإعتساف، ولها معالم قائمة من الخشب يهتدي بها السالك وربمـا يضـل فتبتلعه" ([29]). ويروي غيره العديد من الروايات الغريبة من ذلك مـا نقلـه الـوزير

([25]) من بين من دعم التطابق بين بحيرة تريتونيس القديمة وشط الجريد الحالي القبطان رودير صاحب مشروع البحر الصحراوي، انظر:

Roudaire (E) **La mer intérieure africaine et l'ancienne baie de Triton**, Extrait de, **la Nouvelle Revue,** du 1er Mai 1884 Paris 1884.

([26]) البكري، **المسالك**، **نفس المصدر**، ص 47-48.

([27]) الحميري (أبو عبد الله محمد)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، ص 535؛ نقلا عن الموقع التالي على الإنترنت : http://www.alwaraq.com/ ؛ أما النسخة الورقية فقد حققها إحسان عباس وصدرت ببيروت سنة 1975.

([28]) التجاني، **الرحلة**، **نفس المصدر**، ص 154-155.

([29]) ابن خلدون، **العبر**، **نفس المصدر**، ج 6، ص 419.

السراج عن محمد بن إبراهيم بن جامع المرداسي قوله : "سلكتة قافلة لنا فيهـا ألـف جمل ففر بعير منها عن الطريق وتبعه باقي الإبل فلم يكن أسـرع مـن أن سـاخت الأرض وغاض فيها الألف جمل، ثم عادت الأرض كما كانت وكأن لم يكن لتلك الإبل أثر " ([30]).

ومثل هذه الروايات تحذر من قطع شط الجريد بما جعل منطقة نفزاوة التـي تقـع خلفه في مأمن من الأخطار التي قد تأتي من الشمال عن طريق الشط، خاصـة وأنـه يمتد نحو الشرق بواسطة شط الفجيج وكذلك جبال الشارب.

2- أما شرقا : فإن ما يفصل منطقة نفزاوة عن قابس هي البحاير، وهي برية قفر تكاد تنعدم فيها حياة الإستقرار، وقد لاحظ ذلك التجاني واعتبرهـا الكومـت فيليبـي (Comte Filippi) الذي قطعها سنة 1829 الجزء الأخطر من الصحراء ([31]) وبالتالي فإن نفزاوة بعيدة عن التهديدات التي يمكن أن تأتيها من الطريق الساحلي.

3- ومن جهتي الجنوب والغرب تشكل الصحراء بكثبانها الرملية وقلة مياهها خير حصن أمام ما يمكن أن يتهدد نفزاوة من أخطار.

فمنطقة نفزاوة القديمة تنطبق على جزء كبير من نفزاوة الحالية أي ولايـة قبلـي. وقد كانت هذه المنطقة تاريخيا ملجأ لعدة مجموعات بشرية، وليس من الغريب عندئـذ أن احتفظت جالية مسيحية فيها بدينها حتى القرن 8هـ.

ولعل من مؤشرات عزلة نفزاوة عن بقية إفريقية عدم الإطناب عند ذكرها في كتب الجغرافيين والرحالة على عكس بلاد الجريد مثلا والتي تفتح مباشرة على القيـروان، بل إن بعض تلك الكتب تخلط بين هاتين المنطقتين ولعل ذلك يعود إلى :

أ- ارتباط نفزاوة إداريا في فترة أو أخرى ببلاد الجريد.

ب- الشبه بين المنطقتين في الظروف الطبيعية والاقتصادية والبشرية.

([30]) الوزير السراج، **الحلل**، **نفس المصدر**، ص 390-391.

([31]) Monchicourt (Ch.), **Relations inédites de Nyssen, Filippi et Calligaris (1788-1829, 1834)**, Paris 1929, pp. 258-259.

إن موقع نفزاوة المنعزل جعلها في أحيان كثيرة بعيدة عن التبعية المباشرة لإفريقية وعندما كانت تخضع لها لم تكن علاقتهما غالبا مبنية على العنف خاصة وأن حياة الإستقرار بالمنطقة لم تكن تسمح بذلك.

فما هو الدور الذي لعبته في تاريخ إفريقية؟ وكيف تفاعلت مع الأحداث والتيارات التي كانت تهز المنطقة في فترة أو أخرى؟ وما هي الصورة التي نقلتها لنا عنها مختلف المصادر؟

الفصل الثاني

عصور ما قبل التاريخ

إن ما يمكن التأكيد عليه في البداية هو صعوبة دراسة فترة ما قبل التاريخ بصفة عامة، ذلك أن المؤرخ لهذه الفترة يقيم بناءه الضعيف على أرض لا استقرار عليها ([1]). وإذا كانت المنطقة المدروسة مثل نفزاوة فإن الوضعية تصبح أدق وأصعب، ذلك أن هذه المنطقة بقيت نائية عن العمل المكثف للمنقبين والباحثين رغم الإمكانات العريضة التي يمكن أن توفرها، ناهيك أن الأدوات ما قبل التاريخية يمكن العثور عليها على سطح الأرض.

لقد بدأ الالتفات إلى فترة ما قبل التاريخ بنفزاوة منذ النصف الأول من القرن العشرين، وكان ذلك باحتشام كبير، وبقيت الصدفة تقوم بدور محدد في هذا الأمر إذ عثر بجنوب المنطقة على أدوات ما قبل تاريخية تتمثل في سهام وشفرات صغيرة (lamelles) حجرية ([2])، مما يدل على وجود الإنسان منذ عهود غابرة. وفي بداية الخمسينات قام الباحثان س. آرمبورغ C. Arambourg ور. كوك (R. Coque) بتنقيبات في مستوى الفيلافرنشي Villafranchien بعين برمبة بالسفح الغربي لجبل طباقة ([3])، على بعد بضعة كيلومترات شمال مدينة قبلي فعثروا على دلائل على وجود سحيق للإنسان بالمنطقة يعود إلى بدايات العصر الحجري القديم الأسفل. ووقع تأريخ الحجارة المنحوتة التي عثر عليها بذلك الموقع بنصف مليون سنة ([4])، قبل أن يقوم

([1]) جوليان (ش.أ)، **تاريخ إفريقيا الشمالية**، جزءان، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر تونس، ج.1، ص 40.

([2]) Moreau (P.), **Le pays des Nefzaouas**, IBLA, Tunis 1947, p54.

([3]) Arambourg (C.) et Coque (R.), "Le gisement villafranchien de l'Ain la Brimba (Sud Tunisien) et sa faune'', in, **Bulletin de la Société Géologique de France**, 6e. série, 1958.

([4]) الشريف (محمد الهادي)، **تاريخ تونس**، دار سراس للنشر، تونس 1980، ص 13.

الباحثان عبد الرزاق قراقب وعلي مطيمط بتقديم تاريخ أقدم يعود إلى أكثر من مليوني سنة ([5]).

أما بالنسبة للعصر الحجري الحديث فقد أشار هذان الباحثان إلى العثور بالمنطقة على أدوات يعود تاريخها إلى عشرين ألف سنة قبل الميلاد أي قبل ظهور الحضارة القفصية نفسها بآلاف السنين، وتتمثل تلك الأدوات خاصة في شفرات صغيرة لا يتجاوز طولها الخمس سنتمترات ([6]).

وإذ لم توجد عظام بشرية فإن الأدوات الحجرية التي عثر عليها تحمل آثار الفعل البشري، وهي بالتالي دليل على وجود الإنسان بالمنطقة منذ زمن سحيق يعود إلى بداية العصر الحجري القديم الأسفل، ذلك أن الحجارة التي عثر عليها بعين برمبة وقع تكسيرها بواسطة حجارة أخرى لتصبح ذات حد قاطع يساعد على الصيد ومواجهة الأخطار، وقد وجدت هذه الحجارة مع عظام حيوانات من بينها النمر والفيل العملاق ([7]) إضافة إلى الكركدن (*Ceratotherium simum*) والبقر الوحشي (*Alcelaphus*) والغزال (*Antidorcas*) والقردة (*Macaca*) وغيرها ([8]).

ووجود مثل هذه الحيوانات يدل على أن المناخ كان حارا ورطبا ثم أن شط الجريد كان في بداية عصور ما قبل التاريخ بحيرة تتغذى من مياه المطار والعيون العديدة المتواجدة داخلها ([9])، وترتاد ضفافها أنواع عديدة من الحيوانات، وكان الإنسان يمارس حولها الصيد وقطف الثمار.

([5]) Gragueb (A) et Mtimet (A), **La préhistoire en Tunisie et au Maghreb**, Alif Edition, Tunis 1989, p32.

([6]) Gragueb et Mtimet, **La préhistoire..., op. cit.**, pp. 57-58

([7]) قراقب (عبد الرزاق)، "البلاد التونسية في عصور ما قبل التاريخ"، في، **كراسات التاريخ للسنة الأولى ثانوي** (نشرية خاصة بالأساتذة)، الكراس الأول، 1989-1990، ص 11.

([8]) FOURNET (André), "Les gisements à faune villafranchienne de Tunisie", ***Notes du Service Géologique de Tunisie***, 1971, p. 56.

([9]) قراقب، "البلاد التونسية..."، **نفس المرجع**، ص 11-12.

كما وجد الإنسان بالمنطقة في بداية العصر الحجري الحديث، وقد وجدت مخلفاته من الشفرات الصغيرة في العديد من المواضع بنفزواة، وهي جميعها قريبة من مدينة قبلي الحالية حسبما يبينه الجدول التالي ([10]):

الموضع	البعد عن قبلي (كم)	في اتجاه
المنشية	15	الشمال الغربي
عين القطار	15	الشرق
عين زقزاو	21	الشرق
عين العتروس	28	الشمال الشرقي

ويمكن أن نضيف إلى تلك المواضع موضع الصابرية حيث وجدت أدوات صوانية من شفرات صغيرة وأسهم كانت مغطاة بالرمال آلاف السنين ثم ظهرت على السطح بعد انتقال تلك الرمال إلى مناطق أخرى ([11])، ومن المؤكد أن أدوات أخرى أكثر أهمية مازالت مخبأة إلى حد الآن وهي تدل على أن الإنسان واصل صيد الحيوانات، وهذا النمط من العيش تواصل مدة طويلة بعد ذلك، إذ أن العصر الحجري الحديث بقي حيا ونابضا إلى ما بعد قدوم شعوب ما وراء البحار من فينيقيين ورومان ([12]).

إن ما يمكن التأكيد عليه :

1- أن المعطيات التي تهم فترة ما قبل التاريخ دائمة التجدد ولا يمنع ذلك من أن أقدم أثر بشري إلى حد الآن ببلاد المغرب وجد بعين برمبة بنفزاوة إضافة إلى عين الحنش بالشرق الجزائري.

([10]) Gragueb et Mtimet, **La préhistoire..., op. cit**.,p. 56

([11]) Moreau, **Le pays des Nefzaouas, op. cit**., p.54 وفي نفس الإطار كنت شخصيا قد التقطت بعض الأسهم الصغيرة في موضع خلة قاسمية قرب بلدة بشني التي تقع غربي مدينة قبلي بحوالي 40 كلم.

([12]) جوليان (ش.أ)، **تاريخ افريقيا الشمالية، نفس المرجع**، ج 1، ص 57.

2- أن المنطقة لم تخضع إلى حد الآن لتنقيبات مكثفة، وقد تفضي مثل تلك التنقيبات لو تمت إلى نتائج جديدة، بما يلقي مزيدا من الضوء على ما قبل التـــاريخ المغـــاربي بصفة عامة.

3- أن مناخ شمال إفريقيا ونفزاوة كجزء منه، اتجه منذ العصر الحجري الحـــديث نحو الجفاف ومنذ حوالي أواخر الألف الثانية ق.م. لم يتغير المظهر الجغرافي تغيـــرا محسوسا ([13])، في حين بدأت تطل على المنطقة بعض التأثيرات الحضارية الخارجية وقد وردت من الشرق أولا ثم من الشمال.

([13]) **المرجع نفسه**، ص 40.

الفصل الثالث

نفزاوة في العصور القديمة

1- نفزاوة تحت التأثيرات الشرقية:

إننا عندما نحاول أن نربط بين المعلومات التي لدينا عن التاريخ القديم لنفزاوة، نجد العديد من الفراغات مما يدفعنا إلى التدعيم بملاحظات معاصرة تسد تلك الفراغات وتساند الوثائق المنفردة. إذ أن المنطقة مليئة بالألغاز والطلاسم، وخلف كل اسم مكانٍ تختفي معلومات وأحداث، وخلف كل ممارسة وإن كانت بسيطة يكمن ماض ربما يكون سحيقا، إلا أن النتائج التي نصل إليها قد لا تتجاوز الفرضيات إلى اليقين، وعندئذ حسبنا أننا اجتهدنا.

ومن تلك الألغاز التي قد تضيء محاولةُ حلها أركانا مجهولة من الماضي الواحة المنسوبة لفرعون والتي تقع شمال نفزاوة وبالضبط في أقصى شبه الجزيرة، وقد أشار شارل تيسو (Charles Tissot) في القرن التاسع عشر إلى روايات تربط نشأة تلك الواحة بغزوة شرقية ([1])، ومازالت هذه الروايات متداولة إلى الآن.

إن النظر في تلك الروايات لا يجب أن يتم من باب أنها أسطورة فقط، إذ أن النصوص المصرية القديمة تتحدث عن علاقات اللوبيين أي سكان شمال أفريقيا بالمصريين منذ القديم، فقد تعرض وادي النيل حوالي سنة 3300 ق م لهجومات اللوبيين الذين تسميهم تلك النصوص بالتهنو (Tehenou) أو التمهو (Tamahou) وتظهرهم الصور يحملون أسلحة من الأسهم والعصي القاذفة ويذهب المؤرخ الفرنسي شارل أندري جوليان إلى أنه قد تكون وجدت مملكة مصرية لوبية في بلاد المغرب، وتصور الآثار المعارك التي شنها ملوك الأسرة الخامسة على اللوبيين بمنف حوالي

Cité par Monchicourt (Ch.), **Relations inédites..., op. cit**. p . 253.([1])

سنة 2600 ق.م.([2])، وفي الفترة الممتدة بين 1732 و1622 ق م احتـــل الهكســـوس مصر وأجبروا جماعات عديدة على الفرار منـــها في اتجاه الغرب حـــتى وصلوا إلى منطـــقة الجـــريد الحالية وأسسوا بها نفطة. وبعد ذلك بحوالي ثلاثـــة قـــرون طـــارد الفرعـــون سيتي الأول (Seti 1er) اللوبيين ومن بيـــنهم جماعـــة تســـمى المشاوشـــة (Mashaousha) ([3])، واستطاع ابنه رمسيس الثاني في بداية القرن الثالث عشـــر ق م أن يهزمهم. غير أنهم تمكنوا فيما بعد من الهيمنة على مصر وأسسوا بها فـــي القـــرن العاشر ق م الأسرة الثانية والعشرين ([4]).

إن تلك الأحداث تؤكد الاحتكاك المتواصل بين المصريين واللوبيين، وكـــان مـــن نتائجه أن شمال أفريقيا تعرض للتأثيرات المصرية. ولا شـــك أن نفـــزاوة بموقعهـــا القريب من الشرق تكون عندئذ قد خضعت لتلك التأثيرات. لكن ما هي مؤشراتها وما هي حدودها؟

يذكر المؤرخ اليوناني هيرودوت (484-425 ق.م.) أن اللوبيين الذين يعيشون بين مصر وبحيرة تريتونيس (Lac Tritonis) يعبدون الشمس ([5]). ومما يدعم مـــا ذكـــره هيرودوت بقاء بعض المؤشرات الحية إلى حد الآن على عبادة الشمس، من أهمها أن الطفل بنفزاوة عندما تسقط سنه يقذف بها نحو الشمس ويتوجه إليها قائلا: "يـــا أميمـــة الشمس هاك سن بهيم واعطيني سن غزال"، أي أن تقوم الشمس بإبدال السن اللبنيـــة بأخرى أجمل منها. ولا شك أن هذه القدرة التي منحت للشمس هي قدرة إلهية خارقة، بما يدل أن عبادة الشمس كانت منتشرة بالمنطقة، وقد يكون ذلك بتـــأثير مـــن مصـــر القديمة حيث كان يعبد الاله الشمس (رع). ومما لا شك فيه أن عبادات أخرى انتشرت بالمنطقة، وكلها ترتبط بمظاهر الطبيعة ولعل من بينها عبادة المياه أو العيون ([6]). ففي منطقة صحراوية تحتل مصادر المياه مكانة قدسية حتى كان الناس يقدمون لها بعـــض

([2]) جوليان (ش.أ.)، **تاريخ شمال افريقيا، نفس المرجع**، ص 71.

([3]) بلحولة (محمد علي)، **ققصة قديما وحديثا**، طبع دار الجويني للنشر، تونس 1990، ص 59 و63.

([4]) جوليان، **تاريخ شمال افريقيا، نفس المرجع**، ص 72.

([5]) Hérodote (IV, 168), cité par Lewicki (T.), "Survivances chez les berbères médiévaux d'ère musulmane de cultes anciens et de croyances païennes", in, **Folio Orietalo**, TVIII, 1966-67, p. 11.

([6]) **Ibid**, p 17.

القرابين الحيوانية، بما يذكر بعادة المصريين في تقديم القرابين البشرية لنهر النيل، وقد بقيت هذه العادة إلى بضعة عقود خلت، من ذلك أن سكان بلدة الجرسين كانوا يذبحون عند العين الطبيعية لبلدتهم معزاة سوداء كل سنة.

ومن المؤكد أن التأثير المصري لم يقتصر على المعتقدات الدينية بل تجاوزه إلى مجالات أخرى، ذلك أن سكان بلاد المغرب بصفة عامة اقتبسوا تقنيات الفلاحة وتربية الماشية من الشرق ([7]) ومن ضمنه البلاد المصرية. وفي هذا الإطار قد تشير تسمية "نخيل فرعون" إلى تأثير مصري ما بخصوص غراسة النخيل في نفزاوة. وإذ لا نستطيع أن نجزم بذلك، فمن الأكيد أن هذه الشجرة قد أتت من الشرق، عن طريق شعب آخر هم الفينيقيون.

وقبل التعرض إلى التأثير الفينيقي لا بد من الإشارة إلى أن بحيرة تريتونيس التي يرجح أنها شط الجريد قد احتلت مكانة هامة في الأساطير اليونانية القديمة، وكانت بحق بحيرة أسطورية. فكيف تناهى إلى اليونانيين ذكر هذه البحيرة التي اعتبرها أبو الحجاج يوسف بن منصور فيما بعد "من غرائب الدنيا التي أغفلها المؤرخون وأهمل وصفها الإخباريون" ([8])؟ هل كان ذلك عن طريق مصر حيث كان للوبيين تأثير هام؟ أم هو عن طريق الإتصال المباشر؟

لا بد في البداية من تقديم بعض المعلومات الجغرافية التي تذكرها المصادر اليونانية عن البحيرة والمنطقة، من ذلك :

-وجود نهر يسمى تريتونيس يصب في البحيرة التي تحمل نفس الاسم، وقد ذكره المؤرخ اليوناني هيرودوت (480-424ق.م) والكاتب الروماني بلينوس (Plinius) (23 -79 ب.م.) والرحالة اليوناني سكيلاكس Scylax (ق.4 ق.م.) ([9]). أما العالم والجغرافي بطليموس (ق.2 م) فقد ذكر أن هذا النهر ينبع من جبل أوسالتون (Ousaleton)، وذكر في فقرة أخرى أن مصبه يقع شمالي قابس ([10]).

([7]) الشريف، **تاريخ تونس**، **نفس المرجع**، ص 14.

([8]) الوزير السراج، **الحلل**، **نفس المصدر**، ج.1، ص 390.

([9]) Cité par Guérin (V.), **Voyage archéologique dans la régence de Tunis**, Paris 1862, T.1, pp. 248-249.

([10]) **Ibid.**

-وجود جزيرة ببحيرة تريتونيس سماها هيرودوت فلا Phla، وسماها المؤرخ اليوناني ديودوروس الصقلي (Diodorus) (90-20ق م) هسبيرا (Hespera)، أما الجغرافي اليوناني سترابون (60ق م -20 ب م) فقد ذكر وجود ميناء أو بحيرة تسمى هسبيرداس (Hesperides) قرب بحيرة تريتونيس ([11]).

- وجود ثلاث بحيرات ذكرها بطليموس، وهي بحيرة ليبيا غربا ثم بحيرة بلاس فبحيرة تريتونيس شرقا([12]).

ورغم أن ديودوروس الصقلي يذكر أن بحيرة تريتونيس قد اختفت إثر رجة أرضية ([13])، فإن العديد من الباحثين يعتقدون أنها هي نفسها شط الجريد الحالي، وأن الأرض الأسطورية لزهرة اللوتس هي جزيرة جربة. وقد حاول البعض البحث عن تطابق المعطيات التي تقدمها المصادر القديمة مع منطقة شط الجريد من ذلك أن قرنفيل تمبل (Grenville Temple) وفيكتور غيران (V. Guérin) يعتقدان أن جزيرة (فلا) هي نفسها واحة فرعون ([14])، أما فيليبي فيعتقد أنها المكان المعروف باسم المنصف والذي يوجد داخل شط الجريد ([15]). ومن الأساطير التي ارتبطت ببحيرة تريتونيس :

- أنها شهدت ولادة بلاس (Pallas) ([16]) ولذلك أطلق عليها لقب تريتوجينيا (Tritogenia) نسبة إلى البحيرة، وعند هوميروس ([17]) فإن بلاس هي الإلهة أثينا إلهة الحكمة في الميثولوجيا اليونانية.

-أن البطل الأسطوري جازون (Jason) قاد بهذه البحيرة الأبطال الأرغونوت (Argonautes) ([18]).

([11]) Herodotus (IV,178), Diodorus (III, 53.4 ff), Strabon (XVII, 3.20), Cités par Stieglitz (R), "Neith, Athena and Tinnit...", **op. cit**., p. 466.

([12]) Cité par Guérin, **Voyage..., op. cit**.,pp. 248-249.

([13]) Diodorus, (III, 55.3), cité par Stieglitz, **op. cit**., p. 467.

([14]) Cité par Guérin, **Voyage..., op. cit**.,pp. 249-250.

([15]) Monchicourt (Ch.), **Relations inédites..., op. cit**, p. 255.

([16]) Guérin, **Voyage..., op. cit**.,pp. 249-250.

([17]) Stieglitz, **op. cit**. p. 467.

([18]) Guérin, **Voyage..., op. cit**.,pp. 249-250.

-أن الأمزونيات اللوبيات (Les Amazones) -وهن نساء محاربات واجهن هركلاس (Héraclès) فقتل ملكتهن وعدّ ذلك أحد أعماله الإثني عشر -كن يعشن حسب ديودوروس الصقلي بجزيرة هسبيرا في بحيرة تريتونيس([19]).

- حسب سكيلاكس كان بالجزيرة التي تقع ببحيرة تريتونيس معبد للإلهة تريتوجينيا([20]).

إن ارتباط بحيرة تريتونيس بالميثولوجيا اليونانية يعطي لهذه البحيرة صبغة أسطورية تتلاءم مع مكانتها ضمن "غرائب الدنيا" حسب تعبير أبي الحجاج يوسف بن منصور، كما أن تواتر الحديث عنها في المصادر اليونانية القديمة يجعلنا نتساءل عن المسلك الذي اتبعه ذكرها حتى وصلت إلى تلك المكانة عند اليونانيين. فهل وقع التعريف بها عن طريق اللوبيين الذين كان لهم تأثير ونفوذ هامين في بلاد النيل؟ أم عرفت مباشرة من قبل اليونانيين؟ أم عن طريق الفينيقيين؟ ذلك ما لا نستطيع الإجابة عنه مع غياب الوثائق الأثرية خاصة. ويحق لنا أن نتساءل بعد ذلك عن مدى التأثير الفينيقي في المنطقة.

لقد تواجد الفنيقيون بالسواحل الإفريقية منذ القرن 12 ق م، وأصبح تأثيرهم هاما بعد ظهور قرطاج وخاصة بعد أن أصبحت إمبراطورية ممتدة الأطراف، لكن نفوذهم لم يمتد أبدا إلى منطقة نفزاوة التي بقيت تعيش على هامش العالم البوني، إذ أن الإمبراطورية القرطاجية كانت بحرية أساسا وحتى عندما توسعت بالأراضي الداخلية اقتصرت على المناطق الشمالية بالبلاد التونسية. ومع ذلك يمكن التأكيد على أن نفزاوة استفادت من الموانئ الفينيقية القريبة منها وهي زيتا (هنشير زيان قرب جرجيس) وجغتيس Gightis (بوغرارة) وخاصة تكابي (قابس)، وقد يكون من المؤشرات على ذلك :

- وجود النخيل بكل السواحل الجنوبية الشرقية للبلاد التونسية ونفزاوة، وقد ساهم تشابه المناخ في انتشارها بكامل الجنوب التونسي، وإذا لم تكن النخلة قد دخلت

Diodorus, (III, 55.4 ff), cité par Stieglitz, **op. cit**. p. 466. ([19])

Scylax, (Periplus, 110), cité par Stieglitz, **op. cit**. p. 467. ([20])

المنطقة بتأثير مصري، فمن المؤكد أن الفينيقيين الذين يعتبرونها رمزا لكمال النعمة هم الذين قاموا بإدخالها([21]).

– أن أول عملية مسح للأراضي بالمنطقة وقعت في القرن الأول للميلاد، وقد جعلت أراضي نفزاوة محدودة من ناحية الشرق بأراضي قابس ([22])، ولعل ذلك يدل على الإتصال السابق بين المنطقتين إلى أن وصل الأمر إلى ضرورة الفصل بينهما. ومن الأكيد أن ذلك الاتصال يعود إلى العهد الفينيقي.

– أن هناك عادة فينيقية انتشرت بالمنطقة وهي عادة أكل لحوم الكلاب التي بقيت منتشرة إلى زمن قريب بقابس وقبلي وحتى توزر، وقد تعرض البكري في القرن 5 هـ إلى وجودها بتوزر إذ قال : "وأهلها يستطيبون لحوم الكلاب ويسمنونها في بساتينهم ويطعمونها بالتمر ويأكلونها، وأخبرني من ضاف منهم رجلا فأطعمه لحما استطابه واستحسنه، فسأله عنه، فقال له : "لحم جرو مسمن".([23]).

لا شك أن تلك المؤشرات غير كافية لحصر التأثيرات الفينيقية بالمنطقة، وهي في حاجة إلى التدعيم والتعميق.

لقد تعرضت نفزاوة إلى تأثيرات شرقية مصرية وفينيقية ستتدعم فيما بعد مع الفتح العربي الإسلامي وخاصة مع زحف بني هلال لذين سيكون لهم الدور الحاسم في تعريب المنطقة، لكن قبل ذلك ما هو مدى التأثير الروماني عليها؟

2- نفزاوة في عهد الرومان :

أ) مشكلة المراجع :

إذا كانت المشكلة الأساسية في كتابة تاريخ نفزاوة تتمثل إلى حد كبير في قلة المصادر والمراجع، فإنها اتخذت مع الفترة الرومانية بعدا آخر ؛ إذ تصدى للاهتمام بهذه المنطقة أوربيون في غالبهم من الفرنسيين، ولم تكن كتاباتهم محايدة أو موضوعية

([21]) Moreau (P.), **Le pays des Nefzaouas, op. cit**., p. 125.

([22]) Carton, "Nybgenii...", **op. cit**., pp. 209-210.

([23]) البكري، **المسالك... نفس المصدر**، ص 49.

بل اصطبغت بصبغة عاطفية ووجدانية وعكست أهدافا وغايات إيديولوجية استعمارية وهيمنية، فعبرت عن زمن كتابتها أكثر مما كتبت عن ماضي المنطقة.

وهذه الملاحظة لا تخص بطبيعة الحال نفزاوة بل تتعداها إلى شمال أفريقيا بصفة عامة كجزء من العالم الروماني القديم، وتطرح إشكاليات عديدة منها علاقة التاريخ وبالأخص علم الآثار بالإستعمار، والحد الفاصل بين الحقيقة التاريخية وتأويلها. وحتى لا نخرج عن الإطار الذي رسمناه لأنفسنا نكتفي بعرض نقدي لبعض ما جاء في ثلاثة نصوص تعرضت لنفزاوة بدرجات مختلفة، يعود اثنان منها إلى ما قبل الفترة الإستعمارية، والثالث إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية. وكان الأولان إذن من الكتابات المؤسسة للنظرة الإستعمارية فيما بعد بينما استفاد النص الثالث من كل ما سبقه من كتابات :

1- نص **الكومت فيليبي** (24) قام هذا الدبلوماسي الذي كان يشغل خطة قنصل سردينيا بتونس فيما بين 1825 و1830 بزيارة نفزاوة في شهر أفريل 1829، إذ رافق المحلة إلى توزر ثم فارقها هناك قاصدا مدينة قابس فمر بنفزاوة ولم يبق بها غير يومين. وكان النص الذي كتبه من أوائل الكتابات ما قبل الاستعمارية التي وصفت البلاد التونسية ولكنه لم يطبع الا بعد مرور مائة سنة على كتابته مع نصين آخرين يعود أولهما إلى سنة 1788 والآخر إلى سنة 1834.

حاول الكومت فيليبي فيما كتبه استعادة الأسماء القديمة لهذا المكان أو ذاك فتلمين هي المايْنا القديمة (Almaena) وليماقس هي ماقس (Maggs). وبذلك أراد أن يانس في غربته بوجود الرومان قديما في المنطقة. وسيتدعم هذا التوجه "التأصيلي" في الكتابات اللاحقة. هذا من جهة أما من جهة أخرى فقد حاول الكومت فيليبي أن يبرز مظاهر الخراب والبؤس التي تعانيها المنطقة، إذ ذكر أن نفزاوة كانت تعد أكثر من مائة قرية فلم يبق منها الا النصف، ويعيد أسباب ذلك إلى ظلم القياد وغزوات الطوارق. وأما ما بقي من تلك القرى فهو عبارة عن "مداشر سيئة وشبه خربة" ومن مظاهر هذا الخراب أيضا تراجع وجود النعام بالمنطقة.

---

(24) Monchicourt (Ch.), **Relations inédites..., op. cit**, pp. 253-259.

غير أننا إذا لم نستطع أن ننفي حالة البؤس التي كانت عليها المنطقة، فمن الصعب أن نصدق ما ذكره عن وجود المائة قرية. وإن حدث تراجع عمراني فهناك عوامل أخرى يمكن أن تلعب دورا محددا لعل أهمها مشكلة المياه فحيثما يوجد الماء يتجمع البشر وإذا نضب ينزحون نحو مناطق أخرى.

2- نص **فيكتور غيران** (Victor Guérin) [25] الذي كلفه وزير التعليم العمومي الفرنسي سنة 1860 بمهمة أثرية بالبلاد التونسية، الغاية منها جمع نصوص النقائش التي يعثر عليها. وقد جمع فعلا 568 نصا أغلبها لاتينية. كما قدم في تقريره معطيات أخرى ذات صبغة عسكرية خاصة إذ تحدث عن التحصينات والأسوار... مما قد يتجاوز الغاية المعلنة لمهمته.

وصل هذا الباحث إلى نفزاوة قادما من قابس في أواخر مارس 1860 وزار عددا من القرى من بينها بازمة وقبلي والمنصورة وتلمين التي يجمع موقعها شبكة الطرقات بنفزاوة. وفي تقريره حاول أن يربط المنطقة بالماضي الروماني فقبلي هي (Vepillium) القديمة التي أشار إليها بطليموس، دون أن يقدم على ذلك أية أدلة مكتفيا بقوله إن ذلك هو ما ذهب إليه باحثان آخران هما شاو (Shaw) وقرنفيل تمبل (Grenville Temple). وتلمين هي (Turris-Tamalleni) التي وردت في مسلك أنطونينوس ودليله على ذلك اسم البلدة نفسه الذي يشبه الاسم الذي ذكره أنطونينوس وكذلك المسافة التي تفصلها عن قابس. ويبدو أن هذه الأدلة قد أقنعت من كتب في الموضوع بعده، معتبرين كلامه من المسلمات.

وقد ركز غيران في تقريره على ما يمكن تسميته بالشواهد على ذلك الماضي، وخاصة منها الحجارة الضخمة، وكأنها لا يمكن إلا أن تعود إلى العهد الروماني. كما وجد بتلمين نقيشتين تتضمن إحداهما تسميتها مونيقبيوم (Municipium) في عهد الإمبراطور الروماني هدريانوس (117-138 ب م).

وقد أصبحت مثل هذه النصوص فيما بعد مراجع لا يتطرق إليها الشك لكل من كتب عن الماضي الروماني للمنطقة ومن بينهم بيار مورو.

---

(25) Guérin, **Voyage..., op. cit.**, pp. 240-250.

3- نص بيار مورو : يعتبر أول من كتب بصفة شاملة ومونغرافية عن نفـزاوة، فقد صدر له سنة 1947 كتاب يحمل عنوان : "من بحيرات الملح إلى ركامات الرمل، بلاد نفزاوة"، تعرض فيه إلى مختلف جوانب الحياة بنفزاوة في عهد الاستعمار إلى ما قبل الحرب العالمية الثانية وجعل لتاريخ نفزاوة بابا من الأبواب الخمسة للكتاب يمتـد على أكثر من ستين صفحة خصص قسما هاما منها للفترة الرومانية.

وبدون التعرض إلى كل هذا النص، نؤكد أن مورو اتبع خلاله منهجية ترتكز على عنصرين :

- تكثيف المعطيات حول الماضي الروماني مستفيدا من عدد كبير مما كتب عـن منطقة الليماس (التخوم) الرومانية.

- استخلاص الدروس والعبر من ذلك الماضي ليستفيد منها الاستعمار الفرنسي.

وقد عقد العديد من المقارنات بين "ماضي" المنطقة الروماني و"حاضرها" الفرنسي لكي يقتدي الخلف بالسلف، وفي هذا الإطار :

- برر وضع المنطقة ضمن التراب العسكري من قبل الفرنسيين، إذ فعل أسلافهم الرومان ذلك وهم الذين فهموا الطبيعة العسكرية للمنطقة بسبب نزوع السكان الـدائم للهيجان ([26]). وهو بذلك لا يبحث مثل سابقيه عن شرعية تاريخية للوجود الاستعماري فقط، بل يبحث عن خلفية تاريخية لسياسة الشدة التي يسلكها النظام الإسـتعماري إزاء الأهالي.

- كما حاول أن يؤكد على ازدهار المنطقة في العهد الروماني وبلوغها مسـتوى أرفع مما هي عليه تحت الفرنسيين، ولكنه عزا ذلك إلى قصر الفترة الاستعمارية التي لم تتجاوز الستين سنة ([27]). ومن خلال ذلك حاول بيار مورو رسم أهـداف جديـدة للاستعمار وربما توجيهه نحو الاستغلال المباشر للمنطقـة، إذ يقـول إن "الفتـرتين الرومانية والفرنسية وحدهما أفادتنا من ثروات المياه التحتية، وأنـه يجـب الاجتهـاد بواسطة الأعمال الذكية والاستعمال العقلاني للسائل الثمـين، لإرجـاع الـبلاد إلـى

Moreau (P.), **Le pays des Nefzaouas, op. cit**., p. 63. ([26])

Ibid., p. 68. ([27])

ازدهارها القديم" ([28])، وكأن نفزاوة لم تعرف ازدهارا في العهود العربية الإسلامية التي تميزت -حسب مورو- بالصراعات المختلفة وأحدثها الصراع بين يوسف وشداد ([29]).

إن ما كتبه مورو يعبر عن الأطماع والأهداف الاستعمارية، وهو كذلك تتويج لنوعية معينة من الكتابات بدأت منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر، ولكنها مازالت مهيمنة إلى حد الآن وتؤثر على ما لحقها من كتابات جديدة.

ب) رومنة نفزاوة وحدودها :

بقيت نفزاوة أكثر من قرن ونصف من وجود الرومان بشمال إفريقيا بعيدة عن هيمنتهم، ولكنها منذ القرن الأول دخلت ضمن منطقة الليماس. وقبل تحليل ذلك لا بد من إلقاء الضوء على مفهوم الليماس (Limes) الذي يعتبر جهازا يهدف إلى الدفاع عن الإمبراطورية الرومانية، وهو يتركب من ثلاثة عناصر متكاملة الأدوار وهي :

1- الخندق وتتخلله أسوار وأبراج وحصون ومراكز محصنة.

2- مراكز محصنة منفردة أمام الخندق أو وراءه.

3- شبكة من الطرقات التي تخضع للضرورة الإستراتيجية ([30]).

وفي هذه التركيبة سنحاول أن نبرز موقع نفزاوة.

لقد اقتصر الرومان حتى القرن الأول الميلادي على احتلال المناطق الواقعة شمال الشطوط التونسية إضافة إلى شريط ساحلي ضيق يضم قابس ويمتد جنوبا إلى السواحل الطرابلسية. وفي سنة 14-15 ب م استطاعوا أن يتواجدوا فعلا بسهول السقي ثم اتجهوا فيما بعد جنوبا إلى سهول الشارب، إذ قام الفيلق الثالث أغسطس سنة 29-30 ب م برسم أراضي المنطقة وضمها بالتالي إلى الإمبراطورية. فما هو السبب الذي جعل الرومان يتجهون نحو توسيع مناطق نفوذهم في هذه المناطق؟ يبدو أن ذلك يعود إلى سببين متظافرين هما :

([28]) **Ibid.**

([29]) **Ibid**. p. 98.

([30]) جوليان، **تاريخ شمال أفريقيا الشمالية**، **نفس المرجع**، ج 1، ص 184.

1- التكالب على ما تبقى من أراضي خصبة لم تدخل بعد ضمن الإمبراطورية الرومانية فامتدت مساحتها على حساب الملكيات القبلية، ومن هنا وقع التوسع على حساب قبيلة نفزاوة ونوميديا وغيرهما ([31]). وبالتالي فقد ساهم السبب الاقتصادي في ديناميكية التوسع الروماني.

2- السبب العسكري : ذلك أن شمال إفريقيا عرف، بين سنتي 17 و24 ب م، اندلاع ثورة حقيقية قادها البربري تاكفاريناس (Tacfarinas) الذي تمكن من أن يقهر الجيوش الرومانية لمدة سبع سنوات متواصلة، متبعا أسلوب حرب العصابات فكان كلما انهزم أمام الرومان ينسحب إلى الصحراء ليعيد تنظيم قواته من جديد، ويوجه ضرباته نحو القرى والأرياف المتاخمة ([32]).

ويبدو أن هذه الثورة كانت السبب المباشر في القيام بمسح جديد للأراضي لتدعيم خطوط الدفاع الروماني أمام ما يمكن أن يحدث من ثورات وانتفاضات مشابهة لثورة تاكفاريناس. وقد أفضت عملية المسح الجديدة إلى ضم الجهات المجاورة للشطوط ومن بينها منطقة نفزاوة بينما لم تشملها عملية المسح التي تمت سنة 10 ب م ([33]) أي قبيل اندلاع الثورة بسبع سنوات فقط.

لقد قام الفيلق الثالث أغسطس بهذه العملية الجديدة سنة 19-30 ب م. ومنذ هذه الفترة بدأت القبيلة تتجمع حول نقطة ارتكاز مافتئت تنمو شيئا فشيئا حتى سحب عليها قانون المدينة اللاتينية وأصبحت مونيقبيوم وذلك لدورها المتقدم في الليماس الطرابلسية (Limes tripolitanus)، وقبل ذلك حددت الأراضي التابعة لها مرة ثانية في عهد ترايانوس (Trajanus) (98-117 ب م) أي بعد أقل من قرن من عملية المسح الأولى. ويبدو أن العمليتين وخاصة الثانية منهما كانتا على حساب أراضي القبيلة التي تركت لها أراضي فقيرة.

كذلك وتدعيما لموقع نفزاوة في الليماس وقع ربطها بالمراكز الرومانية الأخرى بواسطة شبكة مستحدثة من الطرقات أهمها :

([31]) **المرجع نفسه**، ص 217.

([32]) **المرجع نفسه**، ص 179.

([33]) Carton, "Nybgenii...", **op. cit.**, p. 208.

1. الطريق التي تربطها بمدينة قابس شرقا ([34])، وقد أنشئت هذه الطريق سنة 83 ب م، أي في عهد الإمبراطور دوميسيانوس (Domitianus) (81-96 ب م). ويبـــدو أن أسبقية إقامة هذه الطريق على غيرها، كانت استجابة لوجود علاقات ســـابقة بـــين نفزاوة وقابس، ثم أنها ذات هدف مزدوج باعتبارها تسهل نقل المنتوجـــات الفلاحيـــة وخاصة التمور من المنطقة إلى العاصمة الرومانية عبر ميناء قابس من جهة، ومـــن جهة أخرى تدعم هذه الطريق دور الليماس بتسهيل حركة الجيوش الرومانيـــة عنـــد الحاجة.

2. الطريق الرابطة بين قفصة ومدينة نفزاوة : أنشـــئت فـــي عهـــد الإمبراطـــور ترايانوس وتحديدا سنة 104 ب م ([35])، وهي ذات غاية عسكرية أساسا إذ تيسر على الجيوش الرومانية عبور منطقة الشطوط في اتجاه الجنوب، وتقطع هذه الطريق عنـــد الميل 22 من مدينة نفزاوة طريق أخرى تربط بين توزر وقابس عبر سهل السقي.

وأضيفت إلى ذينك الطريقين فيما بعد طرقات أخرى دعمت الليماس، ومن بينهـــا تلك التي تربط عاصمة نفزاوة بكل من:

- بئر غيزن (Bézéreos) والتي تمر جنوب جبل طباقة ؛
- قصر غيلان Tizavar جنوبا ؛
- نفطة عبر جنوب شط الجريد.

لقد ساهمت الطريقان الأوليان في ربط مدينة نفزاوة بمدينتي قابس وقفصة اللتـــين سبقتاها إلى الإنضمام للعالم الروماني، وكان ذلك إعدادا لها لأن تتمتع بدورها بقانون المدينة الرومانية (مونيقيبوم) وهو ما تم فعلا في عهد هـــدريانوس ســـنة 128 ب م، وأصبحت تحمل اسم تريس تماليني (Turris-Tamalleni) أو تملن (Tamallen) ([36]) وهو ما يدل بدون شك على وجود أرستقراطية مرومنة بالمدينة.

([34]) **Ibid**. p. 39.

([35]) **Ibid.** p. 38.

([36]) Trousset, **Recherches sur les limes tripolitanus :du Chott El-Djerid à la frontière tuniso-libyenne**, Paris 1974, p. 44.

ذلك أن نفزاوة الرومانية تأثرت -إلى حد ما- بالتيارات القادمة من عاصمة الإمبراطورية أو تلك التي تشق مقاطعاتها ومن بين تلك التيارات الديانة المسيحية. فقد انتشرت هذه الديانة الجديدة بإفريقية منذ نهاية القرن الثاني للميلاد، ولا يستبعد أن وصل المبشرون بها إلى عاصمة نفزاوة في فترة مبكرة. وربما وجدوا استجابة فيها حتى أنشئت بها أسقفية، وكان من أوائل أساقفتها المعروفين المسمى سبراتيوس (Sabratius) الذي ورد ذكره سنة 384. وفي سنة 484 كان أسقفها يسمى هابتدوس التلميني (Habetdeus Tamallumensis) وكان كلاهما على المذهب الكاثوليكي ([37]).

غير أن تريس تماليني تأثرت مبكرا بالحركة الدوناتية ([38]) التي كانت انشقاقا دينيا اتخذ صبغة اجتماعية، إذ انضم إليها المستضعفون والذين لم تستوعبهم الحضارة الرومانية، فكانت معارضة اجتماعية وقفت ضد كل أشكال التسلط والقهر ([39]). وقد وجد لهذه الحركة أتباع بعاصمة نفزاوة حتى سيطروا على أسقفيتها، وكان بتلمين سنة 411 ب م أسقف دوناتي يسمى يوراتا Jurata ([40])، غير أن مجمع قرطاج الملتئم خلال هذه السنة وانتصار السلطة للمذهب الكاثوليكي دشنا فترة من القمع للدوناتيين ([41]). وكان من نتائج ذلك بالنسبة لنفزاوة، أن عادت كنيسة تريس تماليني من جديد إلى أيدي الكاثوليكيين وتداول عليها أساقفة منهم، وبقيت كذلك إلى أن جاءت طلائع الفتح العربي الإسلامي.

لكن إلى أي حد تغلغل الدين المسيحي بالمنطقة؟ وإلى أي حد بلغت الرومنة؟

يبدو أن الدين المسيحي لم يمس بعمق المجتمع النفزاوي، والدليل على ذلك أنه لم توجد إلا كنيسة واحدة أقيمت بعاصمة المنطقة تلمين حيث تستقر أرستقراطية مرومنة. ولعل سبب هذا الانحسار أن المذهب الكاثوليكي كان متحالفا مع السلطة الرومانية والأرستقراطية، فبقيت الفئات المستضعفة بعيدة عن تأثير أسقف تلمين خاصة بعد قمع الحركة الدوناتية التي كان لها أتباع بالمنطقة.

([37]) **Ibid**. p. 44.

([38]) نسبة إلى دوناتوس Donatus أسقف قرطاج طيلة أربعين سنة وقد توفي سنة 355 ب م.

([39]) الشريف ، **تاريخ تونس**، **نفس المرجع**، ص 32.

([40]) Trousset, **Recherches sur les limes...,op. cit**., p. 44.

([41]) جوليان، **تاريخ شمال أفريقيا الشمالية**، **نفس المرجع**، ص 308.

ولم تكن الرومنة أحسن حالا، ففي حين بقيت اللغة البربرية سائدة لم تتجاوز اللغة اللاتينية الأقلية الأرستقراطية التي تتمتع بكل الإمتيازات. ولعل سطحية التأثير الروماني والمسيحي تعود إلى الموقع الهامشي لنفزاوة في مقاطعة أفريقيا البروقنصلية، إضافة إلى عدم خضوعها للسلطة الرومانية إلا لمدة لا تزيد عن قرنين ونصف تقريبا، إذ زحف الوندال على المقاطعات الإفريقية منذ سنة 429 ب م، وتواصل نفوذهم إلى سنة 533 ب م. ولم تخضع نفزاوة طوال هذه الفترة لذلك النفوذ، فقد كان الملك الوندالي جنسريك (Genséric) ملتفتا إلى البحر وكان يطمح إلى احتلال روما فلم يركز على المناطق الداخلية ([42]). كما لم تخضع نفزاوة للنفوذ البيزنطي الذي لم يمتد بدوره إلا على جزء من المقاطعات الإفريقية ([43])، ويبدو أنها بقيت حتى قدوم العرب المسلمين تحت سلطات محلية.

([42]) Moreau (P.), **Le pays des Nefzaouas, op. cit**., p. 72.

([43]) الشريف، **تاريخ تونس**، **نفس المرجع**، ص 34.

الفصل الرابع

فتح نفزاوة

(ق 1هـ/7م)

لقد استطاع العرب المسلمون أن يبلغوا دينهم إلى بلاد المغرب منذ النصف الأول من القرن الأول للهجرة، غير أن عناصر المقاومة المحلية كانت شديدة في البداية قبل أن تختار تبني الدين الجديد والتحرك من داخله ضد المذهب الرسمي. وبالموازاة مع ذلك، بدأت عملية تعريب بلاد المغرب منذ ذلك الحين غير أن الزحف الهلالي هو الذي أوصلها إلى ما هي عليه الآن. ولم تكن نفزاوة في كل ذلك بمعزل عن تلك التأثيرات التي مست بلاد المغرب الإسلامي في عمقه، نظرا لقربها من الشرق وتشابه مناخها مع المواطن الأولى للفاتحين المسلمين.

عبرت جيوش الفتح إلى جزيرة المغرب للمرة الأولى سنة 27هـ/648م. غير أن البلاد وقفت تقاوم بصلابة لأكثر من نصف قرن، إذ يؤكد ابن خلدون وبقية المؤرخين "أن البربر ارتدوا اثنتي عشرة مرة من طرابلس إلى طنجة، ولم يستقر إسلامهم حتى أجاز طارق وموسى بن نصير إلى الأندلس" ([1])، أي أن العرب لم يستقروا فعلا بإفريقية الا في نهاية القرن الأول للهجرة/بداية القرن 8 م. وطوال هذه الفترة توالى العديد من الفاتحين عليها أهمهم عقبة بن نافع مؤسس القيروان وحسان بن النعمان فاتح قرطاج وموسى بن نصير.

وقد عثرنا على نصين يشيران إلى فتح نفزاوة في هذه الفترة المبكرة :

النص الأول : **لابن عبد الحكم** وقد وردت فيه تفاصيل عن الفتوحات التي سبقت تأسيس القيروان، وهو أقدم نص يتحدث عن فتح جنوب إفريقية من قبل عقبة بن نافع.

([1]) ابن خلدون، **العبر**، **نفس المصدر**، ج 6، ص 110.

يقول ابن عبد الحكم : "فسار (أي عقبة) متوجها إلى المغرب وجانب الطريق العظيم وأخذ إلى أرض مزاتة فافتتح كل قصر بها، ثم مضى إلى (نقص) فافتتح قلاعها وقصورها ثم بعث خيلا إلى غدامس، فافتتحت غدامس، فلما انصرف إليه خيله سار إلى قفصة فافتتحها وافتتح قسطيلية "([2]).

يوفر هذا النص المعطيات التالية :

1. أن عقبة اتبع طريقا داخليا متجنبا بذلك الطريق الساحلي المعرض لهجومات البيزنطيين، ونفس هذه الخطة هي التي سيتبعها فيما بعد عند تأسيس القيروان إذ اختار موضعها بعيدا عن البحر.

2. يبدو أن المكان الذي بعث منه عقبة خيله إلى غدامس إما أن يكون جبل نفوسة أو بلاد فزان ([3])، وكلاهما منطقة داخلية بعيدة عن أخطار الطريق الساحلي.

3. أن عقبة توجه إلى قفصة من نواحي الصحراء الليبية سالكا الطريق الداخلي، ومن المؤكد حينئذ أنه مر بنفزاوة ولعله في هذه المرة فتح عاصمتها تريس تماليني (تلمين)، وأسس بها الجامع الذي بقي إلى حد الآن يحمل اسمه (جامع سيدي عقبة)، ويبدو أن هذا الجامع لم يحتل مكان الكنيسة، وإنما جاورها فقط ولعل من الأدلة على ذلك :

أ/ أن هناك مساحة فارغة إلى حد الآن إزاء الجامع من الممكن أنها كانت موضعا للكنيسة.

ب/ أن بعض المواد التي كانت مستعملة في بنائها لم يقع استغلالها في بناء الجامع مثل تيجان الأعمدة، وهي حاليا موجودة بساحته.

ج/ أنه كان بنفزاوة ذميون، وقد ورد ذكرهم في المصادر في القرن الموالي كما سنبين ذلك، ومن الأكيد حينئذ أنهم تمتعوا بحرية ممارسة طقوسهم الدينية.

([2]) ابن عبد الحكم (عبد الرحمن)، **فتوح إفريقية والأندلس**، ط 2، الجزائر 1947، ص 64.

([3]) عقد ابن شباط (ق7هـ / 13م) فصلا في (ذكر فتح ودان ثانية وفزان وقفصة وقسطيلية)، **(صلة السمط**، ج 2، ورقة 194 – 1) ذكره باجية (صالح)، **الإباضية بالجريد**، دار بوسلامة – تونس 1976، ص 20.

ويمكن مقارنة هذه الوضعية بوضعية مدن أخرى فتحت في عهد عقبة، فلم يمس كنائسها واكتفى المسلمون ببناء مساجد قربها، ورغم خراب تلك الكنائس فيما بعد واندثار الدين المسيحي، لم يتصرف المسلمون في موادها ومن تلك المدن توزر حسب شهادة التجاني الذي زارها في بداية القرن 8هـ ([4]).

وإضافة إلى الجامع يبدو أن عقبة بن نافع ترك بعاصمة نفزاوة من يؤم الناس ويدعوهم إلى الدين الجديد ويعلمهم مبادئه. وبعد ذلك واصل طريقه شمالا نحو قفصة. ويبدو أنه اتبع الطريق القديم الذي يربط بين المدينتين لأنه يسمح له بالمرور بقرى نفزاوة الشمالية. ومن قفصة اتجه نحو قسطيلية.

من خلال ما سبق نتبين أن فتح نفزاوة ومنطقة الشطوط تم قبل تأسيس القيروان وبالتالي قبل سنة 51هـ، ثم أن تأسيس جامع عقبة بتلمين سبق تأسيس جامع القيروان، لكن الأكيد هو أن نفزاوة لم تعتنق الإسلام بمجرد مرور الجيش الفاتح بها، ولعلها شاركت في الثورات اللاحقة التي قام بها البربر، ولذلك وقعت إعادة فتحها في عهد حسان بن النعمان.

النص الثاني : المنسوب **لابن الرقيق** وهو يتحدث عن الفتح في عهد حسان بن النعمان الذي عين على إفريقية سنة 78هـ/698م. فزحف إليها بأربعين ألف جندي ([5])، ودخل القيروان ثم فتح قرطاج، ولكنه انهزم فيما بعد أمام الملكة البربرية الكاهنة فتراجع نحو طرابلس وبعد خمس سنوات عاد من جديد لتكلل محاولته هذه بالنجاح. فكيف تم له ذلك؟ لقد رأت الكاهنة التي كانت على رأس المقاومة البربرية أن تسلك سياسة الأرض المحروقة حتى تدفع الفاتحين إلى التخلي عن خطتهم. وتبالغ المصادر التاريخية في تصوير الأثر السلبي لما قامت به الكاهنة، إذ يقول ابن عذاري : "إن إفريقية كانت ظلا واحدا من طرابلس إلى طنجة وقرى متصلة ومدائن منتظمة حتى لم يكن في أقاليم الدنيا أكثر خيرات ولا أوصل بركات ولا أكثر مدائن وحصونا من إقليم إفريقية والمغرب (...) فخربت الكاهنة ذلك كله"([6]). وإذ يمكن تصور أثر الحرائق

([4]) التجاني، **الرحلة**، **نفس المصدر**، ص 162.

([5]) ابن عذاري، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، الدار العربية للكتاب- تونس 1983، ج 1، ص 34.

([6]) **المصدر نفسه**، ص 36.

بصفة عامة، فإنه يصعب تصديق أن تكون بهذا الامتداد من أقصى بلاد المغرب إلى أقصاها. إلا أن الأكيد أن ما قامت به الكاهنة قد انقلب عليها، وربما أثار قرارها معارضة شديدة من قبل السكان الذين شق عليهم أن يفقدوا ثرواتهم، وهو ما دفعهم إلى استقبال حسان هذه المرة. وفي هذا المعنى ورد في النص المنسوب لابن الرقيق : "ورحل حسان إليها فلقيه من النصارى في طريقه ثلاثمائة رجل يستغيثونه من الكاهنة فيما نزل بهم من خراب، ومضى حتى وصل إلى قابس فخرج إليه أهلها وكانوا قبل ذلك يتحصنون من كل أمير مر بهم فاستأمنوا إليه، وأدخلوا عامله فأمنهم على مال معلوم" ([7]). ولم يختلف موقف نفزاوة عن موقف بقية البلاد، إذ بعد فتح قابس لم يتوغل باتجاه الشمال وإنما غربا، وقد ورد في نفس النص ما يلي: "فاستطال طريق القيروان فمال إلى طريق قفصة وقسطيلية ونفزاوة، وبعثوا إليه أيضا يستغيثون به من أمر الكاهنة فسره ذلك"([8]). وهو ما يؤكد أن نفزاوة لم تفتح عنوة، وإنما بطلب من أهلها ممن أضرت بهم سياسة الكاهنة. وفي هذا المجال يذكر الورثيلاني –رغم تأخره عن الفترة– أن حسان بن النعمان لما نزل قصور قفصة ونزلها "أهدى إليه ملوكها وملوك قفصة وقسطيلية ونفزاوة وبعثوا إليه يستغيثون من الكاهنة، فسرّه ذلك" ([9]). ومن الواضح أن المقصود بالملوك في هذا النص هم الأعيان أو كبار الملاكين بالواحات ممن خافوا على مصالحهم فحرصوا على تأمينها من خلال القبول بالوضع الجديد.

أما الكاهنة فعندما علمت بقدوم جيش الفتح "خرجت (...) ناشرة شعرها فقالت : يابني، انظروا ماذا ترون في السماء، فقالوا : نرى شيئا من سحاب أحمر. فقالت لهم : لا، وإلهي، إنما هو رهج خيل العرب أقبلت اليكم"([10]). ويبدو أن ذلك السحاب الأحمر

([7]) الرقيق (أبو إسحاق إبراهيم؟)، **تاريخ إفريقية والمغرب**، تقديم وتحقيق المنجي الكعبي، تونس 1968، ص 61.

([8]) **المصدر نفسه.**

([9]) الورثيلاني، الحسين بن محمد، **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1974، ص 103.

([10]) المالكي (أبو بكر عبد الله)، **رياض النفوس**، القاهرة 1951، ج 1، ص 5.

لم يكن إلا ريحا رمليا صحراويا كما يذهب إلى ذلك الأستاذ الطالبي ([11]). وعلى أية حال، فقد تطيّرت الكاهنة بما رأت، فأرادت التراجع على جناح السرعة من قابس نحو الأوراس، وكان أيسر وأضمن طريق بالنسبة لها تلك التي تمر عبر الشطوط ([12]) واتبعها حسان فمر "بقفصة وقسطيلية ونفزاوة" لكن ما هو الطريق الذي سلكه تحديدا؟ نحن إزاء ثلاثة افتراضات :

1. من الممكن أن الترتيب الوارد بالنص لتلك الأماكن لم يكن موافقا لمرور حسان بها، وحينئذ من السهل أن نتصور أنه توجه من قابس مباشرة إلى نفزاوة ومنها إلى قفصة متبعا الطريق الذي كان سلكه منذ أكثر من ثلاثين سنة عقبة بن نافع، ومن قفصة توجه إلى الجريد ثم عرج نحو جبال الأوراس. أما إذا كان ترتيب النص موافقا للخط الذي اتبعه حسان فنحن إزاء افتراضين آخرين :

2. أن الكاتب يقصد بنفزاوة القبيلة وليست المنطقة، فمن الممكن أن تكون إحدى بطونها مستقرة بين قسطيلية والأوراس، وهذا ما يمكن أن توحي به نصوص أخرى من بينها نص ابن حوقل (ق.4هـ) في أحد مسالك المغرب الإسلامي، يقول : "ومن سجلماسة إلى القيروان على نفزاوة ونواحي قسطيلية شهران" ([13])، فلا شك أنه يقصد بنفزاوة هنا إحدى بطون القبيلة التي كانت مواطنها غربي قسطيلية. وعندئذ فإن الطريق الذي سلكه حسان في اتجاه الأوراس يكون مستقيما.

3. أما إذا كان يقصد بنفزاوة اسم المنطقة فإن عودة حسان إليها قادما من قسطيلية لا يمكن إلا تفسيرها بأحد أمرين : إما أن تكون هذه المنطقة قد انتفضت بما يمكن أن يهدد جيش الفتح من الخلف مما أجبر حسان على التوجه إليها لإخضاعها، أو أن هذه العودة فرضتها مناورة للكاهنة لمعرفتها بصعوبة قطع السبخة بين الجريد ونفزاوة (شط الجريد) من قبل الجيش الفاتح الذي لا يعرفها ([14]). ولعل من بين النصوص التي

([11]) Talbi (Mohamed), «Un nouveau fragment de l'histoire de l'Occident musulman (62-196 /682-812), l'épopée d'al-Kahina", in, **Etudes d'histoire Ifriqienne et de civilisation musulmane médiévale**, Pub. de l'Université de Tunis, 1982, p. 159.

([12]) **Ibid**, p. 160.

([13]) ابن حوقل، **كتاب صورة الأرض**، **نفس المصدر**، ص 91.

([14]) Talbi, «Un nouveau fragment...", **op. cit**. p. 160.

تصور صعوبة تلك السبخة ما كتبه البكري في القرن 5هـ من أنه "قد هلكت فيها العساكر والجماعات ممن دخلها ولم يدر أمرها"([15]).

ومهما يكن الإفتراض فإن مرور حسان بنفزاوة يدل على أهميتها، فإذا كانت مناطق أخرى تستمد حصانتها بما فيها من جبال مرتفعة، فإن هذه المنطقة استمدت أهميتها من موقعها المنعزل. وهذا الموقع سيساهم فيما بعد في انخراطها في مقاومة جديدة لنفوذ القيروان، لكن من داخل المنظومة الإسلامية، فانتشرت بها دعوة الخوارج من صفرية وإباضية.

([15]) البكري، **المسالك**، **نفس المصدر**، ص 48.

نفزاوة الخارجية وعلاقتها بالقيروان

(ق2-5هـ /8- 11م)

متى دخل المذهب الخارجي إلى نفزاوة؟ وما مدى انتشاره بها؟ وما كانت عليه علاقة القيروان بنفزاوة الخارجية؟

يقول ابن خلدون : "استقر الإسلام بالمغرب وأذعن البربر لحكمه ورسخت فيهم كلمة الإسلام وتناسوا الردة ثم نبضت فيهم عروق الخارجية فدانوا بها ولقنوها من العرب الناقلة ممن سمعها بالعراق، وتعددت طوائفهم وتشعبت طرقها من الإباضية والصفرية"([1])، ولم تخرج نفزاوة عن هذا الإطار، فقد أسلمت وتحملت أعباء الفتوحات حتى أن موسى بن نصير الذي نظم ولاية إفريقية والمغرب عيّن طارق بن زياد الورفجومي النفزاوي عاملا له على طنجة ومعه جيش من العرب والبربر([2]). ولعل وجود طارق على رأسهم يدل على ثقل قبيلته في ذلك الجيش، وقد عَبَرَ بهم سنة 92هـ / 711م إلى الأندلس وتمكنوا من فتحها.

لكن يبدو أن غمط دور فاتحي الأندلس من البربر ومن بينهم طارق نفسه من جهة، وتوقف حركة الفتح من جهة أخرى، جعلت البربر ينتقلون إلى مقاومة العرب من المنطلق الإسلامي فكان اعتناقهم للمذهب الخارجي.

وتتفق المصادر الإباضية على أن الدعوة الخارجية انطلقت في البداية من القيروان، وذلك منذ نهاية القرن الأول أو بداية القرن الثاني هـ/8م فقد وجد بعاصمة إفريقية داعيتان أحدهما صفري هو عكرمة مولى ابن عباس ويبدو أنه بربري ينتمي

([1]) ابن خلدون، **العبر**، **نفس المصدر**، ج 6، ص 110.

([2]) ابن عذاري، **البيان المغرب**، **نفس المصدر**، ج 1 ، ص 43.

لفئة الموالي، والآخر إباضي هو سلمة بن سعد. ويبدو أن العلاقة بين الرجلين -رغم اختلاف مذهبيهما- لم تكن مبنية على التنافس آنذاك، والدليل على ذلك كما ورد في المصادر أنهما قدما معا من البصرة "معتقبين على بعير" ([3]).

ومن القيروان انتشرت الدعوتان بكامل المغرب الإسلامي إلى أن تمكنتا فيما بعد من تأسيس دولتين، إحداهما إباضية وقاعدتها تاهرت، والأخرى صفرية وعاصمتها سجلماسة بجنوب المغرب الأقصى.

ويبدو أن أول انتفاضة خارجية بالقيروان وقعت سنة 102هـ / 721م يقول ابن خلدون : "وفشت هذه البدعة (الدعوة الخارجية) وعقدها رؤوس النفاق من العرب وجرت إليهم الفتنة من البربر (...)، ثم تطاول البربر إلى الفتك بأمر العرب فقتلوا يزيد بن أبي مسلم (الوالي)(...) لما نقموا عليه في بعض الفعلات" ([4]). فكانت هذه الإنتفاضة موجهة ضد انحراف السلطة عن المثل الإسلامية.

كما وقعت سنة 122هـ / 740م انتفاضة ثانية قادها ميسرة المدغري الزعيم الصفري وشاركت فيها قبيلة مكناسة ([5])، ويبدو أن هذه الثورة دشنت مرحلة جديدة من العمل الخارجي أفضت بعد أقل من عشرين سنة إلى بروز دولتين خارجيتين بالمغربين الأوسط والأقصى، امتد نفوذ أولاهما على المناطق الجنوبية من نفزاوة إلى طرابلس. فكيف تطورت وضعية المذهبين؟ وكيف كان تفاعل نفزاوة معهما؟

1- نفزاوة وبداية الدعوة الإباضية :

يبدو أن زعماء الإباضية اقتنعوا بضرورة تركيز مذهبهم على أسس صحيحة، فأرسلوا بعثة إلى المشرق تضم خمسة طلبة عرفوا فيما بعد بحملة العلم الخمسة، توجهوا إلى البصرة ليتلقوا مبادئ المذهب عن زعيمه أبي عبيدة مسلم بن أبي عكرمة التميمي. وأولئك الخمسة هم : أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري وهو العربي الوحيد بينهم، وعبد الرحمن بن رستم وهو فارسي، وثلاثة من البربر هم :

([3]) الجنحاني (الحبيب)، **المغرب الإسلامي، الحياة الاقتصادية والاجتماعية (3-4هـ/9-10م)**، تونس 1978، ص 162.

([4]) ابن خلدون، **العبر**، **نفس المصدر**، ج 6، ص 110.

([5]) الجنحاني، **المغرب الإسلامي**، **نفس المرجع**، ص 162.

إسماعيل بن درار الغدامسي وعاصم السدراتي وأبو داود القبلي النفزاوي ([6])، وهؤلاء الثلاثة ينحدرون من المناطق النائية والجنوبية ببلاد المغرب : غدامس وسدراتة ونفزاوة.

وبالنسبة لأبي داود النفزاوي، من المرجح أنه اعتنق المذهب الإباضي قبل أن يتوجه مع أصحابه إلى المشرق العربي، وهناك بقي لمدة خمس سنوات (135-140هـ) ([7]). لكن يبدو أنه لم يبلغ درجة أصحابه من حيث التمكن من أصول المذهب، وهذا ما يمكن أن نستشفه من كتاب **سير مشائخ نفوسة** لمقرين بن محمد المغطوري إذ ورد فيه أن الشيخ أبا عبيدة قال لأبي داود : لا تُفْتِ بما سمعت وما لم تسمع، وقال للإمام عبد الرحمان : أفت بما سمعت وما لم تسمع، وقال لأبي الخطاب أفْت بما سمعت مني. وهو ما يعطي لأبي داود الدرجة الأخيرة بين أصحابه. غير أن الشماخي يذكر أنه "أُخِذ عنه، وكان الإمام عبد الوهاب مع كثرة علمه، إذا جلس بين يديه كالصبي أمام المعلم"([8]). إلا أن هذا لا يعني بالضرورة أنه كان مرجعا بالنسبة للمذهب، ثم أن موقف عبد الوهاب بن رستم يدل على احترامه لأحد أصحاب والده وأحد السابقين في المذهب ليس أكثر.

من جهة أخرى برز أصحاب أبي داود في الحياة السياسية بعيد عودتهم إلى إفريقية، إذ عين أبو الخطاب سنة 140هـ إماما لطرابلس، كما أسس عبد الرحمن الدولة الرستمية، ومات عاصم السدراتي في حصار القيروان سنة 141هـ([9])، بينما لم يبرز الدور السياسي لكل من إسماعيل الغدامسي وأبي داود القبلي، إذ يبدو أنهما انقطعا للدعوة بمنطقتيهما، ومما يدفعنا إلى هذا الرأي :

([6]) أبو زكرياء (يحيى بن أبي بكر)، **كتاب السيرة وأخبار الأئمة**، تحقيق عبد الرحمن أيوب، تونس 1985، ص 57-58.

([7]) **المصدر نفسه**، ص 59.

([8]) الشماخي (أبو العباس أحمد بن سعيد)، **كتاب السير، الجزء الخاص بتراجم علماء المغرب إلى نهاية القرن الخامس هـ/11م**، تحقيق ودراسة د. محمد حسن، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس 1995، ص 51.

([9]) أبو زكرياء، **كتاب السيرة... نفس المصدر**، ص 68.

-أن نفزاوة خضعت منذ العشرينات إلى تأثير صفري كبير، ولكنها تحولت فيما بعد إلى المذهب الإباضي، فلعل هذا النجاح يعزى إلى تفرغ أبي داود لنشره بها.

-أن هناك موقعا جنوبي مقبرة طرة، إحدى قاعدتي نفزاوة الإسلامية، يسمى إلى حد الآن بسيدي داود، اتخذ صبغة غير عادية إذ تعود العرسان التبرك به بالانطلاق منه نحو عرائسهم فلعل هذا الولي هو نفسه أبو داود.

لقد نجح الإباضية في نشر مذهبهم بنفزاوة نتيجة تركيزهم على العمل الدعوي مما جعل المنطقة تخضع لتأثيرهم في القرون اللاحقة، بينما اتبع الصفرية طريقا آخر غير الذي سلكه الإباضية.

2- نفزاوة والصفرية :

انتشر هذا المذهب بالمنطقة وخاصة في قبيلة ورفجومة التي ينحدر منها طارق بن زياد، ولعل انحداره منها يدل على أهميتها العددية من جهة وما تتميز به من شجاعة وبسالة في الحروب من جهة أخرى. ولعل اعتناقها للمذهب الصفري كان كرد فعل على سياسة القيروان إزاءها إذ غمطت دورها في فتح الأندلس.

وفي العشرينات انتفض الصفرية وكان يقودهم عبد الواحد الهواري وعكاشة الفزاري اللذان هددا القيروان سنة 125 هـ/743م، في ولاية حنظلة بن صفوان، غير أن هذا الأخير تمكن من الانتصار على جيشيهما بكل من القرن والأصنام. ويبدو أن الخروج الصفري كان شاملا إذ انتفضت نفزاوة بموازاة مع خروج عبد الواحد وعكاشة، وكان حنظلة قبل أن ينتصر عليهما طلب من عامله على طرابلس أن يمده بتعزيزات "فخرج حتى انتهى إلى قابس فبلغه ما كان من هزيمة عبد الواحد وعكاشة، فكتب إليه حنظلة في بربر خرجوا بنفزاوة وسبوا أهل ذمتها، فامض إليهم، فسار إليهم بمن معه فقاتلهم فقتل معاوية بن صفوان (عامل طرابلس) وقتل الصفرية واستنقذ ما كانوا أصابوا من أهل الذمة. فبعث حنظلة إلى جيش معاوية ذاك زيد بن عمرو الكلبي فانصرف بهم إلى طرابلس" ([10]).

وما يمكن ملاحظته من خلال هذا النص لابن عبد الحكم :

([10]) ابن عبد الحكم، **فتوح إفريقية**، **نفس المصدر**، ص 132 وما بعدها.

- أن الصفرية تمكنوا من نشر دعوتهم بمنطقة إستراتيجية بعيدة نسبيا عن القيروان هي منطقة نفزاوة.

- أن التذرع بالاعتداء على الذميين يدل على حرص القيروان على فرض التسامح إزاء النصارى من جهة، وهو من جهة أخرى شكل من أشكال الدعاية ضد الصفرية الذين لا يمكن تفسير موقفهم -إن وقع فعلا- إلا بكونه موجها ضد القيروان بهدف إبراز عجزها عن حماية أولئك النصارى.

- أن المعركة كانت متوازنة بين الجانبين حتى أن صفرية نفزاوة تمكنوا من قتل قائد الجيش الذي بعثته القيروان.

-أن هذه المعركة أدت إلى نقص ديمغرافي في المنطقة ولم يتم تعويضه الا بعد سنوات.

إن هزيمة الصفرية بنفزاوة سنة 125هـ جعلتهم يعدون أنفسهم ليزحفوا بعد خمس عشرة سنة فقط على القيروان، خاصة بعد أن التحق بهم أتباع عبد الواحد وعكاشة. ففي أي ظروف وقع ذلك الهجوم؟

عرّفت القيروان صراعا على السلطة في الثلاثينات بين أفراد العائلة الفهرية، إذ قُتل الوالي عبد الرحمن بن حبيب سنة 137هـ/755م. بعد رفضه التبعية للدولة العباسية الناشئة، وانقسم أمر إفريقية بين الفهريين إلى أن استحوذ حبيب بن عبد الرحمان بن حبيب على القيروان سنة 138هـ وتمكن من قتل عمه الياس، بينما "نجا عمه الآخر عبد الوارث إلى ورבجومة (كذا) (...) وكبيرهم يومئذ عاصم بن جميل (...) فأجار عبد الوارث" ([11]). إن هذا النص يدل على أن نفزاوة لعبت دور الملجإ لحصانتها أو بالأحرى انعزالها ولكن أيضا لحدة سيوف رجالها وبسالتهم. وكل ذلك رشحها لأن تلعب دورا هاما في التوازن السياسي بإفريقية. ولا شك أن لجوء عبد الوارث بن حبيب إليها يؤشر على حدة عدائها للقيروان بحكم تمذهبها الخارجي الصفري.

([11]) ابن خلدون، **العبر**، **نفس المصدر**، ج 4، ص 119.

لكن صفرية نفزاوة لم يكتفوا بمنح الأمير الفهري حق اللجوء، بل أعلنوا الثورة في وجه الوالي حبيب بن عبد الرحمن الذي توجه بدوره إليهم فألحقوا به الهزيمة فتراجع إلى قابس "واستفحل أمرهم وكتب من كان بالقيروان من العرب إلى عاصم بن جميل، يدعونه للولاية عليهم، واستخلفوه على الحماية والدعاء للمنصور فلم يجب إلى ذلك وقاتلهم فهزمهم واستباح القيروان" ([12]). وبقطع النظر عن الدعاية التي تضمنها هذا النص ضد المذهب الصفري، فإن الأكيد أن نفزاوة أخضعت عاصمة إفريقية بقوة السلاح، ولم يكتف عاصم بن جميل بذلك وإنما سمى عليها لإدارتها عبد الملك بن أبي الجعد، وواصل هو تعقبه للوالي المعزول فتوجه أولا إلى قابس، وهزمه هناك، ففر حبيب غربا ليلحق "بجبل أوراس فأجاره أهله، وجاء عاصم فقاتلهم، فهزموه وقتل جماعة من أصحابه". غير أن هزيمة نفزاوة في هذه الموقعة، لم تكن نهائية، إذ استطاع عبد الملك بن أبي الجعد إلحاق الهزيمة من جديد بحبيب وحلفائه الأوراسيين، وهو ما مكنه من السيطر على إفريقية، وكان ذلك سنة 140هـ/758م.

إن تلك الأحداث تمكننا من إبداء الملاحظات التالية :

أن ورفجومة استعادت قدرتها القتالية بعد أن كانت فقدتها جزئيا على الأقل سنة 125هـ. وفي الحقيقة فإن هذه القبيلة لم تواجه القيروان بمفردها، وإنما تحالفت معها القبائل النفزاوية الأخرى.

أن الموقف السياسي للصفرية انسجم مع موقفهم المذهبي، ولذلك رفض عاصم بن جميل إعلان ولائه للدولة العباسية، رغم أن ذلك كان سيمكنه من البقاء واليا على القيروان.

أن أمر الصفرية قد عظم بإفريقية بفضل مناصرة هذه القبيلة النفزاوية.

لكن ما هي السياسة التي اتبعتها ورفجومة بعد سيطرتها على عاصمة إفريقية؟

تتفق النصوص السنية والإباضية على إبراز سلبية سياستهم، إذ يقول ابن خلدون : "وساروا في أهل القيروان بالعسف والظلم(...) وافترق أهل القيروان بالنواحي فرارا

([12]) المصدر نفسه.

بأنفسهم وشاع خبرهم في الآفاق" ([13]) كما يقول : "وقتلوا من كان بها من قريش وسائر العرب وربطوا دوابهم بالمسجد وعظمت حوادثهم" ([14]).

ولعل هذا التحامل على ورفجومة، بقدر ما يمكن اعتباره نوعا من الدعاية ضدها كقبيلة صفرية، فإنه يتضمن قدرا من الحقيقة، إذ كان من الصعب على زعماء القبيلة أن يروضوا أفرادها ويجبروهم على عدم الأخذ بالثأر وهم الذين تعرضوا منذ خمس عشرة سنة فقط إلى قمع الجيش بأمر من أمير القيروان.

لكن ما هو موقف الإباضية إزاء هذا التحول على الساحة السياسية بإفريقية؟

3-تحول نفزاوة إلى الإباضية :

تتفق المصادر الإباضية مع المصادر السنية في وصف ما قامت به ورفجومة من ظلم بعد دخولها مدينة القيروان، يقول أبو زكرياء: "وبلغنا أن امرأة من نساء القيروان كتبت بطاقة إلى الإمام أبي الخطاب –رضي الله عنه– تشكو إليه جور ورفجومة، فقالت :'أما بعد، يا أمير المؤمنين فإن لي بنتا في حفرة حفرتها تحت سريري لا أستطيع أن أخرجها مخافة عليها من الورفجومية أن يفسدوها' (...) وقرأ كتابها وصار يبكي رحمه الله لما نزل بها، فنادى بالصلاة جماعة (...) ورغّب أصحابه في الجهاد" ([15]). إن هذا النص يقدم السبب المباشر لدخول الإباضية على الخط في الصراع الدائر بين الصفرية وسلطة القيروان، في محاولة لإظهار غيرة الإباضية على الدين القويم في مواجهة "زيغ" الصفرية عنه. وبالتالي فهو يتضمن جانبا دعائيا مباشرا، إلا أن هناك أسبابا أعمق لدخول الإباضية في الصراع، لا بد من الإشارة إليها.

في نفس السنة التي سيطر فيها الصفرية على القيروان، سيطر الإباضية على طرابلس وأعلنوا إمامة أبي الخطاب سنة 140هـ، وبدا لأول وهلة أن إفريقية قد قسمت بين المذهبين. لكن من الواضح أن السيطرة على القيروان تعتبر إستراتيجيا وسياسيا أكثر أهمية من السيطرة على طرابلس التي تبقى من جهة أخرى معرضة أكثر من القيروان لأي خطر يأتي من المشرق العربي. ثم أن السيطرة على القيروان

([13]) **المصدر نفسه**.

([14]) **المصدر نفسه**، ج 6، ص 115.

([15]) أبو زكرياء، **كتاب السيرة...**، **نفس المصدر**، ص 65-66.

عاصمة إفريقية، ورمز قوة العرب بها، أعطى تفوقا إستراتيجيا للصفرية. وهو ما دفع الإباضية للتفكير في تعديل الكفة لصالحهم، من خلال التدخل "لإنقاذ" القيروان من ورفجومة. وقد استغلوا في هذا الإطار استنجاد أهالي القيروان بهم.

كما يجب أن نشير إلى الظروف الاقتصادية الصعبة التي مرت بها طرابلس آنذاك، نتيجة الجفاف وانتشار المجاعة وزحف الجراد. وهذا ما تذكره المصادر الإباضية ذاتها، يقول أبو زكرياء: "فخرجوا (أي الإباضية) في سنة محلة ذات قحط وجوع وجدب فأمدهم الله بالجراد، فإذا نزلوا نزل عليهم وإذا ارتحلوا ارتحل معهم"([16]).

وصل الإباضية إلى القيروان وحاصروها سنة 141هـ، ووقعت أول مواجهة دامية بين المذهبين الصفري والإباضي. غير أن ورفجومة استبسلت في دفاعها ولم يتمكن المهاجمون من التغلب عليها إلا بالحيلة والمناورة. فقد أظهروا وكأنهم يتخلون عن حصار المدينة، حتى لما خرج سكانها كروا عليهم ودخلوها، وهكذا انقادت ورفجومة على الهزيمة، في حين قام أبو الخطاب بتعيين عبد الرحمن بن رستم على القيروان، وكر راجعا إلى طرابلس ([17]).

يبدو أن ورفجومة بعد هذه الهزيمة قاموا بانتفاضات أخرى تلقوا على إثرها عدة ضربات مؤلمة، من ذلك أنهم انتفضوا سنة 157هـ / 774م بقيادة أبي زرجونة ولكنهم انهزموا أمام آل المهلب. كما ثاروا سنة 161هـ / 778م وكان يقودهم صالح بن نصير (أو نصر) "فسرح إليهم (والي القيروان) (...) عشرة آلاف فهزمهم وقتل البربر أبرح قتل (...) وركدت ريح الخوارج من البربر من إفريقية وتداعت بدعهم إلى الإضمحلال"([18])، غير أن ذلك لا يصدق إلا على الصفرية إذ أثرت الإنتفاضات والضربات فيها، وافترقت ورفجومة ببلاد المغرب مما جعل نفزاوة تصبح مجالا للدعوة الإباضية خاصة وقد استقر بها أبو داود القبلي.

ومع تنامي الإنخراط في المذهب الإباضي، أصبحت نفزاوة تلتفت إلى طرابلس حيث قامت إمامة أبي الخطاب المعافري وخاصة بعد سيطرته على القيروان وتنظيمها

([16]) **المصدر نفسه**، ص 66.

([17]) **المصدر نفسه**، ص 68-69.

([18]) ابن خلدون، **العبر**، **نفس المصدر**، ج 6، ص 113.

من قبل عبد الرحمن بن رستم الذي عين عماله بالمدن والنواحي ([19]) ومن بينها نفزاوة.

إلا أن النفوذ الإباضي لم يدم طويلا بإفريقية إذ جاء محمد بن الأشعث سنة 146هـ / 764م بعد أن سمي واليا عليها من قبل أبي جعفر المنصور، وتمكن من أن يهزم الإباضية بسرت مما أجبرهم على تغيير استراتيجيتهم وتحويل مركز ثقلهم من الشرق إلى الغرب، فتوجه عبد الرحمن بن رستم إلى المغرب الأوسط "واجتمعت إليه طوائف البربر الإباضية من لماية ولواتة ورجالة ونفزاوة، فنزل بهم، واختط مدينتها سنة أربعة وأربعين (ومائة)" ([20]). فقد خيرت بعض قبائل نفزاوة الالتزام الإيديولوجي بهجرتها مع ابن رستم ومشاركتها في تأسيس مدينة تاهرت، مما أفقد المنطقة أعدادا أخرى من أبنائها، ولكنها كمنطقة خضعت إداريا وإيديولوجيا للدولة الإباضية بالمغرب الأوسط، فكان من الولاة الذين انتصبوا بقلعة درجين في عهد عبد الوهاب بن رستم : ميال بن يوسف الذي كان والده وزيرا لعبد الوهاب، ومحمد بن إسحاق الخزري ([21]).

وتواصل وجود الإباضية بنفزاوة على الأقل إلى القرن 7هـ / 13م. ولعل أهم تجمع لهم كان بقلعة درجين التي بلغت حدا كبيرا من الإزدهار، ومما يؤشر على ذلك أنها كانت تعد حوالي سنة 325هـ / 950م ثمانية عشر ألف فارس ([22]).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه المدينة لم تكن تابعة لنفزاوة القبيلة بل لنفزاوة المنطقة، إذ أنها تقع جنوب شط الجريد وعلى بعد حوالي أربعين كيلومترا غربي طرة. أما سكانيا فكان أهلها خاصة من قبيلة مزاتة التي تنحدر من لواتة وهم بالتالي إخوة نفزاوة.

لكن بعد أكثر من قرن من التسامح إزاء الوجود الإباضي بنفزاوة، هدمت قلعة درجين في عهد المعز بن باديس (406-454هـ / 1016-1062م)([23])، وفر من بقي من سكانها إلى ورجلان (ورقلة)، ولكن قسما منهم عاد فيما بعد ليؤسس على

([19]) الشماخي، **كتاب السير**، نفس المصدر، ص 11.

([20]) ابن خلدون، **العبر**، **نفس المصدر**، ج 6، ص 112.

([21]) باجية، **الإباضية...**، **نفس المصدر**، ص 81.

([22]) أبو زكرياء، **كتاب السيرة...**، **نفس المصدر**، ص 170.

([23]) باجية، **الإباضية...**، **نفس المرجع**، ص 147.

مقربة من الموضع الأول لدرجين مدينة أخرى سموها درجين السفلى، غير أنها لم تبلغ ما كانت عليه المدينة القديمة، وإن تواصل بها الوجود الإباضي لقرنين آخرين على الأقل.

وخلال ذلك، ساهمت نفزاوة منذ سقوط الدولة الرستمية فيما يمكن تسميته بالتضامن المذهبي، إذ كانت تستقبل النازحين من المناطق الإباضية الأخرى، من ذلك ما وقع سنة 430هـ/1039م التي كانت سنة جدب بمناطق طرابلس مما دفع أعدادا كبيرة من سكانها للنزوح نحو مناطق أخرى، وقد استقبلت درجين عددا منهم يمكن أن نذكر من بينهم الشيخ أبا الخطاب عبد السلام بن منصور بن أبي ورجون النفوسي وغيره من ورغمة ونفوسة ([24]). وهاجر إليها في النصف الثاني من القرن 6هـ/12م الشيخ سعيد بن سليمان بن علي بن يخلف النفوسي قادما من نفطة ([25]). كما كانت نفزاوة تساهم في سنوات الجدب في مد إباضية المناطق الأخرى بالتمور وتساهم بالتالي في تجنيبهم المجاعات، من ذلك أنه قدم إليها في النصف الأول من القرن 5هـ/11م من جربة الشيخ أبو زكرياء فصيل بن أبي مسور يشجا بن يوجين اليهراسني ليمتار تمرا "من بني يزمرتين في سنة محلة ذات جدب وقحط (...) فلما وصلها اجتمع بأهلها من بني يزمرتين ومن بها من أهل الدعوة فعبوا للشيخ جمالا وأوفروها تمرا"([26]).

ولعل المثالين السابقين يدلان على الانفتاح الاجتماعي والاقتصادي لنفزاوة على بقية المناطق الإباضية بجنوب إفريقية، لكن متى بدأ تراجع الإباضية بالمنطقة؟

يبدو أن ذلك بدأ منذ القرن 5هـ/11م، وهذا ما يمكن أن نستشفه من النص التالي لأبي العباس الدرجيني، إذ نقل عن أبي عمار "أن جماعة عزابة اجتازوا على قرية من قرى نفزاوة، فإذا هم بمقدمها رجل يسمى أبا علي، فقالوا له : احذر حقوق الوهبية، فقال لهم: ارغبوا إليهم وقولوا لهم يدعوا علي؛ فوصلوا جربة يوم جمعة، فوجدوا الشيوخ قد أقبلوا إليها بجماعة التلامذة (...) وأخبروهم بما بلغ أهل الدعوة من ضرر

([24]) أبو زكرياء، **كتاب السيرة... نفس المصدر**، ص 305.

([25]) Lewicki (T.), "Al-Dardjini", in, **E.I.,** T II, Leyden 1965, pp. 144-145.

([26]) أبو زكرياء، **كتاب السيرة... نفس المصدر**، ص 242.

المذكور، وقوله لهم (...)"([27]). ولعل ما جعل المقدم أبا علي يستهين بالإباضية هو تراجع مذهبهم بالمنطقة ومناوأة السلطة الصنهاجية لهم، خاصة وأن أحداث ذلك النص تعود إلى ما بعد تدمير قلعة درجين.

ويبدو أن الثقل الإباضي بدأ يتوجه شرقا نحو جزيرة جربة وغربا نحو صحراء المغرب الأوسط، وبرز ذلك خاصة في النصف الثاني من القرن 6هـ/12م. إذ زهد الناس في معرفة المذهب، وهذا ما يمكن أن نستشفه من شهادة سعيد بن سليمان والد أبي العباس أحمد الدرجيني، عندما يقول : "دخلت حلقة درجين قبل أن أكمل القرآن، فكان الشيخ يمرنني على قراءة الكتب وكان يكبرني إجلالا لوالدي ويخصني بالفوائد، فإذا جاء إلى المسجد دعاني وأعطاني كتابا وأمرني أن أقرأ" ([28]) ولم يتحدث عن زملاء له في الدراسة. وينقل عن جده يخلف النفوسي أنه كان يحضّ على إكرام ذلك الشيخ ويقول : "أكرموه فإنه اجتمع فيه عزيز ذل، وغني افتقر، وعالم بين قوم جهال"([29]). وفعلا يبدو أن درجين التي كانت عاصمة الإباضية بنفزاوة تراجعت في أواخر القرن 6هـ وبداية القرن الموالي حتى لم يعد بها طلبة لدراسة المذهب الإباضي، وهو ما جعل أبا العباس أحمد الدرجيني يتوجه سنة 616هـ/1219م إلى ورجلان للدراسة، وهناك وجد بها طلبة آخرين من نفزاوة كانوا قد سبقوه إليها ([30]). وبالتالي كانت صحراء المغرب الأوسط تساهم في تعليم مبادئ المذهب الإباضي لمن يقصدها من أبناء نفزاوة، غير أنهم لا يعودون إليها، بعد إنهاء دراستهم، ومثال ذلك أبو العباس الدرجيني الذي لم يعد بعد استكمال تكوينه إلى مسقط رأسه درجين وإنما توجه إلى توزر ثم إلى جزيرة جربة. ولعل فقدان المنطقة لطاقاتها المؤثرة قضى بتراجع المذهب الإباضي بها.

([27]) الدرجيني (أبو العباس أحمد بن سعيد)، **كتاب طبقات المشائخ بالمغرب**، تحقيق إبراهيم طلاي وتقديم عبد الرحمن بلكي، الجزائر 1974، ج 1، ص 425-426.

([28]) الشماخي، **كتاب السير**، تحقيق ودراسة محمد حسن، شهادة التعمق في البحث كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تونس 1979، ج 2، ص 347.

([29]) **المصدر نفسه**.

([30]) البرادي (أبو القاسم بن إبراهيم)، **كتاب الجواهر المنتقاة في إتمام ما أخل به كتاب الطبقات**، طبعة حجرية، القاهرة 1302هـ، ص 215-216.

لكن ما هي علاقة نفزاوة بالدول القائمة بإفريقية في عهد الخوارج؟

4-علاقة نفزاوة بالقيروان :

كانت نفزاوة في عهد الولاة من منطقة هامة، ويبدو أنها كانت تشكل مع قفصة وقسطيلية عمالة واحدة، إذ في سنة 138هـ / 756م وقع اتفاق بين الأمراء الفهريين المتصارعين على السلطة بالقيروان على أن يكون لحبيب بن عبد الرحمن بن حبيب قفصة وقسطيلية ونفزاوة، ولعمران بن حبيب المناطق الشمالية ولالياس بن حبيب بقية إفريقية.

وبعد تأسيس الدولة الإباضية بتاهرت أصبحت نفزاوة تابعة لها وتواصلت تلك التبعية إلى عهد عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (171-208هـ/788-824م) ([31])، غير أنه في سنة 185هـ/801م حاول إبراهيم بن الأغلب أن يضم المنطقة إلى نفوذه ويحد من التأثير الإباضي بها في إطار خطة لاستئصال الدعوة بجنوب إفريقية، فتوجه إلى جبل نفوسة ثم إلى قنطرارة عاصمة الإباضية بقسطيلية، "فنزل عليهم بعيد طلوع الفجر فقتلهم، فاختار من فقهائهم وعلمائهم ثمانين عالما وفقيها وشدهم وثاقا (...) فقيل له إن بنفزاوة رجلا عالما فقيها من علمائهم يقال له أبو بكر يوسف النفوسي، فتوجه إليه فأخذته رسله(...) (فـ)طلبهم الشيخ أبو بكر أن يدَعوه حتى يصلي ركعتين، فلما صلاهما، أخذ في الدعاء إلى الله تعالى، فبعث الله إليهم ريحا عاصفا مظلما فحال بينهم وبين الشيخ، فأخذ ابنه يوسف بيده وكان الشيخ إذ ذاك قد كف بصره ومضى إلى مأواه"([32]). وانطلاقا من هذا النص نلاحظ :

-أن العوامل الطبيعية متمثلة في الرياح الرملية حالت دون أخذ الشيخ أبي بكر، وهذا ليس غريبا بمنطقة معروفة بكثرة رياحها، غير أن المصادر الإباضية اعتبرت ذلك استجابة لدعاء الشيخ واهتمت بنجاته، في حين تغاضت عن أصحابه الثمانين الذين حملوا إلى القيروان وقتلوا عن آخرهم.

([31]) باجية، **الإباضية...**، **نفس المصدر**، ص 81.

([32]) أبو زكرياء، **كتاب السيرة...**، **نفس المصدر**، ص 155-156 ؛ وكذلك : الدرجيني، **كتاب طبقات**، **نفس المصدر**، ص 87 وما بعدها.

-أن الدعوة الإباضية تضررت كثيرا في نهاية القـرن 2هـ/بدايـة القـرن 9م بإفريقية، ومن بين المناطق التي لحقها الضرر نفزاوة، غير أن الخطر الأغلبي لم يهدد قلعة درجين فبقيت بالتالي تابعة للرستميين، في حين أصبحت شبه جزيرة نفزاوة تابعة للدولة الأغلبية.

وعندما كثرت الانتفاضات في عهـد زيـادة الله بـن الأغلـب وخاصـة سـنة 207هـ/823م، لم تبق إلا أربعة مناطق تابعة له وهي نفـزاوة وتـونس والسـاحل وطرابلس، وخرجت عليه إفريقية كلها -كما يقول الصفدي- حتـى القيـروان ([33]). وكانت نفزاوة حينئذ المنطقة الداخلية الوحيدة التي بقيت وفية له.

لكن يبدو أن استمرار الفوضى والاضطرابات أمام عدم قدرة زيادة الله على حسـم الأمر لصالحه، هدد بتوسيع رقعة الثورة، وهو ما شجع بعض نفزاوة على الانتقال إلى المعسكر المقابل والانضمام إلى الثائرين، وبالفعل دعوا إليهم عامر بن نـافع الأزرق وهو أحد مترعمي الثورة، فتوجه إليهم. بل أن الجند أنفسهم تألبوا -والعبارة للصفدي- على زيادة الله بن الأغلب، وأرسلوا إليه كما يقول ابن الأثير : "أن ارحل عنا، وخـل إفريقية، ولك الأمان على نفسك، ومالك، ومن ضمه قصرك" ([34])؛ ويضيف ابن الأثير مصورا الحالة النفسية لابن الأغلب "فضاق به وغمه الأمر"، إذ وصلت وضعيته إلـى أحرج مراحلها مع ميل كفة نفزاوة الموالية له للانقلاب عليه. وكان عليه أن يتحـرك بسرعة قبل أن يسبقه عامر بن نافع إلى نفزاوة، ويفلت من بين يديه زمام الأمور. ولم يكن أمامه حينئذ إلا قبول المبادرة التي تقدم له بها سفيان بن سوادة، وهو أحد المقربين إليه، بأن يمكنه من انتخاب مائتي مقاتل من بين الجنود ليتصـدى بهـم إلـى عـامر المتوجه إلى نفزاوة.

([33]) الصفدي، **الوافي بالوفيات**، نسخة إلكترونية متاحة على الموقع التالي : http://www.alwaraq.com/

([34]) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ص 1153، نسخة إلكترونية متاحة على الموقع التالي : http://www.alwaraq.com/ ؛ أما النسخة الورقية فقد صدرت في بيروت في 12 جزءا سنتي 1965-1966.

ولما وصلوا إليها "دعا (ابن سوادة) برابرها إلى نصرته، فأجابوه، وسارعوا إليــه" ([35]). وفي نفس المعنى يقول النويري : "فاجتمع إليه خلق كثير من زناتــة وغيــرهم وسائر القبائل" ([36]). والتقى الجمعان : جنود ابن الأغلب ومن معه من جهة، وعــامر بن نافع ومن معه من جهة أخرى، "واقتتلوا، فانهزم عامر ومن معه، وكثر القتل فيهم" ([37])، وكان ذلك سنة 209هـ/824م. فما هي انعكاسات هذه المعركة علــى نفــزاوة وعلى حكم ابن الأغلب؟

بالنسبة لنفزاوة، لا شك لدينا أن هذه المعركة قد شهدت مقتل الكثير مــن أبنائهــا الذين وجدوا على جبهتي القتال لانقسامهم بين الطرفين المتحاربين، ثم أن ابن ســوادة دخل قرى نفزاوة الواحدة تلو الأخرى –أو كما يقول النويري– "ففتح البلاد بلداً بلــداً"، مع ما كان يصاحب حركة الجند من رعب وخوف ودمار أو حتى انتقام. وربمــا لــم يقتصر الأمر على هذه النتيجة المباشرة إذ يمكن أن نعتبر هذه المعركة من الأحــداث المؤسسة لما ستعرفه المنطقة في عهود متأخرة من انقسام صفي كما سنفصــل ذلــك لاحقا.

أما بالنسبة لزيادة الله بن الأغلب، فقد أدت الهزيمة التي مني بهــا نــافع بــأرض نفزاوة إلى انقلاب الوضع لفائدته، مقابل تداعي جبهة الثائرين داخل البلاد، حتــى أن أهل قسطيلية أرسلوا إلى ابن سوادة، وهو مازال بنفزاوة "وسألوه أن يجــيء إلــيهم، فسار إليهم، وملك قسطيلية وضبطها" ([38]). وما فتئت بقية المناطق الإفريقية أن عرفت نفس المصير وهكذا دانت ضمها لزيادة الله بن الأغلب وضمها إلى نفوذه ؛ وفي هــذا المعنى يقول الصفدي: "وما زالت الفتوحات تتوالى حتى استقامت له إفريقية وانقطعت الفتنة"([39]).

([35]) **المصدر نفسه.**

([36]) النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، نسخة إلكترونية متاحة على الموقع التالي : http://www.alwaraq.com/

([37]) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ، نفس المصدر.**

([38]) **المصدر نفسه.**

([39]) الصفدي، **الوافي بالوفيات، نفس المصدر.**

وفي سنة 212هـ/ 827م رغب زيادة الله بن الأغلب في أن يجند نفزاوة لفائدة مشاريعه التوسعية الخارجية، وقد استجابت لطلبه، "فجهز أسطولا عظيماً وسيّره إلى جزيرة صقلية، فاستولى على معظم حصونها" ([40]). وهو ما يدل على العلاقة المتميزة التي ربطت نفزاوة بالأغالبة الذين تواصل نفوذهم بها حتى بعد سقوط دولتهم سنة 296هـ/909م. إذ لجأ إليها فيما يبدو عدد من أمراء بني الأغلب، وقد برز من بينهم فيما بعد عبد الله بن محمد الكاتب الذي ولد وتربى بها وتعلم الخط وإنشاء الرسائل وكان عالما بالعربية والبربرية معا، حتى أن بلوكين بن زيري انتدبه ليعمل معه ([41])، وعينه كاتبا ثم عاملا له على القيروان، وبقي في هذا المنصب من سنة 364هـ/974م إلى سنة 379هـ/989م.

أما في العهد الفاطمي، فيبدو أن جميع نفزاوة خضعت لنفوذ القيروان، ومما يدل على ذلك أنه لما فرّ حُباسة بن يوسف سنة 302هـ/914م من قيادة الجيش الشيعي الذي كان بعثه عبيد الله المهدي إلى المشرق، كتب ولي العهد أبو القاسم إلى العمال يأمرهم بإلقاء القبض عليه وهو ما تم فعلا بنفزاوة، ونقل حُباسة إلى القيروان حيث قتل وأفراد عائلته ([42]).

أما في ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد المعروف بصاحب الحمار (332-334هـ/943-945م)، فقد شاركت نفزاوة في معاضدته إذ ناصرته ورفجومة التي تمكنت بمفردها سنة 333هـ/944م من إخضاع كتامة بقسنطينة، وكان من نتائج انتصارها ذاك أن "وافت أبا يزيد حشود البربر من كل ناحية"([43]). لكن تجدر الإشارة هنا إلى أن ورفجومة كانت قد تركت منطقة نفزاوة منذ عدة عقود، وبالتالي فإن عمليات الانتقام التي عقبت فشل ثورة أبي يزيد لم تمس المنطقة، كما أن الإباضية الوهبية لم يتعرضوا للانتقام لأنهم رفضوا استجارة أبي يزيد بهم وذلك بعد هروبه من سجن توزر سنة 325هـ/937م. يقول أبو زكرياء في ذلك :"فمضى (أبو يزيد) نحو

([40]) الزركلي، **الأعلام**، "زيادة الله بن الأغلب"، نسخة إلكترونية متاحة على الموقع التالي: http://www.alwaraq.com/

([41]) Idriss (H. R.), **La Berbérie orientale sous les Zirides, X-XIIe. s.**, Alger 1962, T1, pp. 48-49.

([42]) ابن عذاري، **البيان المغرب**، **نفس المصدر**، ج 1، ص 172.

([43]) ابن خلدون، **العبر**، **نفس المصدر**، ج 4، ص 42.

بني درجين برمل اسماطة، رجا منهم أن يمنعوه، وقد كانوا في قوة عظيمة ينتهون إلى ثمانية عشر ألف فارس فيما بلغنا، وانتحى إليهم، فطلبهم أن يمنعوه ولم يجد عندهم ما يريد، ومضى من عندهم مستخفيا إلى جبل أوراس"([44]).

ولعل هذا الموقف الذي اتخذه إباضية درجين أملته معارضتهم للفرقة النكارية التي ينتمي إليها أبو يزيد. ومع ذلك فإن موقفهم قد سمح لهم بمواصلة حياتهم بأمان لمدة قرن آخر على الأقل. وفي هذه الأثناء كانت مدينتهم خاضعة إداريا لسلطة القيروان، إذ عين بها المنصور بن بلكين بن زيري مقدما إباضيا هو ويجتين أو وحنين بن وريغول، وكان الأمير الصنهاجي يكرم إباضيتها ويقربهم إليه؛ من ذلك أنه استقدم أحد شيوخهم وهو المسمى أبو نوح سعيد بن زنغيل "فلما وصلت رسل المنصور إلى الشيخ توجه نحو دار ويجتين (...) يستشيره في المسير إليه. أيخاف منه أم لا؟ فقال ويجتين: "إن أردت أن تمضي (...) فإنني لا أخاف عليك، وإن أردت أن تقعد فإنا نمنعك ونخاف عليك"، فدعا له ومضى (...) متوجها إلى القيروان فلما وصلها استأذن على السلطان فأذن له، فدخل وسلم عليه وأكرمه المنصور ولاطفه وفضله على كثير من أصحابه"، وذهب إلى حد القول له : سيفي للوهبية"([45]).

وفي سنة 400هـ/1010م عين باديس بن المنصور (385-406هـ/995-1016م.) على نفزاوة ورو بن سعيد وهو من بني خزرون الزناتيين، ويبدو أن هذه التولية لم ترض ورو الذي كان قبل ذلك واليا على طرابلس فانتفض سنة 410هـ، فضُمت ولايته إلى مقاطعة قسنطينة التي كان يتولاها النعيم بن كنون، غير أن تلك التبعية لم تدم إلا سنة واحدة إذ عين على نفزاوة في السنة الموالية خزرون بن سعيد أخو ورو والذي بقي بها إلى سنة 404هـ/1014م([46]).

وفي سنة 406هـ/1016م تولى أمر الدولة الصنهاجية المعز بن باديس (406هـ-454هـ/1016م-1062م) الذي كان لا يتردد في اللجوء إلى القمع، وخاصة إزاء الأقليات المذهبية؛ من ذلك أنه وجه عسكره إلى قلعة درجين "فحاصرها حصارا شديدا، فلما اشتد عليهم الحصار خرجوا عليه خروج رجل واحد يقاتلون،

([44]) أبو زكرياء، **كتاب السيرة...**، نفس المصدر، ص 170.

([45]) **المصدر نفسه**، ص 225.

([46]) ابن خلدون، **العبر**، **نفس المصدر**، ج 7، ص 42.

فقتلوا عن آخرهم واستبيح ما في القلعة" ([47]) وبلغ عدد أولئك القتلى 1500 ([48]) بمعن أنها كانت تعد عدة آلاف السكان. أما عن تاريخ هذه الواقعة، فيذكر أبو زكرياء أنها تمت سنة 430هـ ([49]). أما ابن عذاري فيذكر من بين أحداث سنة 437هـ/1046م ما يلي : "وردت رسل المعز إلى القيروان تخبر أنه أوقع بلواتة وقتل منهم عددا، وغنم منهم أموالا، فضربت الطبول على ذلك" ([50]). وبما أن سكان درجين من لواتة، فمن المرجح أن هذه الحادثة تهم حصار درجين و تدميرها، وتم ذلك حسب ابن عذاري بعد سبع سنوات من التاريخ الذي أورده أبو زكرياء.

تجدر الإشارة من جهة أخرى إلى أن من بين من سقط في تلك الواقعة عدد من أبرز وجوه درجين ومن بينهم الشيخ أبو يعقوب يوسف ابن نفات القنطراري، ومحمد بن سدرين، وعبد الله بن أم أبان ([51]). أما من بقي من سكانها فقد فروا باتجاه الغرب ليلتجئوا لدى أبناء مذهبهم في ورجلان وسوف.

لكن ما لبث الحنين أن هزهم إلى موطنهم الأصلي، فعاد بعضهم بعد مدة ليؤسس مدينة جديدة لا تبعد عن الأولى إلا بضعة كيلومترات وأطلقوا عليها اسم درجين السفلى أو الجديدة ([52])، وهي التي ولد فيها فيما بعد أبو العباس أحمد الدرجيني، وكان بها في النصف الثاني من القرن 6هـ/12م الشيخ ميمون بن أحمد المزاتي الذي يتحدث عنه الدرجيني فيقول : "كان ذا فطنة وذكاء، وعقل ودهاء، وكان مصدّرا بدرجين من قبل مقدمها مولاهم بن علي والجماعة، فكان حكمه عدلا وقوله فصلا" ([53]) أي أنه مفتي المدينة وقاضيها، ويبدو أن الذي عينه في ذلك المنصب مجلس شوري وتم ذلك باتفاق مع المقدم ابن علي.

([47]) معمر (علي يحيى)، **الإباضية في موكب التاريخ، نفس المرجع**، ص 116..

([48]) Lewicki (T.)," Notice sur la chronique ibadite d'Ad-Dargini", in, **Rocznik Orjentalistyczny**, T. XI, 1935, p.150.

([49]) أبو زكرياء، **كتاب السيرة...، نفس المصدر**، ص 305؛ ويذكر الدرجيني أن تخريب درجين كان سنة 430هـ انظر : **باجية، الإباضية...، نفس المرجع**، ص 147.

([50]) ابن عذاري، **البيان المغرب، نفس المصدر**، ج 1، ص 276.

([51]) باجية، **الإباضية...، نفس المرجع**، ص 147.

([52]) Lewicki, "Notice...", **op. cit**., p. 150.

([53]) يذكر ذلك : معمر، **الإباضية في موكب التاريخ، نفس المرجع**، ص 143-144.

غير أن أمر درجين آل إلى التراجع منذ ذلك العهد. وفي الحقيقة فإن ذلك يـــرتبط بالتحولات الكبرى التي عرفتها إفريقية منذ أواسط القرن 5 هـ/11م والمتصلة بزحف بني هلال.

الفصل السادس

نفزاوة من الزحف الهلالي
إلى سقوط الدولة الحفصية

1-الزحف الهلالي وتعريب نفزاوة :

شهدت إفريقية منذ منتصف القرن 5هـ تحولات عميقة طبعتها إلى حد الآن، وترتبط تلك التحولات بزحف بني هلال. ولم تكن منطقة نفزاوة بمعزل عما شهدته إفريقية نظرا لقربها من الطريق الشرقي الذي سلكه القادمون الجدد، فكيف استقبلتهم؟ وما هو تأثيرهم عليها؟

لقد استجاب المعز بن باديس لتأثير الرأي العام السني المناوئ للشيعة، فدشن عهده بصدام مع الفاطميين، وتطور ذلك فيما بعد إلى قطيعة سياسية بين القيروان والقاهرة، مما جعل الخليفة الفاطمي يأذن بزحف قبائل بني هلال وسليم على إفريقية عقابا لواليها "العبد الآبق" فساروا إليها "كالجراد المنتشر لا يمرون بشيء إلا أتوا عليه"، كما يقول ابن خلدون([1]). وفي الحقيقة فإن الأزمة المتعددة الأبعاد بإفريقية كانت عاملا حاسما في نجاح ذلك الزحف، إذ تمكن الهلاليون من الانتصار على سلطة القيروان في موقعة حيدران سنة 444هـ/1052م، "واضطرب أمر إفريقية وخرب عمرانها وفسدت سابلتها"([2]). وإذ تبالغ المصادر المكتوبة في تصوير التأثير السلبي لذلك الزحف وما سببه من خراب ودمار، فإنها لا تشير إلى أنه ساهم في تعريب البلاد وأدخل تغييرات جوهرية على تركيبتها البشرية والمذهبية في اتجاه الانسجام والوحدة.

([1]) ابن خلدون، العبر، **نفس المصدر**، ج 6، ص 14.

([2]) **المصدر نفسه**، ص 16.

غير أن ما تذهب إليه المصادر المكتوبة قد يعدله أو يدعمه التراث الشفوي الـــذي يصور عمليات الالتقاء الأولى بين قبائل بني هلال وسليم والسكان القـــدامى للـــبلاد، ولكن دراسة ذلك تتجاوز إطار بحثنا ولذا سنكتفي بإيراد بعض الأمثلة مـــن التـــراث اللامادي الذي ما يزال شائعا في منطقة نفزاوة :

المثال الأول : وهو عبارة عن مثل شعبي نصه : "اللي وراه لريـــاح عمـــره مـــا يرتاح"، ورياح هي إحدى أهم القبائل الهلالية وكانت عند دخولها إفريقية "مـــن أعـــز قبائل هلال وأكثرهم جمعا" حسب تعبير صاحب العبر([3]). ولذلك فقد سبقت غيرها إلى إفريقية وكانت تحت قيادة أميرها موسى بن يحيى الضنبري ([4])، ويشير المثل إلى ما نشرته رياح من رعب وخوف.

المثال الثانـــي : وهي مجموعة من المقولات تنسب إلى زياد بن عامر الذي يعرف في المنطقة باسم "بومخيبر" وقد ذكر ابن خلدون أنه كان رائد الهلاليين وخبيرهم فـــي دخول إفريقية ([5]). وتتعرض مقولاته إلى قرى نفزاوة واحـــدة واحـــدة، وتحـــاول أن تصور حالتها العامة في بيتين من الشعر. غير أننا لن نتعمق في دراسة تلك المقولات، وإنما نكتفي بواحدة منها، اشتهرت أكثر من غيرها، يقول فيها بومخيبر :

نفـــــــــــــــزاوة النكـــــدين شـــر البلى سكانها

تم يحفروا على بعضهم بعض لن تغبى سيسانها ([6])

ومن المرجح أن بومخيبر يقصد بنفزاوة مدينة معينة، ومما يدعم ما نـــذهب إليـــه نص البكري الذي يتحدث عن هذه المدينة، وهي فيما يبدو من وصفه بشري الحاليـــة كما سنبين ذلك ([7]).

([3])**المصدر نفسه**، ص 31.

([4]) **المصدر نفسه**، ص 32.

([5]) **المصدر نفسه**، ص 16.

([6]) أي أن نفزاوة شديدة النكد بسبب ما يتصف به أهلها من شر وحسد، إذ أنهم يحفرون حفر السوء لبعضهم البعض وهو ما سيؤدي حتما إلى زوال أسسها وقواعدها.

([7]) البكري، **المسالك، نفس المصدر**، ص 47.

وسواء كانت هذه المقولات معاصرة للزحف الهلالي أو لاحقة له فهي تعكس نظرة سلبية ومعادية للمنطقة إذ تصورها على أنها عنوان الشر والبلاء والدسائس والخوف والتباغض والحسد... بما يعكس جانبا من الدعاية التي كان يبثها الغزاة من بني هلال وسليم ضد المنطقة، لإيهان عزائم سكانها ودفعهم إلى اليأس من المستقبل، وهو ما من شأنه أن يفتح بلادهم على مصراعيها أمام جحافل أولئك الغزاة.

وإذا كان من نتائج الزحف الهلالي أن انقسمت البلاد إلى إمارات عديدة مستقلة، فإن نفزاوة أصبحت تابعة لإمارة بني الرند بقفصة. فكيف قامت هذه الإمارة؟ وكيف كانت حالة نفزاوة فيما بين منتصف القرن 5هـ/11م، تاريخ الزحف الهلالي، ومنتصف القرن 6هـ/12م، تاريخ ضم إفريقية إلى الدولة الموحدية؟

كان الصنهاجيون قد عينوا على قفصة عبد الله بن محمد بن الرند وأصله من بني صدغيان من جربة، أما ابن نخيل مؤرخ الدولة الحفصية فيقول إنه من بني مرين من مغراوة الذين كانوا مستقرين بالجرسين بنفزاوة ([8])، ولكن لا ندري هل أن هذه العائلة البربرية توجهت إلى قفصة بعد تعيين عبد الله بن الرند واليا عليها أم قبل ذلك؟ على أنه من المؤكد أن انحدار بني الرند من المنطقة يسّر عليهم بسط نفوذهم عليها بعد الزحف الهلالي وإعلانهم الاستقلال سنة 445هـ /1053م. وبقيت عائلة بني الرند تتحكم في مدينة قفصة وتوابعها لمدة تفوق القرن، ويعود ذلك إلى خضوعهم للهلاليين، إذ كانوا يدفعون لهم الإتاوة مقابل عدم المساس بأمن الإمارة وقطع طرقاتها. ويبدو أن ذلك سمح بتحقيق ازدهار شامل للإمارة لعل من مؤشراته :

- اهتمام الأمير عبد الله بن محمد بن الرند بالشعراء ورجال الأدب والدين.

- امتداد نفوذ الدويلة الرندية في عهد المعتز بن عبد الله الذي "انقاد إليه الناس فضبط الأمور وجبى الأموال واصطنع الرجال".

ولا شك أن نفزاوة تمتعت بدورها بنتائج ذلك الإستقرار، وبالتالي فإن الخراب الذي تتحدث عنه المصادر المكتوبة والذي تنسبه لبني هلال وسليم كان نسبيا بهذه المنطقة.

([8]) ابن خلدون، **العبر**، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1956-1957، ص 338 وما بعدها.

كذلك يمكن التأكيد على أن تعريب نفزاوة تمّ في هدوء نسبي بفعل الاحتكاك بين البربر والقادمين الجدد من أعراب الشريد وزغب الذين "ملكوا بها القفار والمياه وكثرت نفزاوة وهم لهذا العهد عامة أهلها"([9]). ويبدو أن الأهمية العددية للسكان الجدد سمحت بتسريع عملية التعريب. وتعربت حتى القبائل النفزاوية التي كانت غادرت المنطقة منذ القرن 2هـ/8م واستقرت بمناطق أخرى ومن بينها إحدى بطون ولهاصة التي كان أفرادها في القرن 8هـ/14م بمنطقة عنابة "يركبون الخيل ويأخذون بمذاهب العرب في زيهم ولغتهم وسائر شعارهم" كما يقول ابن خلدون([10]). وهو ما يعني أن التعريب مس كلا من المنطقة والقبيلة أو بعض بطونها، وذلك على الأقل في القرن 8هـ/14م.

من ناحية أخرى، لم تنغلق منطقة نفزاوة بعد الزحف الهلالي وإنما بقيت مفتوحة أمام مهاجرين أو لاجئين جدد من القبائل العربية أيضا، ويمكن أن نذكر من أهم من قدم إليها فيما بين القرن الثامن للهجرة/14م والقرن 13هـ/19م:

– المرازيق الذين نزلوا بجنوب المنطقة أواخر القرن 8هـ/14م وبداية القرن 9هـ/15م ([11]) واتخذوا من دوز قاعدة لهم وسهول الظاهر مجالا لظعنهم.

–المحاميد الذين يرجعون إلى محمود بن طوب بن بقية بن وشاح بن عامر، ويبدو أنهم قدموا من جهات طرابلس في القرن 10هـ/16م واستقروا ببلدة قبلي ([12]). كما قدم من نفس الجهات مهاجرون آخرون استقروا بقرى أخرى من بينها الرابطة.

–أولاد يعقوب : ويبدو أن قدومهم كان متأخرا نسبيا، وقد جعلوا من قرية نقة مركزا لهم ([13]).

مع الملاحظ هنا أن هذه القبائل جميعها ترجع إلى بني سليم.

([9]) ابن خلدون، **العبر**، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت 1979، ج 6، ص 413.

([10]) **المصدر نفسه**، ص 116.

([11]) المرزوقي (محمد) والمرزوقي (علي)، **ثورة المرازيق 1943**، دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس 1979، ص 21-22.

([12]) Moreau, **Le pays des Nefzaouas, op. cit**., p. 93.

([13]) **Ibid**., p. 89.

هذا من ناحية إثنية أما من الناحية المذهبية، فمثلما كان الزحف الهلالي عنصرا مساعدا لإفريقية في تخليها عن المذهب الشيعي منذ القرن 5هـ/11م، فإن مجيئ القبائل العربية إلى منطقة نفزاوة ساهم في تراجع المذهب الإباضي الذي تضرر بعد تدمير عاصمته درجين قبيل الزحف الهلالي. وإن تواصل وجوده بعد ذلك على الأقل إلى القرن 7هـ/13م، فإنه مافتئ أن اضمحل تماما واعتنقت نفزاوة كسائر إفريقية المذهب السني المالكي.

لكن كيف تطورت الأحداث السياسية بإفريقية بعد ضمها إلى الدولة الموحدية؟ وما هو موقع نفزاوة في تلك الأحداث؟

2- نصف قرن من الإضطراب :

قام عبد المؤمن بن علي بتوحيد المغرب الإسلامي وقضى بالتالي على دويلات إفريقية ومن بينها إمارة بني الرند بقفصة بعد أن فتحها سنة 554هـ/1159م، وأصبحت إفريقية ولاية تابعة للدولة الجديدة. غير أنها سرعان ما أصبحت عرضة للمغامرين المطالبين بالسلطة، ولعل من أولهم علي بن عبد العزيز بن المعتز من بني الرند الذي استقدمه أهل قفصة سنة 563هـ([14])، فتدخل الخليفة الموحدي أبو يعقوب يوسف ووضع حدا لهذه المحاولة وقضى نهائيا على عائلة بني الرند. أما أهم أولئك المغامرين فهم : شرف الدين قراقوش، أحد مماليك صلاح الدين الأيوبي([15])، وبنو غانية حكام جزر الباليار والذين عبروا إلى المغرب الأوسط ثم إلى إفريقية في محاولة لإحياء الدولة المرابطية من جديد.

استولى قراقوش على جنوب إفريقية ومن ضمنها نفزاوة "وجمع أموالا جمة، وجعل ذخيرته بمدينة قابس". ويبدو أن الاضطراب عم المنطقة بفعل قبائل بني سليم، إذ يقول ابن خلدون : "وخربت تلك البلاد أثناء ذلك باستيلاء العرب عليها ولم يكن لهم قدرة على منعهم" ([16]). ومما زاد في ذلك الاضطراب انسحاب بني غانية من المغرب الأوسط نحو إفريقية بعد هزيمتهم أمام الجيش الموحدي. وتحالف قراقوش مع هؤلاء

([14]) ابن خلدون، **العبر**، **نفس المصدر**، ج 6، ص 166.
([15]) **المصدر نفسه**، ج 5، ص 286.
([16]) **المصدر نفسه**.

المغامرين الجدد على أن يكون له الجنوب الشرقي إلى طرابلس، ولعلي بن غانية المنطقة المحيطة بشط الجريد والتي اتخذها منطلقا للسيطرة على كافة إفريقية، ولم يبق للموحدين غير المهدية وتونس.

وفي سنة 584هـ، قدم المنصور الخليفة الموحدي فهزم بني غانية وأجبرهم على التراجع جنوبا، ولكن ما إن عاد إلى المغرب، حتى عادوا إلى الركح من جديد وتمكنوا من السيطرة على بلاد الجريد "إلى أن هلك علي (بن غانية) في بعض حروبها مع أهل نفزاوة سنة أربع وثمانين (وخمسمائة) أصابه سهم كان فيه هلاكه فدفن هنالك وعفي على قبره"، وتولى الأمر بعده أخوه يحيى ([17]).

لكن بداية من سنة 586هـ، انحل التحالف بين قراقوش وبني غانية، وذلك بعد إعلان قراقوش ولاءه للموحدين. ودخل الطرفان منذئذ في صراع على مناطق النفوذ وكانت نفزاوة من بين مجالات ذلك الصراع، إذ حاصر يحيى بن غانية ياقوت "نائب قراقوش في طرة حتى أخذه وأخذ من الغز الذين كانوا معه مائة فارس أضافهم إلى جنده"([18]). وكان من نتائج ذلك الانتصار بنفزاوة أن التفّت عليه العربان، وتمكن من الاستيلاء على بلاد الجريد، ثم توجه شمالا إلى أن دخل تونس سنة 600هـ/1203م، ولم يعد له بإفريقية منازع. وعندئذ أدرك الخليفة الموحدي الناصر خطورة الوضع بالولاية الشرقية فتوجه نحوها، فخرج يحيى بن غانية ومن معه من تونس إلى القيروان ثم قفصة، ثم الحامة حسب ابن الأبار (595-658هـ/1199-1260م)، ومن هناك اتجهوا إلى نفزاوة "ليتقوتوا من ثمراتها ويستدروا -ريثما تصلهم أمدادهم- أخلاف خيراتها" ([19]). وفي ذلك إشارة واضحة إلى أن سبب تراجع ابن غانية إلى نفزاوة يعود إلى ما تتوفر عليه من ثروات فلاحية وأعلاف. غير أن ابن نخيل يعيد سبب ذلك إلى أن أهل طرة بنفزاوة ثاروا على نائب يحي بن غانية بمنطقتهم مستغلين تراجعه الدراماتيكي أمام الخليفة الموحدي، فما كان من ابن غانية -لما بلغه الأمر- إلا أن اعتزم الانتقام منها "فوصل إليها وقاتلها حتى افتتحها ثم أطلق الجند عليها فقتلوا الرجال وانتهبوا الأموال وافترعوا الأبكار وأخربوا المنازل والديار (...)"، ويضيف

([17]) **المصدر نفسه**، ج 6، ص 193.

([18]) التجاني، **الرحلة**، **نفس المصدر**، ص 147، نقلا عن الفاضل البيساني.

([19]) ابن الأبار، **إعتاب الكتاب**، ص 54. نقلا عن الموقع التالي : http://www.alwaraq.com/

ابن نخيل أنه "ترك طرة خاوية على عروشها وخرج من سلم من أهلها فتفرقوا في بلاد نفزاوة"([20]). لا شك لدينا أن هذا الانتقام الدموي المروع يعكس حالة الفوضى التي كان عليها جنوده وهم يتراجعون أمام الجيش الموحدي الجرار، فضلا عن أنه يمثل بالنسبة لابن غانية انتقاما شخصيا من منطقة ثارت ضد أخيه من قبله وتسببت في مقتله سنة 584هـ/ 1188م ([21]). ومع ذلك هل كان لهذا الانتقام أن يصل تلك الدرجة من الشدة لو لم يقم أهل طرة بثورة حقيقية لأسباب اقتصادية وإيديولوجية قد تبدو جلية للعيان؟

إن تراجع ابن غانية إلى نفزاوة حتمه موقعها المحمي طبيعيا، ولكن خاصة ما تتوفر عليه من تموين لجيشه، حسب ما يفهم من شهادة ابن الأبار المعاصر للأحداث. وهو ما من شأنه أن يتعارض مع مصالح السكان المحليين. وربما استغل الدعاة الموحدون هذه الوضعية للتحريض عليه والثورة ضده، أو هذا ما يمكن فهمه مما أورده ابن نخيل الذي يذكر أن ابن غانية وجد بطرة "رجلين من أجناد الموحدين كانا قاطنين بها منذ زمان، فضرب رقابهما صبرا". ومهما يكن من أمر هذين الرجلين، وحقيقة الدور الذي قاما به في المنطقة، فإن قتلهما جعلهما من ضحايا ابن غانية مثلهما في ذلك مثل أهل طرة، وهو ما ساهم في سهولة استقبال نفزاوة للموحدين، في حين تراجع ابن غانية ومن معه باتجاه الصحراء. وفي هذا المعنى يقول ابن الأبار "فلما أبطأ رسولهم، وتقلص بطول الانتظار مأمولهم، انصرفوا على أدراجهم إلى زميط (...) ونزلوا من شعفات الجبال إلى قرار البوار". وتحول ابن غانية إلى مجرد قاطع طريق إلى أن توفي سنة 633هـ/1236م.

بينما اتجهت إفريقية نحو الاستقرار بعد أن عين الخليفة الناصر على رأسها سنة 603هـ/1207م أبا محمد بن أبي حفص أحد أشهر القواد الموحدين، وهو الذي أعطى اسمه للعائلة التي ستحكم البلاد التونسية لما يقرب من ثلاثة قرون، إذ انتقلت السلطة من بعده إلى أبنائه الذين أعلنوا الاستقلال عن الدولة الموحدية سنة 634هـ/1237م.

إن تلك الأحداث التي عرفتها نفزاوة طيلة نصف قرن تؤكد على :

([20]) التجاني، **المصدر نفسه**، نقلا عن ابن نخيل.

([21]) ابن خلدون، **العبر**، **نفس المصدر** ج 6، ص 193.

- أنها كانت عرضة للاضطراب والخراب الذي تجاوز ما أحدثه بنو سليم بالمنطقة مما أثر على حياة الاستقرار بها. ولعلها شهدت آنذاك أكثر من ذي قبل نمو ظـــاهرة البدونة.

- أن استيلاء المغامرين عليها وإصـــرارهم علـــى ذلـــك يؤكـــد علـــى أهميتهـــا الإستراتيجية باعتبار موقعها خلف الشطوط، وكذا أهميتها الاقتصادية إذ كانت منتجـــا هاما للتمور.

لكن ما هي حالة نفزاوة بعد قيام الدولة الحفصية؟ وما هي انعكاسات ما كان يحدث بتونس عليها؟

3- نفزاوة في العهد الحفصي :

يبدو أن نفزاوة استفادت من القضاء على بني غانية فخضعت إلى الدولة الناشـــئة وخاصة في عهد أبي زكرياء يحيى الأول وخليفته أبي عبـــد الله المستنصـــر(625-675هـ/1228-1277م)، إذ كانت الدولة الحفصية خلال هذه الفترة ذات طموحـــات تتجاوز حدود إفريقية بعد أن استطاعت أن تخضع القبائل العربية القوية وتجعل حـــدا لعنفها وتمردها. وبذلك أصبحت إفريقية موطن أمن وسلام، وهو ما كان وراء ترشيح أميرها إلى لقب الخلافة، حتى جاءته البيعة من مناطق عديـــدة فـــي غـــرب العـــالم الإسلامي وشرقه ([22])، لكن الدولة الحفصية ما لبثت أن ضعفت بعد ذلك، وتواصـــل تراجعها إلى سنة 772هـ/1370م، ولعل من مؤشرات ذلك :

-الصراع على السلطة : إذ في الفترة الفاصلة بين سنتي 675-683هـ/1277-1284م تولى السلطة ثلاثة أمراء أزيحوا بالقوة وانتهت حياتهم جميعا بالقتـــل. كمـــا انقسمت الدولة إلى إمارتين شرقية بتونس وغربية ببجاية.

- تعـــرض الـــبلاد إلـــى الغـــزو الخـــارجي : إذ وقـــع احـــتلال جربـــة ســـنة 682هـ/1283م، وهاجم المرينيـــون ســـنتي 748هـــ/1347م و758هـــ/1357م الحاضرة الحفصية وسيطروا عليها.

([22]) الشريف، **تاريخ تونس، نفس المرجع**، ص 53.

وفي بداية فترة الضعف هذه، شاركت نفزاوة في تغليب كفة أحمد بن مرزوق بن أبي عمارة الذي ادعى انتسابه للعائلة الحفصية وانطلق من طرابلس يطالب بالعرش. وعندما وصل إلى قابس سنة 681هـ/1282م بايعته مناطق الجنوب ومن بينها نفزاوة ([23]). وتمكن بعد ذلك من الإستيلاء على العاصمة وبقي بها إلى سنة 683هـ/1284م. غير أن الصراع على السلطة الحفصية لم يهدأ مما جعل المنطقة الجنوبية تتولى تسيير أمورها بنفسها، ويعيد ابن خلدون بداية ذلك إلى سنة 686هـ/1287م، إذ انقسمت قرى الجنوب بين شقين متنازعين، ضم الأول توزر وكنومة وضم الثاني سدادة ونفطة وتقيوس. وفي البداية تغلب الشق الأول الذي كان يقوده محمد بن أبي بكر التينملل عامل الحفصيين على توزر. لكن تدخلت نفزاوة لترجح كفة الشق المنهزم. وجاءت منها تعزيزات زحفت على قوات العامل الحفصي فانهزمت جموعه وتراجعت إلى توزر بعد سقوط العديد من القتلى. لكنه غزا سدادة ثانية وعقد صلحا مع أهلها على أن يكون "رؤساء نفزاوة منهم فأمضى شرطهم وكان (ذلك) أول استبداد أهل الجريد" ([24]). ومن خلال ذلك يمكن نلاحظ ما يلي :

- أن مصير نفزاوة في هذه الفترة، كان مرتبطا بالجريد خاصة وأنها كانت قبل سنة 686هـ تابعة إداريا له، ويمكن سحب ذلك على كامل العهد الحفصي أو بالأحرى فترات القوة فيه.

- أن نفزاوة تخلصت عند ضعف الحفصيين من الخضوع لهم، وربما تخلصت من التبعية لتوزر أيضا، وهذا ما يمكن أن نستنتجه مما ذكره ابن خلدون حول قرى نفزاوة، إذ لما تقلص ظل الدولة الحفصية عنها "وحدثت العصبية في الأمصار استبدت كل قرية بأمرها وصار مقدم توزر يحاول دخولهم في إيالته فمنهم من يعطيه ذلك ومنهم من يأباه"([25]).

وفي الحقيقة، فإن بلاد الجريد نفسها تقلص عنها نفوذ الدولة الحفصية، وصار أمرها "شورى من المشيخة الا في الأحايين يؤملون الاستبداد كما كانوا عليه من قبل

([23]) ابن خلدون، **العبر**، **نفس المصدر**، ج 6، ص 302.
([24]) **المصدر نفسه**، ص 308.
([25]) **المصدر نفسه**، ص 116.

الموحدين"([26])، أي أن الحكم أصبح بيد مجموعة من البيوتات الأرستقراطية ومن بينها بنو الخلف بنفطة. ويعود نسب هؤلاء إلى "غسان من طوالع العرب، انتقل جدهم من بعض قرى نفزاوة إلى نفطة (...) وكان لبنيه بها بيت واستبد هؤلاء الإخوة الأربعة أزمان الشورى"([27]). ولعل انحدار هذه الأسرة من نفزاوة دعم تبعية المنطقة إلى بلاد الجريد ثم أنه يفسر مناصرة نفزاوة سنة 686هـ للشق الذي يضم نفطة في صراعه مع توزر.

وفي سنة 706هـ/1307م، قدم إلى نفزاوة الجيش الحفصي بقيادة أبي يحيى زكرياء بن اللحياني، وقد سجل لنا عبد الله التجاني تلك الزيارة، ومن خلال ملاحظاته يبدو أن المنطقة كانت تفتقد إلى سلطة فعلية على عكس مناطق أخرى كالجريد مثلا، وكل ما أشار إليه بالنسبة لنفزاوة هو :

- أن لها قاعدتان هما طرة وبشري، وبالتالي فمن الممكن أن يكون بهما ممثل للسلطة.

- أن هناك بقرية طرة قصبة كان ينزل بها الولاة، لكن "أعادها الخراب دكا فلم يبق منها غير سورها المحيط"([28]). وبالتالي فإن السلطة بنفزاوة تراجعت إلى أقل من مستوى الولاية.

ورغم أن الجيش الحفصي جاء ليفرض الولاء للدولة عبر استخلاص الضرائب، فإن التجاني لم يشر إلى تلك العملية بنفزاوة. أما بالنسبة لبلاد الجريد فقد اكتفى أبو يحيى اللحياني بجمع الضرائب وإقرار حكام توزر عليها ([29])، واعترف بالتالي بالسلطة المحلية. وفي الحقيقة فإن حالة الدولة آنذاك لم تكن تسمح بأكثر من ذلك، إذ كانت تتآكلها الصراعات حتى أنه بعد وفاة السلطان أبي عصيدة سنة 709هـ/1309م خلفه أبو بكر الذي لم يبق بمنصبه غير سبعة عشر يوما فقط ([30])، وتواصل الصراع على السلطة إلى سنة 772هـ/1370م. وفي أثناء ذلك وقعت محاولات جدية لإخضاع

([26]) **المصدر نفسه**، ص 344.

([27]) **المصدر نفسه**، ص 415.

([28]) التجاني، **الرحلة**، **نفس المصدر**، ص 142.

([29]) ابن خلدون، **العبر**، **نفس المصدر**، ج 6، ص 320.

([30]) **المصدر نفسه**.

منطقة الشطوط إلى الدولة الحفصية وخاصة في عهد أبي بكر الثاني (718-747هـ/1318-1846م. فقد توجه هذا السلطان سنة 735هـ إلى قفصة ([31]) وفتحها ثم عين عليها ابنه أبا العباس وكلفه بضم بقية المنطقة إلى نفوذه، وقد نجح فعلا في ضم نفطة بعد حصار شديد قطع خلاله نخيلها "وتملك الكثير من نفزاوة "([32]) في محاولة لعزل إمارة توزر القوية. إلا أن السيطرة على هذه المدينة لم يتم إلا سنة 745هـ بمساعدة من نفزاوة، إذ قامت السلطة الحفصية باستغلال الصراع على النفوذ بتوزر بين بني يملول، ودعمت أحدهم بعد أن كان سجينا لديها فتوجه إليها مع من انضم إليه "من الأعراب وحشد نفزاوة والمجاورين لها في القرى الظاهرة"، وتمكن من دخولها ([33]).

لقد كانت الدولة الحفصية في زمن ضعفها تخشى السلطات المحلية وتتعامل معها بحذر شديد ولم تستطع فترة أبي بكر الثاني أن تفل في قوة تلك السلطات، إذ ما إن توفي حتى رجع الأمراء المحليون إلى ما كانوا عليه بل "لقد حدثتهم أنفسهم بألقاب الخلافة وأقاموا على ذلك" كما يقول ابن خلدون ([34]) إلى الربع الأخير من القرن 8هـ، أي إلى أن استعادت الدولة الحفصية بعض قوتها من جديد، وقد وقد حكم خلال هذه الفترة أربعة سلاطين عظام أولهم أبو العباس (772-796هـ) وآخرهم أبو عمرو عثمان (839-894هـ/1435-1488م).

توجه السلطان أبو العباس بنفسه سنة 777هـ نحو الجنوب الغربي فضم إليه قفصة وولاها لابنه أبي بكر ثم توزر التي أسندها لابنه المنتصر، وخضع بنو الخلف بنفطة إراديا إلى سلطته. وفي سنة 790هـ، أضاف عمل نفزاوة إلى نفطة وعين عليها ابنه زكرياء ([35]). ولكن وفاة أبي العباس وتولية ابنه أبي فارس عزوز (796-837هـ/1394-1434م) جعلت إخوته بالجريد يخشونه ففر المنتصر إلى الحامة

([31]) المصدر نفسه، ص 344.

([32]) المصدر نفسه، ص 351.

([33]) المصدر نفسه، ص 414.

([34]) المصدر نفسه، ص 387.

([35]) المصدر نفسه، ص 388-389.

ولحق أبو زكرياء بجبال نفزاوة ([36])، وذلك يدل على معرفته بحصانة المنطقة التي كانت تابعة له؛ إلا أن السلطان الجديد سلك سياسة لم تكن متوقعة إذ "ألّف بين إخوته واعتضد بهم في السعيدة دولته"([37]).

وفي إطار ذلك خضعت منطقة نفزاوة –فيما يبدو– للسلطة الحفصية طيلة القرن 9هـ/15م وكان ذلك بواسطة بني مسكين شيوخ حكيم. فمن هم هؤلاء؟

تنحدر هذه القبيلة العربية من بني سليم، وقد كانت تستوطن منطقة الساحل التونسي وتمكنت سنة 749هـ/1348م من فرض نفسها على السلطان أبي الحسن فأقطعها مدينة سوسة، وكان يقودها آنذاك خليفة بن عبد الله بن مسكين، ثم انتقلت المشيخة من بعده إلى ابن أخيه عامر بن محمد بن مسكين. وعندما تولى أبو العباس أحمد العرش الحفصي "انتزع ما بأيدي العرب من الأمصار" ([38])، حسب تعبير ابن خلدون، مما جعلهم يثورون عليه ومن بينهم شيخ حكيم أبو صعنونة أحمد بن محمد بن عبد الله بن مسكين. غير أن السلطان انتصر عليهم وتمكن من تشتيتهم فانقسمت رئاسة حكيم بين عبد الله بن محمد الذي أعلن ولاءه للدولة وأبي صعنونة الذي يبدو أنه سيطر على نفزاوة في هذه الفترة.

وفي سنة 810هـ/1408م، واجهت قبيلة حكيم السلطان أبا فارس عبد العزيز بين الحامة ونفزاوة فيما عرف (بوقيعة عين الغدر) وانتصرت عليه. ولكن للمفارقة أن هذه الموقعة حولت موقف حكيم من مواجهة الدولة إلى مناصرتها، وقد لعب شيخها المرابط أحمد بن أبي صعنونة دورا هاما في ذلك التحول، إذ "رجع على أصحابه الذين كانوا ينهبون المحلة ويقتلون رجالها فردهم، وأتى هو إلى السلطان فقبله ورضي عنه"([39]).

([36]) **المصدر نفسه**، ص 403.

([37]) ابن القنفذ (أبو العباس أحمد بن حسين)، **الفارسية في مبادىء الدولة الحفصية**، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس 1968، ص 189.

([38]) ابن خلدون، **العبر**، **نفس المصدر**، ج 6، ص 83.

([39]) الزركشي (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم)، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، المكتبة العتيقة، تونس 1966، ص 123.

وفي نفس تلك السنة، ناصرت حكيم أبا فارس ضد الأمير أبي عبد الله محمد ([40])، كما ناصرت خليفته أبا عمرو عثمان سنة839هـ/1436م، ضد الأمير أبي الحسن الذي كان يطالب بالسلطة ([41]). وكان شيخ هذه القبيلة آنذاك سعيد بن أحمد بن أبي صعنونة الذي بقي إلى سنة 857هـ/1453م. وفي رمضان من هذه السنة، أغمي عليه فظن أبناؤه أنه مات، فتوجهوا نحو العاصمة لتعيين أحدهم مكانه "فوقع بين عامر وأخيه مقاتلة في طريقهم، جرح فيها محمد وتأخر، وقدم أخوه عامر لتونس ومعه ولده وأخوه عبد الله، فأمر السلطان بالقبض عليهم فاعتقلوا بتونس، ثم قدم محمد فأكرمه وقدمه عوض أبيه، ثم ورد الخبر أن الشيخ سعيد أفاق فأطلق عامر ثم توفي الشيخ في ذي القعدة من العام (ديسمبر 1453م) فاستقل محمد بالمشيخة"([42]). وما يمكن التأكيد عليه بالتالي أن نفزاوة خضعت كليا للسلطة المركزية التي كانت تهدف من التدخل في شؤون قبيلة حكيم إلى ضمان ولائها، كما كان لها من يمثلها بالمنطقة. وكان قائد نفزاوة سنة 873هـ/1469م. يسمى إبراهيم بن محمد بن عصفور ويساعده في قبض الجباية وضبطها موظف يسمى أبو محمد ([43]).

غير أن هذا القرن الخامس عشر، عرف بروز سلطة جديدة بالمنطقة هي سلطة الطرقية، فقد قدم إلى نفزاوة العديد من الأولياء الصالحين من بينهم حمد الغوث بدوز وعمر المحجوب بالعوينة ([44]) وحامد الشريف بالمنشية ونصر بالرشاش بالرابطة وزيدان ببوعبد الله ([45]). ويمكن أن نضيف إليهم أحمد بن محمد التباسي أو الدباسي ([46])، أحد مريدي الشيخ أحمد بن مخلوف الشابي (1443-1482). وكثرت الزوايا حتى أن أبا سالم العياشي عندما جاء إلى المنطقة في القرن

([40]) **المصدر نفسه**، ص 123-124.

([41]) **المصدر نفسه**، ص 138.

([42]) **المصدر نفسه**، ص 148.

([43]) المرزوقي، **ثورة المرازيق**، **نفس المرجع**، ص 21-22.

([44]) **المصدر نفسه**، ص 22.

([45]) Moreau, **Le pays des Nefzaouas, op. cit.**, p. 91.

([46]) الغزّي (نجم الدين)، **الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة**، ص 79 ؛ نسخة إلكترونية متاحة على الموقع التالي : http://www.alwaraq.com/

السابع عشر وجد أهاليها يعتقدون أن معنى نفزاوة هو "ألف زاويـــة" ([47]). وقـــد ذاع صيت هؤلاء الأولياء وأصبـــحت زواياهم مراكز إطعام وحماية وتعبد، واستـــــفادوا هم بدورهم وكذا أحفادهم من بعدهم من تلك المكانة، فكـــانوا يســـعون إلـــى جمــــع الأراضي والعقارات، من ذلك أن عمر المحجوب اشترى بســـتانا بواحة بلدة نقة ([48]) التي تقع على بعد أكثر من 40 كم من مقر زاويته بالعوينة، ويحمل أحـــد المواضـــع قرب نقة إلى حد الآن اسمه (شوشة سيدي المحجوب)، كما استطاع حامد الحـــــشاني أن يحبس على أبنائه مساحات شاســـعة من سهول السقي والشارب ([49]).

لكن يبدو أن قوة الزوايا كانت في جانب منها على حساب نفوذ الدولـــة الحفصـــية التي دخلت منذ نهاية القرن 9هـ/15م مرحلة من الضعف والانحلال، ورغـــم ذلـــك بقيت نفزاوة على الأقل إلى حدود الربع الأول من القرن 10هـ/16م خاضعة لنفـــوذ الحاضرة، وهذا ما يفهم من النص التالي للحسن الوزان : "تتركب نفزاوة مـــن ثلاثــــة حصون متقاربة (...) وسكانها فقراء لأنهم مثقلون بالضرائب من قبل ملـــك تـــونس" ([50])، غير أن هذا الضغط الجبائي سيخف بعض الشيء عندما انهيار الدولة الحفصية. وفي حين أصبحت السواحل محل نزاع بين الإسبان والعثمانيين، اتجهت نفزاوة أكثـــر للاحتماء بالطرقية، وربما فكر الشابيون آنذاك في ضمان ولائها لهـــم، مـــن خـــلال داعيتهم بنفزاوة أحمد بن محمد التباسي. غير أن الأمور آلت كما هـــو معلـــوم ســـنة 981هـ/1574م لصالح العثمانيين الذين سيطروا على البلاد التونســـية فبـــدأت بهـــا وبنفزاوة مرحلة تاريخية جديدة.

([47]) أبو سالم العياشي، **إتحاف الأخلاء بإجازات المشائخ الأجلاء**، تقديم وتحقيق محمد الزاهي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999، ص 28.

([48]) المرزوقي، **ثورة المرازيق**، **نفس المرجع**، ص 22.

([49]) Moreau, **Le pays des Nefzaouas, op. cit**., p. 92.

([50]) L'Africain, **Description, op. cit**., T2, p. 445.

الفصل السابع

الحياة الاقتصادية والعمرانية بنفزاوة

من القرن 4هـ/10م إلى القرن 10هـ/16م

ركزنا في الفصول السابقة على الأحداث السياسية والعسكرية المتصلة بنفزاوة حتى القرن 10هـ/16م، غير أن معرفة تلك الفترة تتطلب تسليط أضواء أخرى على ما يتعلق بالجوانب الاقتصادية والعمرانية بنفزاوة، رغم ما تتصف به المصادر عموما من شح واقتضاب لما يهم هذه الجوانب. وقد حاولنا من جهتنا الحفر في نوعين من تلك المصادر، وهما كتب الجغرافيا والرحلات من جهة، وكتب طبقات مشائخ الإباضية من جهة أخرى.

1- التطور العمراني والديمغرافي :

إذا كانت حياة الإستقرار بإفريقية والعالم الإسلامي بصفة عامة تعزى إلى تطور التجارة، فإنها بالنسبة لمنطقة نفزاوة مرتبطة بالواحات والمياه والنخيل أي بالقطاع الفلاحي، ولعله لذلك لم تبرز مدن عظيمة تضاهي ما برز بمناطق أخرى تمر بها المسالك التجارية الهامة، ولم يمنع ذلك المنطقة من كونها ذات كثافة ديمغرافية مرتفعة، لكن سكانها كانوا متفرقين على عدد كبير من القرى، بينما تركز سكان منطقة الجريد مثلا بعدد محدود من المدن التاريخية الهامة.

أما أهم المدن بنفزاوة فإن عددها يتراوح حسب الجغرافيين من واحدة إلى ثلاثة. وإن اكتفى اليعقوبي (ق3هـ / 9م) بذكر مدينة بشري، العاصمة الإدارية للمنطقة ([1])، فإن البكري (ق5هـ / 11م) ذكر مدينتين هما نفزاوة والمدينة، ويبدو أنهما بشري أو بشرى وفطناسة بالنسبة للأولى وطرة بالنسبة للثانية، كما تحدث التجاني (ق8هـ /

([1]) اليعقوبي (أحمد بن واضح)، **البلدان**، ط 3، النجف 1957، ص 102.

14م) عن هاتين المدينتين، أما الحسن الوزان ودي مرمول De Marmol (ق10هـ/16م) فقد أشارا إلى ثلاث مدن دون أن يحدداها.

وفي الفترة الممتدة إلى القرن 10هـ يمكن التأكيد على أن أهم المدن بمنطقة نفزاوة هي:

- ما يسميه البكري **بمدينة نفزاوة**، ويبدو أنها بشري الحالية أو بشرى وفطناسة مجتمعتين وسكان بشري هم "من الأفارقة القدم ومن البربر" ([2]) ويبدو أنهم من بربر نفزاوة، ولذلك أطلق البكري اسم القبيلة على المدينة أو ربما على جزئها الهام ؛ أما فطناسة التي كانت تقطنها قبيلة صغيرة من مزاتة ([3]) فهي لا تعدو أن تكون قرية مجاورة لمدينة نفزاوة أو حيا تابعا لها. ولهذه المدينة "سور صخر وطوب ولها ستة أبواب وبها جامع وحمام وسوق"([4])، أي أنها تجمع كل مقومات المدينة العربية الإسلامية ومما يثير الإنتباه كثرة أبوابها ([5])، ولا شك أن ذلك يدل على اتساعها وبالتالي أهميتها الديمغرافية. ومن الممكن أن أحد هذه الأبواب يفتح نحو الشمال في اتجاه الجريد وآخر نحو الجنوب في اتجاه بقية قرى المنطقة. وإضافة إلى ذلك فإن وجود مسجد جامع بالمدينة يدل على أهميتها. أما عدد المساجد فهو هام، وقد كان بفطناسة وحدها في منتصف القرن 5هـ/11م إثنا عشر مسجدا. ويرتبط بالجامع والمساجد الحمام كمكان للطهارة والنظافة. لكن متى تأسست هذه المدينة؟ خلافا لما يوحي به اسمها ذو الجذر العربي المشحون بالتفاؤل والأمل، فإن تأسيسها أسبق فيما يبدو من قدوم العرب إلى شمال إفريقيا، إذ يذكر الحميري، في معجمه **الروض المعطار في خبر الأقطار**، بأنها "مدينة مسورة قديمة" ([6]). وهذه الصفة كان يطلقها الجغرافيون العرب على المدن السابقة للإسلام.

([2]) **المصدر نفسه.**

([3]) أبو زكرياء، **كتاب السيرة، نفس المصدر**، ص 328-329.

([4]) البكري، **المسالك، نفس المصدر**، ص 47-48.

([5]) كان بالقيروان في نفس الفترة أربعة عشر بابا.

([6]) الحميري، **الروض المعطار، نفس المصدر**، ص 118.

- **طرة** : وهي التي يطلق عليها البكري اسم المدينة، ويضيف أن "عليها سور وبها جامع وحمام وسوق"، وهي بالتالي دون بشري وإن توفرت فيهـا مقومـات المدينـة العربية الإسلامية.

- **درجين** : وقد أغفل ذكرها الجغرافيون العرب، حيث لم يمر بها أحد منهم، وذلك لموقعها المنعزل إذ أنها تقع جنوبي شط الجريد، وبالتالي فالمسلك الذي يمر بها غيـر ذي أهمية كبرى مقارنة مع ذلك الذي يعبر الشط. لقد بلغت درجين درجة من التطور رشحتها إلى أن تكون العاصمة الإباضية للمنطقة. ولعل مما يؤشر على أهميـة هـذه المدينة أنها كانت تعد 18 ألف فارسا سنة 325هـ (7) وتبقى مدينة هامة حتى لو لـم نعتبر غير عُشر هذا العدد. وإذا اعتبرنا أن كل فارس هو رب عائلة ذات خمسة أنفراد فإن عدد سكان درجين في النصف الأول من القرن 5هـ كان حـوالي تسـعة آلاف نسمة.

إن التطور الديمغرافي والعمراني لمدن نفزاوة أدى إلى تطور وظيفتها، فبعـد أن كانت مقتصرة على الوظيفة الفلاحية والرعوية أحدثت بهـا بعـض الحـرف لتلبيـة حاجيات السكان المحليين في البداية وتطور بعضها ليصبح ذا شهرة واسعة فيما بعـد. فما هي ركائز الاقتصاد النفزاوي حتى القرن 10هـ/16م؟

2- الحياة الاقتصادية :

أ- الفلاحة :

لا شك أن النشاط الفلاحي بنفزاوة كان ينحصر في الزراعة في الواحات وتربيـة الماشية حولها، فقد كانت الواحة سبب وجود القرية وضمان استمراريتها وهي مرتبطة بوفرة المياه أو قلتها.

يقول البكري عند ذكره مدينة نفزاوة، بأن "لها عين تسمى بالبربرية تاورغى وهي عين كبيرة لا يدرك لها قعر"، كما يشير إلى وجود عيون كثيرة حوالي هذه المدينـة، وكذلك عند تعرضه لطرة يذكر أن "حولها عيون وبساتين"(8). ويذكر الحميري أنهـا

---

(7) أبو زكرياء، **كتاب السيرة، نفس المصدر**، ص 170.

(8) البكري، **المسالك، نفس المصدر**، ص 47-48.

"على نهر كثيرة النخل والثمار، وحواليها عيون كثيرة" ([9]). أما التجاني فيصف عين طرة في بداية القرن 8هـ / 14م قائلا إنها "بركة ماء متسعة حسنة المنظر، شارحة للنفس، تدخل البهائم إليها عند الشرب إلى حد معلوم لا تتجاوزه وإن جاوزته غابت في مغايض لا قعر لها، ويذكرون أن لها في كل عام رجل تقتله لا بد لها من ذلك وأكثر ما يكون ذلك في الغرباء"([10])، وفي ذلك إشارة إلى أهمية صبيبها، إلا أنه يذكر أن عين تاورغى ببشري "أعظم اتساعا من عين طرة وأقوى ماء"([11]). فالمياه إذن كانت متوفرة وكثيرة ولعل ذلك هو الذي ميز هذين التجمعين عن غيرهما من قرى نفزاوة، إذ بقدر ما تتوفر المياه تتسع الواحة ويكثر بالتالي سكانها.

أما الإنتاج الفلاحي فيتمثل في مختلف أنواع التمور وهي الإنتاج الرئيسي للمنطقة ونوعيتها جيدة، إذ يقول التجاني متحدثا عن طرة: "وبها التمر المفضل على جميع البلاد"([12]). ويؤكد ذلك الحسن الوزان ودي مرمول بعد أكثر من قرنين ([13]). غير أنهم لم يذكروا أسماء للأنواع الجيدة من التمور. وإضافة إلى النخيل توجد بواحات نفزاوة أشجار مثمرة أخرى يذكر التجاني من بينها بالنسبة لبشري السفرجل والإجاص وهما من نوعية جيدة، إذ يؤكد بأن السفرجل بها "قلّ في جميع البقاع ما يناظره أو يقرب منه طيب طعم، وضخامة جرم، وكثرة ماء، وخلوص صفاء". ويصف الإجاص بقوله إنه "بديع الشكل شهي الأكل قلما يوجد مثله طيبا". هذا بالنسبة لجودة هذه الثمار، أما الحميري فيشير إلى تنوعها وكثرتها في واحات "مدن نفزاوة"، إذ يذكر بالنسبة لبشري أن "لها غابة كبيرة، وهي كثيرة النخل والزيتون وجميع الفواكه" ([14]). ونفس العبارات رددها بالنسبة لتلمين إذ أورد بشأنها ما يلي : "ولها غابة نخل وزيتون وجميع الفواكه" ([15]). وكذلك طرة التي "لها غابة كبيرة كثيرة النخل والزيتون وجميع

([9]) الحميري، **الروض المعطار، نفس المصدر**، ص 534.

([10]) التجاني، **الرحلة، نفس المصدر**، ص 142.

([11]) **المصدر نفسه**، ص 153.

([12]) **المصدر نفسه**، ص 142

([13]) L'Africain, **Description...,op. cit**., p. 445.; voir aussi :De Marmol, **Description générale de l'Afrique, op. cit,**. Vol II, pp. 38-39.

([14]) الحميري، (أبو عبد الله محمد)، **الروض المعطار، نفس المصدر**، ص 118.

([15]) **المصدر نفسه**، ص 148.

الفواكه" ([16]). وهذا التأكيد يدل على أهمية الواحات في عهد الحميري (ق 14م). ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى أنه استعمل مصطلح "الغابة" وهو مصطلح مستعمل حد الآن بنفزاوة ويعني بستان النخيل. ومن الأكيد أن الواحات لم تكن تقتصر على النخيل وإنما كانت بها أيضا الزياتين التي تحتل المرتبة الثانية من حيث أهمية الأشجار المثمرة، من ذلك أن درجين كانت في القرن 6هـ/12م أكثر بلاد الجريد زيتونا ([17])، كما كانت توجد بواحة تلمين أيضا ([18])، واستمر وجودها كما سنرى إلى القرن العشرين. وقد كانت الواحات تنتج بالإضافة إلى ما ذكر الخضر والمواد العلفية.

أما الأراضي المحيطة بها فلا تسمح بزراعة الحبوب وقد أشار إلى ذلك الحسن الوزان، وإنما بقيت مجالا لرعي الماشية من إبل وغنم وماعز، ولعل إنتاج الصوف هو الذي رشح طرة ودرجين لإنتاج الأقمشة الممتازة. كما كان السكان يستعملون في أشغالهم الفلاحية حيوانات أخرى مثل الحمير وربما الإبل لحراثة أراضيهم بسهول الشارب والسقي حيث كانوا يزرعون الحبوب. أما إذا لم تنزل الأمطار فإن جلب الحبوب من المناطق الشمالية لإفريقية يكون ضروريا.

ب- الحرف :

إن التطور الديمغرافي لقرى نفزاوة والتقدم العمراني الذي عرفته حتى القرن 5هـ أدى إلى ظهور بعض الحرف، منها ما بقي محليا ومنها ما تجاوز حدود المنطقة وأصبح إنتاجه يصدر إلى مناطق بعيدة.

تتحدث كتب الجغرافيين العرب عن صناعتين بلغتا درجة هامة من التقدم بنفزاوة وهما :

- صناعة الزجاج بطرة ([19]) وهو ذو نوعية ممتازة ولكن لا نعرف شيئا عن التقنيات المستعملة لكي يصبح صافيا.

([16]) **المصدر نفسه**، ص 367.

([17]) صاحب كتاب الاستبصار نقلا عن : حسن (محمد)، **المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي**، نشر كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس 1999، ج 1، ص 295.

([18]) **المرجع نفسه**، ص 297.

([19]) القلقشندي، **صبح الأعشى**، **نفس المصدر**، ج 5، ص 108.

- صناعة الأنسجة والملابس الصوفية، وهي أيضا ممتازة النوعية حتى أن أقمشة طرة كانت تصدر إلى الإسكندرية ([20])، أما ملابس درجين فقد بقيت مشهورة إلى القرن 6هـ/12م، وكان يقارن بها اللباس السجلماسي الممتاز والمشهور مغربا ومشرقا ([21]).

ومن الدلائل على تقدم وشهرة أنسجة نفزاوة أنه صنع بها بساط للمعز الفاطمي عندما عزم على التوجه إلى مصر، وقد رُسِمت على هذا البساط صورة الحرمين الشريفين والعالم المعروف آنذاك ، وطعمت حواشيه بنقائش الحجارة الكريمة حتى أنه عد من عجائب الدنيا ([22]).

وإضافة إلى تينك الصناعتين يمكن التأكيد على وجود حرف صغيرة أخرى كانت تلبي الحاجيات المحلية لمجتمع الواحات مثل الحدادة والنجارة والبناء.

ج- التجارة والمسالك التجارية :

لم يمنع موقع نفزاوة المنعزل من ربطها ببقية إفريقية وخارجها عبر عدد من المسالك كانت بلا شك دون أهمية المسالك التجارية الكبرى للمغرب الإسلامي. ولعل أهم المسالك الموصلة لنفزاوة ذلك الذي يربطها بمنطقة الجريد عبر الشط. ويحدد اليعقوبي مسافة هذا المسلك فيقول : "ومن مدائن قسطيلية إلى مدائن نفزاوة ثلاث مراحل" ([23])، أما البكري فيدقق أكثر إذ يقول إن مدينة نفزاوة تقع "على ثلاث مراحل من قيطون بياضة، فمن قيطون بياضة إلى مدينة نفطة مرحلة، إلى مدينة توزر مرحلة، إلى مدينة نفزاوة مرحلة"([24])، والمرحلة تبعا لذلك ليست وحدة قيس مضبوطة وإنما هي مسافة تختلف من مكان إلى آخر وتتراوح بين 24 وأكثر من 40 كم. أما

([20]) المصدر نفسه.

([21]) الجنحاني، **المغرب الإسلامي**، **نفس المرجع**، ص 174 ؛ حسن، **المدينة والبادية**، **نفس المرجع**، ج 1، ص 296 ؛ وكذلك : Lewicki (T.), "Notice sur la chronique...", **op. cit**., p. 151.

([22]) لجنة البحوث التربوية بقبلي، **تاريخ نفزاوة**، مخطوط على ملك الشيخ الهاشمي بن سوف، جوان 1965، ص 8.

([23]) اليعقوبي، **البلدان**، **نفس المصدر**، ص 102.

([24]) البكري، **المسالك**، **نفس المصدر**، ص 47-48.

الشريف الإدريسي فيحدد مسافة المرحلة الأخيرة زمنيا، إذ كتب "ومن توزر إلى نفزاوة يوم ونصف يوم كبير" ([25]).

ويتفق الجغرافيون العرب على وصف صعوبة هذه الطريق نتيجة مرورها بشط الجريد التي يصفها البكري بكونها أرض سواخة "لا يهتدى للطريق فيها إلا بخشب منصوبة (...) فإن ضل أحد يمينا أو شمالا غرق في أرض ديماس تشبه في الرطوبة بالصابون"([26]). ويوافق التجاني البكري في ذلك الوصف إذ يشير إلى وجود "معالم قائمة من جذوع النخل تمنع السالك من الخروج عن طريقها المسلوك يمينا وشمالا، لأن ما على يمينها وشمالها من الأرض مغائض لا تثبت عليها قدم ولا يسلكها أحد جاهل بها إلا غاص فيها"([27]).

وهذه الطريق تمكن من المرور إلى القيروان، إذ يقول البكري : "وتسير من القيروان إلى مدينة نفزاوة ستة أيام نحو الغرب"([28]). كما نجد طريقا أخرى تتجه نحو الشمال انطلاقا من نفزاوة لتصل إلى قفصة، وقد حدد البكري مسافتها بمرحلتين. أما الشريف الإدريسي فقد حددها زمنيا إذ قال "ومن قفصة إلى نفزاوة جنوبا يومان وبعض يوم" ([29]). ولعل هذه الطريق هي الطريق القديمة التي تمر بجبل العسكر.

أما نحو الشرق فإن هناك الطريق التي تربط بين نفزاوة وقابس، ويقدر البكري مسافتها بثلاث مراحل أي أن المرحلة الواحدة تبلغ حوالي 45 كم، وهذه الطريق تسهل العبور إلى المناطق الساحلية وجزيرة جربة.

وإذ لم تتحدث كتب الجغرافيا عن طرقات غير هذه، فإنه اعتمادا على كتب الطبقات الإباضية يمكننا استنتاج وجود طرقات أخرى لعل أهمها تلك الذي تمر عبر جنوب الشط في اتجاه بلاد الجريد ثم تاهرت عاصمة الدولة الرستمية. ويبدو أيضا أن

([25]) الإدريسي، **كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، معهد الدراسات الشرقية بنابولي، روما، 1970، ج 1، ص 278.

([26]) البكري، **المسالك، نفس المصدر**.

([27]) التجاني، **الرحلة، نفس المصدر**، ص 154-155.

([28]) البكري، **المسالك، نفس المصدر**، ص 47-48

([29]) الإدريسي، **نفس المصدر**، ص 278.

هناك طريقا أخرى تتجه نحو الغرب لتربط نفزاوة بورجلان ومن هناك تتجه نحو سجلماسة.

أما نحو الشرق فإن نفزاوة كانت متصلة بجهات طرابلس، ويبدو أن ذلك كان يتم عن طريق أخرى غير تلك التي تمر بقابس، ومن الممكن حينئذ أنها تنطلق من نفزاوة نحو الجنوب الشرقي.

لكن هل كانت تلك الطرقات توفر الأمن لسالكيها؟ إننا لا نملك معطيات كافية عن كل الطرقات وفي مختلف الفترات.

وبالنسبة لطريق شط الجريد كان بها أدلاء يقومون بإرشاد السالكين من مسافرين وتجار، ومن المؤكد أن ذلك بمقابل مادي ويذكر البكري أن أولئك الأدلاء هم بنو موليت لكن يبدو أن هذه الطريق لم تكن آمنة تماما حتى في النصف الأول من القرن 5هـ/11م، أي قبل الزحف الهلالي، وهذا ما تعكسه رواية أحد سالكيه إذ يقول : "فلما توسطنا السبخة (شط الجريد) فإذا بخيل بمقابلتنا لا نستطيع الهروب (...) فلما وصلناهم حلقوا علينا (...) وكان على تلك الخيل أمير فتكلم إلينا فتطلّع وتصعّد فينا بصره من فوق إلى أسفل حتى غشيني لعاب فرسه، والكساة الأنطاكية على عاتقي، فسألنا : من أنتم؟ فقلنا : تلامذة، فقال : امضوا على طريقكم راشدين، قال علي (الراوي) : فمضيت وكنت أتوقع أن يقول لي دع الكساة" ([30]).

وبالتالي فإنه وإن اختل الأمن على هذه الطريق حتى قبل الزحف الهلالي، فإنه لم يندثر تماما مما ضمن مواصلة الحركة التجارية. لكن يمكننا أن نتساءل عن حالة الأمن بعد منتصف القرن 5هـ/11م. يبدو أن تلك الحالة لم تتغير كثير إلى منتصف القرن الموالي، إذ أن دويلة بني الرند التي امتد نفوذها على الجنوب الغربي وبالتالي على طريق الشط، كانت تؤدي الإتاوة للهلاليين مقابل تأمين السابلة، وهو ما تم فعلا على الأقل في عهد عبد الله بن محمد بن الرند وابنه المعتز، وهذا ما يمكن أن نستنتجه من النص التالي الذي يتحدث فيه أبو زكرياء عن سفر أحد مشائخ الإباضية من جنوب تقرت إلى طرابلس وذلك في النصف الثاني من القرن 5هـ فلما وصل سوف "فإذا بقافلة قد عملت وعزمت على السفر من نفزاوة، فاصطحبها إلى نفزاوة فوصلها سالما.

([30]) أبو زكرياء، **كتاب السيرة،نفس المصدر**، ص 264.

وانقطعت الطريق بينه وبين أهله باللصوص، فلم يجد من يصطحب معه إلى أهله إلا جماعة السراق، فسار معهم، ورفعوا له زاده، وقالوا له : متى ما عييت فاقعد واسترح، فمنحه الله منفعتهم ورد عنه بأسهم" ([31]).

وهذا النص يشير إلى بدايات انعدام الأمن على الطريق بين نفزاوة وجهات طرابلس، ولكنه من ناحية أخرى يؤكد على أن الطريق إلى صحراء المغرب الأوسط كانت آمنة. ولعل ذلك يعود إلى نجاح دويلة بني الرند في تأمين الطرقات التي تسيطر عليها بالجنوب الغربي بينما كانت الطريق نحو طرابلس غير آمنة لعدم امتداد نفوذهم عليها.

وبعد سقوط بني الرند انخرم أمن تلك الطرقات جميعا خاصة أثناء ثورة بني غانية ولعل النص التالي يبين ذلك، يتحدث الدرجيني عن قافلة تضم أكثر من عشرين تاجرا جربيا قادمين من سجلماسة في اتجاه جربة و"لما صاروا ببعض الطريق بين وارجلان ونفزاوة، وأصبحوا راحين غادين بين كثبان رمل، أشرفوا على كثب فرأوا نعما كثيرا في المرعى ومن ورائها أحياء، فأيسوا من السلامة (...) ثم تشاوروا فيما بينهم فقائل يقول : (ندفع ما معنا) وقائل (نولي خلفنا)، وقائل (نرسل إليهم من يجاعل على سلامتنا بجزء مما معنا)"([32]). إن هذا النص يدل على انخرام الأمن بهذه الطرقات، ولكنها مع ذلك بقيت مستعملة وحافظت لوقت ما على حد أدنى من الحركة التجارية والإتصال الثقافي والبشري.

فعلى المستوى الأول كانت نفزاوة بلا شك تصدر التمور إلى المناطق التي لا تنتجها، وذلك خاصة في فترات المجاعات، وقد احتفظت كتب الطبقات الإباضية بإشارات إلى هذه المسألة، من ذلك أنه في إحدى سنوات القحط من النصف الأول من القرن الخامس هـ، توجه أحد الشيوخ الإباضية من جربة إلى نفزاوة ليمتار تمرا. وتمت العملية مقايضة، غير أن الدرجيني لم يذكر نوعية البضاعة التي جلبت من جربة ([33])، ويبدو أن قيمتها كانت دون قيمة كمية التمر مما يدل على كثرة العرض.

([31]) **المصدر نفسه**، ص 330.

([32]) الدرجيني، **طبقات المشائخ**، **نفس المصدر**، ج 1، ص 502-503.

([33]) **المصدر نفسه**، ص 160.

كما كانت نفزاوة تصدر المصنوعات الصوفية ([34])، ومقابل ذلك كانـــت تســـتورد الحبوب من المناطق الشمالية. غير أنه من المؤكد أن الحركة التجارية خاصـــة فـــي فترات الإزدهار كانت أنشط مما توصلنا إلى رسمه اعتمادا على المصادر المتوفرة.

وإضافة إلى الدور التجاري كانت الطرقات الموصلة إلى نفزاوة تقوم بربط المنطقة ثقافيا ومذهبيا بمناطق أخرى، وخاصة في عهد الإباضية، ومن تلك المناطق : الجريد شمالا، وصحراء المغرب الأوسط غربا، وجربة وجهات طرابلس شرقا. وبعدما كانت درجين مركزا إباضيا هاما يستقطب الطلبة والنازحين من جهات أخرى، تراجع دوره لصالح مراكز أخرى مثل ورجلان التي أصبح بعض أهل نفـــزاوة يتوجهـــون إليهـــا للدراسة أو الاستقرار.

لقد عرفت الحياة الاقتصادية بنفزاوة ازدهارا تواصل إلى القرن الخامس هـــ، ثـــم تراجعت نتيجة كثرة الإضطرابات ونتج عن ذلك تقلص عمراني هام، إذ وقع تخريب أهم المدن : درجين سنة 437هـــ، وطرة سنة 601هـــ. وأصبحت التجمعات الســـكنية مجرد قرى تفتقد إلى مقومات المدينة، إذ كانت طرة في بداية القرن 8هـــ/14م "بلـــدا بلا اسم وقرية بلا معنى" ([35])، حسب تعبير التجاني، رغم كونها إحدى قاعدتي بـــلاد نفزاوة، أما القاعدة الأخرى، بشري فلم تكن إلا مجرد قرية أكبر من غيرهـــا. وفـــي القرن 10هـــ/16م، كانت هذه القرى تضم عددا كبيرا من السكان الفقراء ([36]) وتظهر عليها علامات البؤس.

([34]) القلقشندي، **صبح الأعشى، نفس المصدر**، ص 108.

([35]) التجاني، **الرحلة، نفس المصدر**، ص 142.

([36]) L'Africain, **Description...,op. cit,** p. 445.

الفصل الثامن

نفزاوة في العصر الحديث

1- من الإستقرار إلى الإضطراب :

أصبحت البلاد التونسية منذ الثلث الأول من القرن 10هـ /16م محل نزاع بين الإسبان والعثمانيين، وانحسر نتيجة ذلك النفوذُ الحفصي عن الوسط والجنوب، فانحلت بنفزاوة رموز السلطة السياسية لتعوضها سلطتان :

- الأولى :سلطة الزوايا والطرقية، ولم تكن المنطقة في ذلك مختلفة عن بقية مناطق البلاد.

الثانية : سلطة القبائل التي كانت تفرض على السكان دفع الضرائب مقابل حمايتهم.

ولم يتراجع نفوذ هاتين السلطتين في العقود الموالية رغم إلحاق المنطقة بالدولة العثمانية وتركيز حامية من الجيش الإنكشاري بها.

لقد وقع ضم نفزاوة حوالي منتصف القرن السادس عشر ميلادي إلى إيالة طرابلس، إذ بعد أن استقر الرايس درغوث بهذه الإيالة الجديدة استطاع أن يتجه شمالا ليستولي على مناطق الجنوب التونسي حتى وصل قفصة ثم القيروان سنة 1557 ([1]). وفي هذا الإطار جاء إلى نفزاوة في هذه الفترة عدد من قبيلة المحاميد الطرابلسية على رأسهم عبد الله بن بوزيد المحمودي الذي كلف بجمع الضريبة باسم الباشا. ولعل قدوم أولئك المحاميد في القرن 10هـ/16م يعود إلى وجود علاقات بشرية ودموية لهم مع عناصر أخرى سبقتهم إلى المنطقة ببضعة عقود أو قرون.

([1]) الشريف، **تاريخ تونس، نفس المرجع**، ص 66.

ورغم الفتح العثماني لتونس سنة 1574م فإن نفزاوة بقيت تابعة لطرابلس شأنها في ذلك شأن بقية المناطق الجنوبية الأخرى. غير أن بعدها عن طرابلس جعل حضـــور السلطة فيها ضعيفا، وقد استغل هذه الوضعية أواخر الحفصـــيين لمقاومـــة الوجـــود العثماني. إذ اتخذها مولاي أحمد منذ سنة 1581م منطلقا للسيطرة على وسط الـــبلاد. وعندما حاصر العثمانيون في ألف وخمسمائة من رجالهم بلدة طرة في مارس 1582، تمكن مولاي أحمد من إلحاق الهزيمة بهم والقضاء على ثلثي جيشهم، وتواصل بعـــد ذلك تهديد مولاي أحمد إلى سنة 1592م ([2]). وفي هذه الأثناء، اتجهت نية اســـتانبول إلى تعزيز نفوذ حاكم تونس من خلال توسيع مجاله الترابي، فكانت استجابتها لطلـــب حيدر باشا ضم مدن القيروان وسوسة والمنستير وصفاقس. ثم تقدم بعد ذلك إلى قفصة والجريد. غير أن النفوذ الطرابلسي استمر إلى سنة 1588، وهي السنة التي تم فيهـــا ضم مدينة صفاقس رسميا إلى تونس، وكان ذلك منطلقا لحكام تونس ليتوغلـــوا أكثـــر جنوبا لضم مناطق جديدة إلى نفوذهم، وهو ما تم فعليا في عهد عثمان داي ([3])، وفـــي هذا العهد ألحقت نفزاوة إلى إيالة تونس، بعد اضطراب تواصل لمدة سنتين. فما هـــو سبب هذا الإضطراب؟

لقد قتل السكان أحد أبناء عبد الله بن بوزيد المحمودي والي المنطقة، ولما عجـــز عن القصاص من القتلة استنجد بباشا طرابلس الذي يعود إليه بالنظر. لكن حداثة هـــذه الإيالة من جهة، وبعد عاصمتها عن المنطقة من جهة أخرى، حـــالا دون الاســـتجابة لطلب الوالي، فأعلن الانتقاض عن سلطة طرابلس وأعانه في ذلك سكان بشري وقبائل أولاد سعيد وباشا تونس، ولم يستطع باشا طرابلس أن يسيطر على الوضـــع بنفـــزاوة فألحقت بإيالة تونس([4]).

([2]) Bachrouch (T.), **Formation sociale barbaresque et pouvoir à Tunis au 17e.s.**, Pub. de l'Université deTunis 1977, pp. 131-132.

([3]) **Ibid**, pp. 163-164.

([4]) لجنة البحوث التربوية بقبلي، **تاريخ نفزاوة، نفس المصدر**، ص10؛ وكذلك : Moreau, **Le pays des Nefzaouas, op. cit.**, p. 93.

وفي نفس هذا الإطار، سافر عثمان داي بنفسه بالمحلة إلى بلاد الجريد ودعم الحدود الجنوبية لمنطقة نفوذه بخط من المراكز العسكرية يمر بكل من قابس والحامة والمنصورة بنفزاوة وتوزر ([5]).

إن في اختيار المنصورة لإقامة البرج العسكري أهمية بالغة إذ :

- أنها تحتل موقعا استراتيجيا يمكنها من الإشراف على المسالك الهامة بنفزاوة، ولا تبعد أقصى المراكز السكنية عنها الا بحوالي 30 كم.

- أنها وريثة طرة التي كانت قاعدة للمنطقة طوال عدة قرون، وبقيت كذلك إلى أواخر العهد الحفصي.

- أن البرج كان يشرف على واد الغريق أكبر مصدر للمياه بنفزاوة، وهو بذلك يمكن من السيطرة على أكثر الواحات امتدادا.

لقد احتل برج المنصورة مرتفعا من الأرض، وكان بناؤه يتشكل من طابق أرضي فقط وكان به مدفعان، وقد استقرت به حامية من الجيش الإنكشاري (عسكر زواوة) كانت تعد سنة 1829 خمسة وعشرين جنديا ([6]) يلتحق بهم قبل بضعة أشهر من مجيء المحلة إلى الجريد قائد غير مقيم بالمنطقة، ويرجع مع المحلة إلى مقر إقامته بالجريد أو قفصة أو القيروان أو تونس العاصمة ([7]).

وتتمثل مهمة تلك الحامية أساسا في جمع الضرائب التي ترمز إلى الولاء للدولة، والإشراف على توزيع المياه على ملاكيها، والسهر على أمن المنطقة. ويبدو أن هذه الحامية نجحت في مهامها تلك إذ كان القرن 11هـ/17م هادئا بنفزاوة رغم الانتفاضات التي وقعت بالمناطق المجاورة لها ومن بينها ([8]) :

- **الحامة** التي ثارت ضد السلطة لمدة سبع سنوات، وقد وقع قمعها بشدة سنة 1044هـ/1634-1635م.

([5]) **Ibid**, p. 94.

([6]) Monchicourt, **Relations..., op. cit**; pp. 256-257.

([7]) Duveyrier, **Journal de route**, Paris, Challanel, 1905; cité par Moreau, **Le pays..., op. cit**., p100.

([8]) ابن أبي دينار، **المؤنس، نفس المصدر**، ص 232، 234، 267.

-جبل **مطماطة** الذي قمع هو الآخر وأخضع سكانه لدفع الضريبة سنة1047هـ/1637-1638م.

-**توزر** التي أخضعها علي باي سنة 1090هـ/1679م.

بينما لم تعرف نفزاوة طوال هذا القرن ما يشبه تلك الانتفاضات، وهو ما سمح بنمو ديمغرافي هام بالمنطقة، وقد قدر أحد الأوربيين عدد سكانها لسنة 1615 بحوالي عشرين ألفا، بينما لم يكن بالكاف في نفس الفترة غير ربع هذا العدد تقريبا ([9]). كما نشطت الحركة الاقتصادية بالمنطقة إذ من المؤكد أنها استفادت من قطع نخيل الحامة وعودة المبادلات إلى نشاطها داخل البلاد ([10])، إضافة إلى ما عرف به أهلها من كد وجد في مزارعهم وهذا ما يذكره العياشي في رحلته (النصف الثاني من ق 17م) إذ يقول : "ثم رحلنا بعد ذلك إلى قرية من قرى نفزاوة (...)، ومررنا بأرض طيبة ذات مزارع وعشب كثير، ووجدنا غالب أهل نفزاوة يحرثون بها على البقر (...) وقد وجدنا في تلك المزارع قوما يحرثون ببقرة، فتعجبنا من ذلك ثم رأينا فلاحا آخر يحرث ببعير فأنسانا الأول. وما قضينا العجب منه حتى رأينا إنسانا يحرث بإنسان آخر"([11]).

وقد أدى تطور القطاع الفلاحي إلى نشاط الحركة التجارية، إذ كان الهمامة والفراشيش يجيئون إلى المنطقة محملين بالحبوب لاستبدالها بالتمور، كما كان الطوارق يجلبون العبيد إلى طرة ويحملون معهم حاجياتهم من التمور والأنسجة الصوفية وغيرها. وكان الخريف فصلا متميزا بالمنطقة إذ كان البدو الرحل ينزلون قرب الواحات ويساهمون في عمليات الجني ويستبدلون ماشيتهم وأصوافهم بالتمور ([12]).

([9]) يقدر روبرتو اليات Roberto Ellyatt عدد منازل نفزاوة بأربعة آلاف، وعلى أساس خمسة أفراد بكل منزل يقدر عدد سكان المنطقة بعشرين ألف نسمة؛ انظر : Pignon (Jean), **Un document inédit sur la Tunisie au XVIIe s.** , Pub. de l'Université de Tunis, 1963, pp. 18-19.

([10])الشريف، **تاريخ تونس، نفس المرجع**، ص 75.

([11]) نقلا عن : لجنة البحوث التربوية بقبلي، **تاريخ نفزاوة، نفس المرجع**، ص 10-11.

([12]) Moreau, **Le pays..., op. cit.**, p. 94.

ويبدو أن هذه الوضعية لم تتغير كثيرا حتى الربع الأول من القرن 12هـ/18م، لتتدهور بجدية مع اندلاع الفتنة الحسينية الباشية، إذ دخلت البلاد فترة طويلة من الإضطراب والفوضى استمر من سنة 1728 إلى سنة 1756 وانقسمت بين شقين :

– حسيني نسبة إلى حسين بن علي مؤسس الدولة الحسينية.

– باشي نسبة إلى علي باشا ابن أخي حسين بن علي والذي كان مرشحا ليخلف عمه، وعندما حرم من ذلك أعلن الخروج عليه، فكانت هذه الفتنة.

وانعكس ذلك الانقسام على نفزاوة فانقسمت قراها وقبائلها بين الشقين فسمي الحسينية بصف يوسف نسبة إلى قائد قبيلة الهمامة التي آزرت حسين بن علي، وسمي الباشية بصف شداد نسبة إلى قائد قبيلة المثاليث التي ناصرت علي باشا ([13]).

وقد ضم صف شداد القرى التالية : بوعبد الله والقليعة والمنشية وجزيرة الوحيشي واستفطيمي وليماقس وطنبار وتنبيب والرابطة والمنصورة وإبنس وقبلي وبازمة والبرغوثية والرحمات والبليدات والجرسين والطويبة إضافة إلى العروش التالية : قعود والصابرية وأولاد سباع والمكاشرة. كما ضم شداد أغلب سكان بلدة زاوية العانس وثلث بلدة بشري.

ومقابل ذلك ضم صف يوسف القرى والعروش التالية : الدبابشة وفطناسة وجزءا من زاوية العانس وثلثي بشري وزاوية الحرث وأم الصمعة ونقة وتلمين والجديدة والكعبي والقطعاية وبني امحمد وبشلي وكلوامن والمساعيد وجمنة والقلعة ونويل ، وأهم عروش المرازيق وأولاد يعقوب والعذارى والصلاعة.

وانطلاقا من ذلك التقسيم يمكن إبداء الملاحظات التالية:

– إن هذين الصفين اقتسما المنطقة بالتساوي تقريبا، وإن كان هناك شيء من الغلبة لصالح صف يوسف.

– إن الانتماء إلى هذا الصف أو ذاك لم يكن يخضع إلى توزيع جغرافي معين، إلا أن أغلب قرى وسط نفزاوة كانت من شداد، بينما غلب صف يوسف على شمال المنطقة وجنوبها.

([13]) المرزوقي (محمد)، **قابس جنة الدنيا**، القاهرة 1962، ص 217.

- كثيرا ما نجد قريتين متجاورتين أو متلاصقتين لا تنتميان إلى صف واحد من ذلك الثنائيات التالية : الجديدة والمنصورة، قبلي والكعبي، ابنس والقطعاية، زاوية الحرث وزاوية العانس، تلمين وتنبيب. ولعل ذلك يؤشر على صراعات أقدم بين تلك القرى حول مصادر المياه والمراعي والأراضي. وهذه الصراعات تشكل الأسباب العميقة التي غذت الفتنة الباشية الحسينية.

وعندما عاد الحسينيون إلى السلطة سنة 1170هـ/1756م، رفضت بلدة قبلي الخضوع لهم فتعرضت إلى قمع شديد من قبل المحلة، ويبدو أن تلك المواجهة قد قادها شيخ قبلي آنذاك بنور بن عبد الصمد، وهذا ما يظهر من خلال وثيقة محلية ورد فيها أنه "بقي في الولاية ... إلى سنة سبعين وخرج عن طاعة الأمير وأتته محلة من تونس واقتتلا ومات خلق كثير" ([14]). وتضيف هذه الوثيقة معلومات أخرى عن مصير هذا الشيخ بعد تلك المواجهة الخاسرة إذ "انتقل إلى الغرب ومكث في تقرت ومات بها" ([15]). وفي هذا المستوى تلتقي هذه الوثيقة مع ما أورده الورثيلاني في رحلته إلى الحج سنة 1179هـ/1766م إذ يذكر "وفي ذلك اليوم تلاقينا مع عدو نفسه المحارب لله ولرسوله الشيخ ابن روب وهو شيخ من شيوخ نفزاوة خارجا عن ولاية صاحب تونس بأن استقر في وادي ريغ -والله أعلم- في ثلاثين من الخيل وعشرين رجلا ومعهم السلاح القوي" ([16]). وإذا كان المدى الزمني بين مجيء المحلة إلى قبلي ورحلة الورثيلاني لا تتجاوز العشر سنوات، فإننا نعتقد أن ابن الروب هذا هو نفسه بنور بن عبد الصمد، ليس فقط لتشابه الاسمين أو في الثورة على الباي، وإنما خاصة لأن هذا العدد الهام من الرجال والفرسان الذين معه، لا يمكن جمعهم آنذاك إلا من بلدة هامة كبلدة قبلي، وربما يوجد من بينهم من كان ينتمي إلى صف شداد المعادي للسلطة المركزية في تونس.

([14]) سلمنا هذه الوثيقة مشكورا سيدي مصطفى الصغيرون، وقد نشرناها في كتابنا : **المجتمعات المائية بتونس : قبلي وزغوان في القرن التاسع عشر**، المطبعة المغاربية للنشر، تونس 2005، ص 28-29.

([15]) **المصدر نفسه.**

([16]) الورثيلاني، **نزهة الأنظار، نفس المصدر**، ص 120.

وعلى أية حال فقد تواصلت الصراعات بين صفي يوسف وشداد إلى سنة 1200هـ/1786م، إذ اتفق الطرفان خلال هذه السنة على الهدنة لكنها لم تدم طويلا (17) واندلعت الصراعات من جديد. ومما زاد الوضعية سوءا أن السلطة المركزية كرست تلك الانشقاقات وحاولت أن تستغلها لبسط نفوذها على المنطقة، فقسمتها سنة 1212هـ/1798م إلى وحدتين إداريتين إحداهما باشية والأخرى حسينية، وعينت على رأس كل واحدة منهما خليفة. فكانت تلمين مقرا لخليفة صف يوسف، بينما كانت قبلي التي لا تبعد عنها بأكثر من ستة كيلومترات مقرا لخليفة صف شداد. وكلاهما كان ممثلا للقائد الذي يأتي إلى المنطقة سنويا لجمع الضرائب (18).

ولذلك تدهورت الوضعية الأمنية بالمنطقة مما جعلها مهددة من قبل الطوارق، ولعله إلى هذه الفترة تعود نشأة تلك العبارات التي تستعملها الأمهات لتخويف أبنائهن من مثل : "جاك التارقي"، "ارجع لياخذك التارقي". ولعله إلى هذه الفترة أيضا تعود كلمات الأغنية التي احتفظت بها الذاكرة الشعبية والتي تقول كلماتها :

أنا التارقي ولد التارقية

قطاع طريق والصحراء ليّ

أنا التارقي وعين غزالة

اسمي مشهور في كل عمالة

بالخنجر نقطع قلوب الرجالة

ولا ثم واحد يتمنقد بيّ

وإضافة إلى ذلك، زادت أهمية دور بعض القبائل التي كانت تفرض على المجموعات المستضعفة ضرائب مقابل حمايتها. من ذلك مثلا أن أولاد ميرة كانوا يأخذون سنويا حوالي عشرين كغ من الشعير ولترا من الزيت على كل عائلة من قرية

---

(17) Moreau, **Le pays..., op. cit.,** p. 97..

(18) كانت نفزاوة تابعة إداريا لعمالة الجريد التي يشرف عليها عامل يدعى القايد ويحمل في نفس الوقت رتبة آغا، وينوبه بنفزاوة الخليفتان.

البليدات، ويأخذ الحروب -وهم من أولاد يعقوب أيضا- سنويا عشرين كغ من التمر على كل عائلة من قرية الجرسين وحولي إذا تزوجت فتاة من خارج القرية ([19]).

لقد انعكس الصراع بين يوسف وشداد وهجومات الطوارق على حياة الاستقرار بالمنطقة فتراجع السكان إلى قراهم التي سوروها وأحاطوها بخنادق لحمايتهم من تلك الاعتداءات. وقد لاحظ هذه الحالة كل من الكومت فيليبي سنة 1829 ([20]) وغيران سنة 1860 ([21])، ومن بين تلك القرى المسوّرة بازمة وقبلي والمنصورة وتلمين والمنشية، وبينما كان السكان يقومون بهذا الدفاع الذاتي، اقتصر دور الدولة على جمع الضرائب وحتى عندما تدخلت في سبعينات القرن 13هـ/ خمسينات القرن 19م خدم تدخلها شقا ضد آخر. فكيف تم ذلك؟

2- خراب قبلي : الأسباب والإنعكاسات :

كانت نفزاوة منذ بداية القرن التاسع عشر تبدو منهكة القوى بسبب الصراعات المختلفة التي كانت تشقها مما جعلها في حاجة إلى دماء جديدة ورشحها إلى أن تكون منطقة استقطاب لعناصر بشرية أخرى، إلا أن مجيء البعض كان عنيفا وخاطفا (الطوارق والشعانبة مثلا) وكان مجيء البعض الآخر برغبة من أهلها، وهذه حالة المهاجرين الطرابلسيين.

ومن جهة أخرى كانت المنطقة تبدو قد فقدت تأثير المثُل القديمة عليها، وفي حالة بحث عن مثُل جديدة أو مهدي منتظر. وفي هذا الإطار، كان مجيء الثائر غومة المحمودي ([22]) وآلاف المهاجرين معه. فكيف تفاعلت مختلف الأطراف مع مجيئه؟

في جمادى الثانية 1272هـ / 9 جانفي-7 فيفري 1856م، دخل الجنوب التونسي آلاف المهاجرين الطرابلسيين بمعية غومة المحمودي وانتشروا بمناطق شاسعة تمتد

([19]) **Ibid**, p. 104.

([20]) Monchicourt, **Relations..., op. cit**; pp. 257.

([21]) Guérin, **Voyage..., op. cit**., pp. 241-245.

([22]) عن غومة المحمودي ، انظر : المصراتي (علي مصطفى)، **غومة فارس الصحراء**، منشورات مكتبة الفرجاني، طرابلس الغرب 1960، 285 ص ؛ وكذلك : الطوير، (محمد محمد)، **ثورة الشيخ غومة المحمودي على العثمانيين، ليبيا 1835-1858**، منشورات دار الفرجاني، طرابلس، ط 2، 1995، 688 ص.

على جبال مطماطة والحامة ومنطقة نفزاوة وهضبة الظاهر ([23]). لكن تلك الهجرة أثارت رد فعل عدائيا من قبل الباي والسلطات الرسمية خوفا من تقلص نفوذها بالجهة، وكذا من قبل القبائل المتضررة مثل ورغمة بالجفارة وأولاد يعقوب والمرازيق بنفزاوة، إذ خشيت هذه القبائل من التضييق عليها في المرعى بمنطقة الظاهر.

وما لبث أن انضم إلى تلك القبائل، بتحريض من السلطات المركزية، قبائل أخرى مثل الهمامة، وهي جميعها تلتقي في انتمائها لصف يوسف. ولما اشتدت الهجومات على أنصار غومة وقبيلة بني يزيد التي استضافته اتجه نظره للبحث عن منطقة أكثر أمنا له ولأتباعه، فكان اختياره على نفزاوة وذلك لبعدها النسبي عن تهديدات قبائل ورغمة والهمامة والسلطة نفسها، ثم لصلة القربى التي تجمع بين قبائل المحاميد الطرابلسية وأولاد بلوم، سكان قبلي.

فاتصل بحمادي بن بلقاسم خليفة صف شداد، فرحب به ورتب له ولأتباعه الإقامة في القرى التالية : المنشية والقليعة وبوعبد الله والمنصورة والرابطة، أما مقر غومة فقد عيّن بقبلي ([24]). وتشترك تلك القرى في انتمائها لصف شداد ثم إن الثلاثة الأولى منها بعيدة عن الطريق الشرقي، بما يجعلها أكثر أمنا من غيرها من قرى نفزاوة خاصة وأنها حصينة طبيعيا بجبل حلوص، أما المنصورة والرابطة، فتسهل نجدتها لقربها من قبلي حيث مركز الخليفة.

وانتقل غومة بمن معه غربا إلى منطقة نفزاوة. لكن بعد محاولات للتوسط لإقامته بتونس وجه محمد باي له إنذارا يدعوه للرحيل عن البلاد، أو أنه سيطرد بالقوة، وذلك في ذي الحجة 1273هـ /23 جويلية - 21 أوت 1857م ([25])، ويأتي هذا الإنذار نتيجة :

([23]) بنبلغيث (الشيباني)، "كفاح الشيخ غومة بن خليفة المحمودي في جنوب تونس"، في، **المجلة التاريخية المغاربية**، السنة 19، ع 67-68، أوت 1992، ص 294-295.

([24]) **المرجع نفسه**، ص 295.

([25]) **المرجع نفسه**، ص 302.

– فشل وساطة الباي لدى الباب العالي للعفو عن غومة، إذ أجيب "بأنه من المفسدين في الأرض"([26]).

–الشعور بالخطر من أن تتحول مناصرة نفزاوة لغومة إلى عداء لحكومة الباي. خاصة وأن الرجل قد اتهم بأنه "لم يزل يفسد في العربان ويستميل ضعفاء العقول بالتنفير من أداء الإعانة بأنها جزية مضروبة على العرب المسلمين" ([27]).

ومنذ شهر محرم 1273هـ / سبتمبر 1856م، أمر الباي بتجهيز محلة "لتشريد غومة في الصحراء" ([28]). وقد تكونت هذه المحلة من الخيالة والمدفعية ودعا الباي القبائل الموالية للسلطة إلى الانضمام إلى تلك المحلة فالتحقت بها فعلا قبائل جلاص والهمامة ونفات، وأسندت قيادتها إلى مَحمد خزندار عامل سوسة والأعراض ويساعده أمير الأمراء أبو محمد رشيد الذي كان يتابع مسألة غومة منذ البداية باعتبار مركزه ككاهية للأعراض.

وعندما وصلت المحلة إلى نفزاوة وجدت مساعدة من القرى والقبائل التي تنتمي لصف يوسف، فبدا هذا التدخل وكأنه لصالح شق ضد الآخر. ووقعت المواجهة يومي 14 و15 سبتمبر 1857م، وقد اعترفت التقارير الرسمية في حد ذاتها بصمود البلدة وما أدخلته هذه المعركة من اضطراب حقيقي في صفوف القوات المهاجمة التي سقط من بين أفرادها عدد من القتلى والجرحى ([29]). وهو ما اضطرها إلى فك الحصار والعودة إلى قابس في انتظار جولة ثانية.

وفي فترة الهدنة انسحب غومة نحو بلدة الجرسين البعيدة عن مناورات الجيش الحكومي وليكون أقرب إلى الحدود الجزائرية. وقد نزل خارج البلدة وواحتها بموضع مرتفع مما يدل على أنه كان يتوقع تعقبه. ولم يلبث أن هوجم فعلا من قبل صف يوسف من قبائل المرازيق وأولاد يعقوب وذلك يوم 14 صفر 1274هـ / 3 أكتوبر

([26]) ابن أبي الضياف، **الإتحاف**، تونس 1963، ج 4، ص 215.

([27]) **المصدر نفسه**.

([28]) **المصدر *نفسه***.

([29]) ضيف الله، **المجتمعات المائية**، **نفس المرجع**، ص 58.

1857م ([30]). وتمكنت تلك القبائل من مباغتته في البداية لكن المعركة انتهت بهزيمتها وسقط عدد كبير من الجانبين بين قتلى وجرحى، وفي هذه الموقعة قال أحد أنصار غومة مفاخرا :

نهار خطرة الزرسين ماكم ريتو

كثير المكاحل في الرتم خليتو ([31]).

أما بقبلي، فإن عناصر المقاومة قد تراجعت، نتيجة التعبئة المضادة. وفي أواسط نوفمبر 1857م، عادت المحلة ومعها الأوامر باستعمال أقصى أنواع العنف ضد السكان وتهديم البلدة وبيع واحتها. غير أن المعركة التي كانت تتوقعها المحلة لمحو نتائج الهزيمة السابقة تحولت إلى مجرد استعراض عسكري في قرية مذعورة وشبه خالية ([32]). وانتهى الأمر بإلحاق ما يشبه اللعنة بها إذ "هدمت بلادهم وهتكت حرمة نسائهم من أمير الجيش وأتباعه ونهى الباقين عن إعادة بنائها" ([33])، كما وقع أسر عشر نساء والقبض على مائة وخمسين رجلا من بينهم الخليفة ونجله، وزيادة على ذلك عرضت واحة قبلي للبيع. وقد اشتراها بتاريخ 29 ربيع الأول 1274هـ / 17 نوفمبر 1857م خليفة تلمين محمد الحبيب بن حسين بن أحمد السوداني بمائة وخمسة وعشرين ألف ريال، غير أنه اكتفى فيما بعد بالربع منها، واشترى أهل جمنة النصف وأهل القلعة الربع المتبقي، وبالتالي آلت ملكية واحة قبلي بأكملها إلى صف يوسف المعادي لصف شداد زيادة في التنكيل بأهل قبلي ([34]).

([30]) استنادا إلى تقرير من أمير المحلة بتاريخ 15 صفر 1274هـ/4 أكتوبر 1857م (انظر الهامش 54 من مقال د. بنبلغيث، **نفس المرجع**، ص 305.) والرواية الشفوية التي تؤكد أن معركة الجرسين تمت يوم سبت إذ أن صف يوسف كان يعلم أن غومة لا يقاتل هذا اليوم فأراد الإجهاز عليه، وجدنا أن أقرب يوم سبت من تاريخ التقرير المذكور هو يوم 3 أكتوبر 1857.

([31]) المعنى : لقد شاهدتم يوم معركة الجرسين كيف أنكم تركتم الكثير من البنادق تحت شجيرات الرتم. وفي ذلك إشارة إلى كثرة القتلى من بين المعتدين.

([32]) ضيف الله، **المجتمعات المائية**، **نفس المرجع**، ص 59.

([33]) ابن أبي الضياف، الإتحاف، **نفس المصدر**، ج 4، ص 218.

([34]) ضيف الله، **المجتمعات المائية**، **نفس المرجع**، ص 62-63.

وفي معركة قبلي قال الشاعر المكي الحامدي وهو من قرية المنشية التي تنتمي إلى صف شداد قصيدة طويلة نورد منها ما يلي([35]) :

عام أربعة وسبعـــــــين يـــــــا عين
تاريخها في السفـــــــــــــايـــــــر
قبلي وبني يزيد غـــافليـــــــــــن
جـــــــــاهم صحيح النّــذايـــــــر
همــــام وجـــلاص لثنيـــــــــــن
ونفـــــات طاس الخمـــــــــــايـر
جَوا لَهْـــــــــــــلْنا مْغلليـــــــن
مثل جـــراد النشـــــــــــــايـر
داروا عليـــــــهم دُوريـــــــــن
خلخال ع الســــــاق دايــــــــر
ظـــهرولهم فـــي القفــــــــاطيـن
أولاد يقـــدوا الكشـــــــــــــايـر
لِنْ عاد الضرب في المســـــــالين
خشـــــوا الخنـــق والقفـــــــاير

لقد وصف الشاعر الصمود الذي أبداه أهل قبلي والحصار الذي تعرضت له بلدتهم مركزا على الصراع القبلي أساسا. وقد بقيت آثار الخراب بادية بالبلدة عدة سنوات، وقد سجل لنا ذلك الرحالة الفرنسي غيران الذي زار المنطقة سنة 1860 إذ كتب ما يلي، إذ كتب ما يلي : "لاحظت أن نصف المنازل مهدمة أو مقلوبة جزئيا وأن العديد من المساجد مقوضة، وفي كل خطوة يلاحظ أثر النار والقذائف والرصاص، وكل ذلك يشهد على الخراب الذي تكبدته"([36]).

([35]) حسن (بلقاسم)، **الأوضاع العامة بنفزاوة في عهد محمد الصادق باي من 1859 إلى 1882**، شهادة الكفاءة في البحث تحت إشراف الأستاذ علي المحجوبي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس 1992، ص 53-54.

([36]) Guérin, **Voyage..., op. cit**., p. 241.

وأدت تلك الأعمال إلى مزيد زرع النقمة وتغذية منطق الثأر بين نزعتي يوسف وشداد. وفي الحقيقة إن ما أصاب قبلي قد أثار عطف بعض دوائر السلطة نفسها من ذلك أن الوزير مصطفى خزندار طلب منذ رمضان 1274هـ/أفريل 1858م من أمير محلة الجريد الصادق باي الرفق بأهل نفزاوة بأن يدفعوا الضرائب الجديدة فقط وما أمكن من الضرائب القديمة([37]). وفي سنة 1860 أذن الباي لأهل قبلي باستعادة واحتهم على أن يدفعوا ثمنها، وقد ساعدتهم على ذلك قبائل الصابرية وغريب، فسددوا الثمن لكل من القلعة وجمنة بينما أمهلهم خليفة تلمين إلى سنة 1867 ([38]).

ولتجاوز مخلفات تلك الأحداث وقعت بعد بضع سنوات إعادة التنظيم الإداري لنفزاوة على أسس جديدة، إذ وقع التخلي عن التنظيم الذي يعتمد على نزعتي يوسف وشداد ووقع توحيدها سنة 1290هـ/1873م. وجعلت تحت نظر خليفة قبلي أحمد بن بلقاسم بن حمادي الذي أصبح يحمل لقب كاهية بداية من محرم 1293هـ/ فيفري 1876م ([39]). وفي سنة 1879 وقعت العودة إلى التقسيم الإداري القديم بين النزعتين، فحصر نفوذ الكاهية في صف شداد وعُيّن علي بو علاق على صف يوسف ([40]). فما هي الدوافع التي أدت إلى العودة إلى الوضع السابق؟

نشير أولا إلى أن توحيد نفزاوة تم في عهد خير الدين، والعودة عنه كانت بعد تنحيته من الوزارة الكبرى. إلا أن السبب الأهم يتمثل في أن الصراع بين النزعتين يوسف وشداد، قد استمر رغم التوحيد الإداري، وقد اتخذ أشكالا جديدة. ذلك أن الكاهية استغل منصبه الجديد لينتقم من صف يوسف، مقابل إصرار هؤلاء على إظهار عجزه في تسيير المنطقة. ولم تستطع السلطة المركزية أن تتبين حقيقة هذه الرهانات. فكان أن دخلت على الخط لإجبار بلدة جمنة على دفع الضرائب، وكان الجمنيون قد امتنعوا عن الخضوع للإحصاء بدعوى أنهم معفون من الضريبة باعتبارهم "فقراء" و"أهل زاوية". وتواصل الشد والجذب بينهم من جهة والسلطة المركزية من جهة

([37]) بنبلغيث، "كفاح الشيخ غومة...."، **نفس المرجع**، ص 309.

([38]) Moreau, **Le pays..., op. cit**., p. 100..

([39]) حول أحمد بن بلقاسم راجع بحثنا : "مخزنة الأعيان المحليين: قراءة في سيرة الكاهية أحمد بن بلقاسم"، **روافد**، ع 11، 2006، ص 115-131.

([40]) حسن، الأوضاع العامة بنفزاوة...، **نفس المرجع**، ص 133-134.

أخرى وكان الواسطة في ذلك الكاهية أحمد بن بلقاسم. وانتهى الأمر في أفريل 1879 بقدوم محلة من عسكر قفصة والجريد، بقيادة مَحمد المرابط، وتوجهت نحو البلدة التي حاولت الدفاع عن نفسها بكل بسالة. غير أن المعركة انتهت في الأخير باستسـلامها بعد أن قتل من الجمنيين 39، مقابل 21 من القوات الحكوميـة. كمـا أسـفرت عـن عشرات الجرحى من بينهم 39 من القوات المهاجمة، وهو ما يدل على الصمود الذي أبدته بلدة جمنة التي تضررت أيضا باعتقل 59 من أبنائها ([41]). ورغم ذلك الخراب، لم يتورع أحدهم في مخاطبة جمنة قائلا:

ياجمنة راهو السلف يولـــي

ريتيش ماعملت نهار قبلي

وهذا البيت يعكس مشاعر الثأر والنقمة التي زرعت منذ أكثر من عشـرين سـنة والتي بقيت تغذي سلوك الناس وتصرفاتهم، وقد أدى في المدى القريب إلى العودة إلى التقسيم الإداري القديم بين وطن يوسف ووطن شداد، ولكنه كان أحد العوامـل التـي سهلت دخول الاستعمار الفرنسي إلى المنطقة سنة 1882.

([41]) ضيف الله، **المجتمعات المائية، نفس المرجع**، ص 82-83.

الفصل التاسع

بعض الجوانب السياسية بنفزاوة

(1881-1956)

قد يثير التاريخ المعاصر، وخاصة إذا كان محليا، جدلا حادا وخلافا كبيرا، ذلك أنه يشكل بحثا عن جذور الحاضر. ولا يقتصر ذلك الخلاف على ماضي أولئك الذين هم على قيد الحياة، بل يمتد إلى ماضي آبائهم وأجدادهم ؛ وينطبق هذا تماما على منطقة نفزاوة، إذ في مجتمع حديث عهد بتحطيم المؤسسة القبلية وشديد التمسك بالقيم الأبوية، يرتفع الأسلاف إلى مركز التقديس والتنزيه، ولا غرو في ذلك فهم في كثير من الأحيان منبع للشرعية وجذر نابض للمكانة. ومما يزيد صعوبة دراسة هذه الفترة، عدم فتح الأرشيف الإداري للمنطقة، وتتأكد هذه المسالة اليوم خاصة وأن وثائق الأرشيف الوطني إلى سنة 1956 موضوعة على ذمة الباحثين، كما تتوفر بالمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، وثائق مصورة عن الأرشيفات الفرنسية التي تهم البلاد التونسية.

وفي انتظار أبحاث معمقة وشاملة سوف نقتصر في هذا الفصل على بعض الجوانب التي ميزت التاريخ المعاصر لمنطقة من المفترض أن تكون بعيدة عن دوائر تأثير الحركة الوطنية خطابا وإيديولوجيا. فكيف كان رد الفعل بنفزاوة على دخول قوات الاحتلال؟ وكيف تم إخضاعها وصولا إلى جعلها من التراب العسكري؟ وما هي مساهمة النفزاويين في حركة المقاومة المسلحة ومدى ارتباطها بالحركة الوطنية؟

1- احتلال المنطقة ورد الفعل المحلي :

يبدو أن رد الفعل بنفزاوة كان ضعيفا على اختراق الجيش الفرنسي للحدود التونسية قادما من الجزائر يوم 24 أفريل 1881. ولم يتطور رد الفعل ذاك حتى مع

انتصاب الحماية يوم 12 ماي الموالي([1]) إذ أن المنطقة نائية ولم يلمس السكان الخطر الفرنسي، وكانت تقود بعضهم الطاعة العمياء للأمير الذي دعا إلى الاستسلام لقوات الاحتلال، غير أن الوضع بدأ يتغير في صائفة تلك السنة. ذلك أن الباي أطلق في شهر جويلية سراح عدة شخصيات نافذة في مناطقها لمساعدته على تهدئة الأوضاع. وكان من بينهم علي بن محمد بوعلاق، زعيم أولاد يعقوب وخليفة صف يوسف بنفزاوة ([2]). وكان هذا القائد مدركا للأوضاع العامة بالبلاد والتي تتجه نحو الثورة، إذ قد تشكل منذ شهر جوان 1881، شبه مجلس قيادي لتسيير المقاومة كان على رأسه علي بن خليفة زعيم قبيلة نفات، والتي تنتمي هي الأخرى إلى صف يوسف([3]). فاتصل به علي بوعلاق حال إطلاق سراحه، كما اتصل بأحمد بن يوسف زعيم قبيلة الهمامة وأعلن بالتالي الثورة على الباي والجهاد في سبيل الله، وقاد بعض فرسان أولاد يعقوب إلى جانب حركة المقاومة. ومن الأعمال التي قام بها إغارته بين 15 و20 أكتوبر 1881 مع الهمامة على عدة جهات بالشمال وعلى الحدود الجزائرية مستهدفا المصالح الفرنسية ؛ غير أن هذه العمليات كانت محدودة، والدليل على ذلك أن أولاد يعقوب لم يغادروا نقة التي كانت تعتبر قاعدة لهم ([4]).

وإثر إخضاع قابس نهائيا بعد أربعة أشهر من المقاومة بدأت الأفواج الأولى من المهاجرين النفزاويين تتجه نحو البلاد الطرابلسية، في انتظار تدخل عثماني لتحرير تونس من الاحتلال الفرنسي. وقد تكونت تلك الأفواج خاصة من عشيرة أولاد بوبكر من أولاد يعقوب ومن مرازيق العوينة والعذارى وسكان تلمين وأم الصمعة، والتحقت

([1]) Résidence Générale de France à Tunis (R. G. F.), **Historique du bureau des affaires indigènes de Kébili**, Bourg, 1931.

([2]) المرزوقي (محمد)، **صراع مع الحماية**، دار الكتب الشرقية، تونس 1973، ص217 ؛ يعتبر هذا الكتاب وكذلك بقية كتب المرزوقي التي سنشير إليها أدناه مصدرا هاما للتاريخ المعاصر للمنطقة، إذ أنه اعتمد فيها وبصورة أساسية على الروايات الشفوية التي كانت أكثر انتشارا في العقود القليلة الماضية.

([3]) المحجوبي (علي)، **انتصاب الحماية الفرنسية بتونس**، سراس للنشر، تونس 1986، ص47.

([4]) المرزوقي، **صراع...**، **نفس المرجع**، ص217.

بهم مجموعات أخرى من جمنة وزاوية الحرث ([5]) في ربيع 1882، إثر احتلال المنطقة. فكيف تم هذا الاحتلال؟

في 30 مارس 1882 اجتازت الكتيبة السادسة للجيش الفرنسي بقيادة الجنرال فيلبار (Philbert) شط الفجيج قادمة من قفصة في اتجاه نفزاوة([6]). وعندما توقفت في اليوم الموالي باستفطيمي التحق بها مائة فارس يقودهم كاهية وجق قبلي أحمد بن بلقاسم بن حمادي الذي بقي وفيا لنداء الباي بالإستسلام. ويبدو أنه أفاد القائد الفرنسي بمعرفة الوضع بالمنطقة ([7])، فتوجهت قوات الاحتلال للقضاء على ما يمكن أن يشكل جيوبا للمقاومة فخربت قرية أم الصمعة ونهبتها يوم 2 أفريل 1882، ودخلت في اليوم الموالي إلى قرية نقة مركز أولاد يعقوب ([8]). وكانت هذه العمليات عنيفة وشديدة، إذ كانت تهدف إلى بث الرعب في من يمكن أن تسول له نفسه مقاومة السادة الجدد. وأمام العنف الاستعماري، طلب قاضي نفزاوة ضو بن بوبكر بن بلحسن وعدد هام من سكان جمنة والمنصورة وقبلي ومن بقي من سكان تلمين الأمان. ويبدو هنا أن القمع لم يفرق بين صفي يوسف وشداد بعدما استفاد من الصراع والتباغض بينهما. وفي يوم 5 أفريل، خيم الجنرال فيلبار بجيشه بالبرج الذي كان قد أقامه أحمد باي شمال بلدة قبلي، وحمل منذ ذلك الحين اسم الجنرال الفرنسي، وانطلاقا منه بسط الجيش الفرنسي نفوذه على كامل المنطقة، وختم ذلك بالإتجاه جنوبا نحو مضارب المرازيق لإخضاعهم إلى السلطة الجديدة. وفي يوم 14 أفريل قدم إلى القيادة العسكرية عدد منهم وعبروا لها عن ولائهم للحماية واستعدادهم للعمل معها ([9]).

إن انقسام نفزاوة إلى شقين متعاديين سهل مهمة جيش الاحتلال بالمنطقة دون أن تنعدم الخشية من اندلاع حركة عنيفة ضد المستعمرين بها، ويبدو أن هذا الدافع جعل

([5]) Martel (André), **Les confins saharo-tripolitains de la Tunisie (1881-1911),** Tunis 1965, T1, pp. 264-265.

([6]) Philebert (Gl. Ch.), **La 6e Brigade en Tunisie**, 1895, p.143.

([7]) Augias (L.), "Deux années au Nefzaoua", in, **Revue Tunisienne**, 18e année, N° 85, Jan. 1911, p. 49.

([8]) Philebert, **La 6e Brigade..., op. cit,** pp. 148-152.

([9]) R. G. F., **Historique..., op. cit.**

الجنرال فيلبار يأذن بالإعتقال التحفظي لعدد من السكان الذين لم يطلق سراحهم الا بعد خمسة أشهر ([10]).

إن العنف الاستعماري أو الخشية منه، أجبر أعدادا من سكان نفزاوة على الهجرة إلى طرابلس. لكن يبدو أن جملة هؤلاء اللاجئين لم تكن هامة بالمقارنة مع الأعداد الغفيرة من القبائل والمناطق الأخرى، فلم تتجاوز المئات من بين عشرات الآلاف من المهاجرين الذين كانوا يأملون في تدخل عثماني لإنقاذ بلادهم. ولكنهم من جهة أخرى لم يخلدوا إلى الراحة هناك، إذ قاموا في صيف وخريف 1882 بعدة عمليات ناجحة ([11]) وكانت نفزاوة معبرا لهم نحو المناطق المستهدفة، كما كانت قبل ذلك معبرا لأعداد هامة من الهمامة المتجهين نحو البلاد الطرابلسية. ومن تلك العمليات أن مائتين وخمسين فارسا من جلاص والهمامة عبروا الحدود يوم 16 أوت 1882 ووصلوا إلى بئر سلطان ثم بئر زميط، واستفادوا من مساعدة أهالي نفزاوة إلى أن وصلوا إلى ليماقس ثم تجاوزوا شط الفجيج وقاموا بعدة عمليات ناجحة في مناطق الوسط، ثم ورغم محاصرة طريق عودتهم، تمكنوا من الالتحاق بمركز انطلاقهم.

كما وصل يوم 14 سبتمبر عدد آخر من الهمامة وأولاد يعقوب إلى بئر زميط قادمين من الأراضي الطرابلسية، ثم اجتازوا نفزاوة وشط الفجيج حيث اعترضوا قافلة تابعة للمرازيق وافتكوا منها أربعمائة جمل وقتلوا سبعة من رجالها ثم تفرقوا في منطقة الجريد. ولم تنعدم مثل هذه العمليات فيما بعد، من ذلك أن مائة فارس من أولاد يعقوب وأولاد ثابت الطرابلسيين، قاموا في نوفمبر 1885 بهجوم سطوا فيه على مائة جمل بمنطقة نفزاوة، وفي جانفي 1886 على مائة وخمسين جملا بتمزرط ([12]). ومن بين من عوقبوا بسبب تلك العمليات بلقاسم بوعلاق الذي ألقي عليه القبض في نفزاوة

([10]) Augias, "Deux années....", **op. cit.**, p. 49.

([11]) Karoui (H.) et Mahjoubi (A.), **Quand le soleil s'est levé à l'ouest, Tunisie 1881, Impérialisme et résistance**, Cérès Productions, Tunis 1983, pp. 161-162 ; voir également : Martel, **Les confins..., op. cit**, T1, pp. 291-292.

([12]) **Ibid**., T1, p. 342.

وحكم عليه بخمس سنوات سجنا "بسبب قيامه شخصيا بقيادة عدة عمليات إغارة في تراب الإيالة"، كما حكم عليه بإرجاع المبالغ التي حصل عليها من تلك العمليات ([13]).

وكتلخيص لكل ذلك نلاحظ :

-أن نفزاوة لعبت دورا هاما كمعبر للمهاجرين، وذلك لبعدها عن الشريط الساحلي حيث كثافة التواجد الاستعماري، ولا شك أنهم استفادوا من تعاون بعض السكان معهم.

- أن المهاجرين من أولاد يعقوب على قلة عددهم مقارنة مع بقية المهاجرين بالبلاد الطرابلسية، شاركوا بفعالية في إزعاج السلطات الاستعمارية.

- أن العمليات التي قاموا بها استهدفت -فيما استهدفته- أملاك السكان الذين قبلوا نظام الحماية بالصمت أو المؤازرة. كذلك فإن هذه العمليات تعتبر احتجاجا على انتصاب النظام الجديد، كما أنها رد فعل على مختلف أشكال القمع المسلط على السكان.

غير أن السلطات الفرنسية سعت إلى عودة أولئك المهاجرين واستعملت لذلك مختلف الإغراءات، وكانت تهدف من ذلك إلى القضاء على المقاومة العنيفة التي واجهتها. ومع اليأس من النجدة العثمانية والضيق الذي وجده المهاجرون بطرابلس، بدؤوا في العودة مع نهاية سنة 1882 وخاصة سنتي 1883 و1886. ويذكر محمد المرزوقي أن الشيخ محمد بن عبد الله المرزوقي الذي هاجر مع عدد من العائلات المرزوقية، عاد من طرابلس بين 1883 و1886 ([14]). أما ليوبولد براban فقد لاحظ في ربيع 1885 أي بعد مرور ثلاث سنوات على احتلال نفزاوة، أن هناك نقصا في زراعة مساحة هامة من أراضي تلمين بسبب فرار سكانها عنها إلى طرابلس، وقد عبر عن الأمل في عودتهم إلى موطنهم وإلى الحياة الفلاحية الهادئة ([15])، وهذا ما يدل على طول فترة الهجرة رغم الإغراءات الفرنسية ومن بينها منح العفو العام في صائفة 1882. وإذ لم تطل الهجرة بعدد من المهاجرين إلا بضعة أشهر فإن البعض

([13]) De Bechevel, **Notice concernant les tribus de Nefzaoua**, Fonds SHAT, 1886, folio 147.

([14]) المرزوقي، **صراع...**، **نفس المرجع**، ص 268.

([15]) Baraban (Léopold), **A travers la Tunisie**, Paris, 1887, p. 65.

الآخر امتدت هجرتهم عدة سنوات، وفي سنة 1886 لم يبق من المهاجرين غير ثماني عائلات كلها من أولاد بوبكر من أولاد يعقوب ([16])، وعلى رأسها علي بوعلاق الذي لم يعد إلى نفزاوة الا سنة 1907 ([17]) أي بعد ربع قرن من احتلال المنطقة، فوجد أن الواقع قد تغير تماما، وأصبح تغييره يبدو صعبا إن لم يكن مستحيلا. فكيف سيطرت القوات الاستعمارية على المنطقة وأخضعت المجتمع المحلي؟

2- تركيز الإدارة العسكرية :

لقد لعب الجيش والهيكل الإداري دورا مميّزا في إخضاع المنطقة للسلطة الاستعمارية، إذ بعد السيطرة الترابية عليها، توجه السادة الجدد إلى السيطرة على الإدارة المحلية قصد تسخيرها وتوجيهها لصالح أهدافهم. وبما أن نظام الحماية يقضي بأن تبقى هذه الإدارة بأيدي موظفين تونسيين، سعى الفرنسيون إلى تنصيب أو تعزيز دور من يرونه مناسبا لتحقيق أهدافهم. وفي هذا الإطار سمى الجنرال فيلبار، أحمد بن بلقاسم بن حمادي عاملا على نفزاوة سنة 1882 ([18])، وأصبح بالتالي لا يخضع للإدارة المركزية وإنما للمراقبة العسكرية الفرنسية، ويبدو أن إقرار كاهية قبلي على رأس الإدارة المحلية يعود إلى :

-انتمائه إلى إحدى أكبر العائلات بقبلي وبنفزاوة بصفة عامة.

-تجربته في إدارة المنطقة لمدة تتجاوز العشرين سنة.

-عدم رفضه لجيش الاحتلال وخاصة لانتمائه للصف المعادي لصف يوسف الذي كان يقود الثورة ضد الاحتلال.

أما مهمة الإدارة العسكرية فتتمثل في مد المقيم العام بملاحظاتها حول الأوضاع السياسية والمعنوية والدينية والاقتصادية والاجتماعية. وكان بإمكانها خلع أي مسؤول عند الحاجة ([19])، إضافة إلى قمع كل محاولة للتمرد والثورة. وكان على رأس تلك

([16]) De Bechevel, **Notice ..., op. cit**, folio 143 verso.

([17]) المرزوقي، **صراع...**، **نفس المرجع**، ص 219.

([18]) ضيف الله، "مخزنة الأعيان المحليين..."، **نفس المرجع**، ص 128-129.

([19]) المحجوبي، **انتصاب...**، **نفس المرجع**، ص 108.

الإدارة في البداية القبطان ديبرتار (Déporter)، ويعينه مكتب للاستعلامات تابع لجيش الاحتلال.

وكان لا بد من حدوث خلاف بين هذه الإدارة العسكرية والعامل الذي تعود على ممارسة نفوذ مطلق بمنطقته. غير أن السلطات العسكرية اتهمته بارتكاب تجاوزات ضد منافسيه من صف يوسف، واتخذت ذلك تعلة لعزله في أواخر 1885 ([20])، وعينت مكانه بلقاسم بن محمد بن خليفة ([21]) ابن أخي الثائر علي بن خليفة في محاولة لطي صفحة المقاومة. ثم إنه لإحكام إخضاع السكان وقع توجيههم للتصدي لعدو خارجي يتمثل في الطوارق والشعانبة.

وإلى جانب ذلك، لم يخفّ ضغط النفوذ العسكري بالمنطقة بل وقع تقنينه إذ عين على رأس نفزاوة ملازم من مصلحة الاستعلامات هو بيشفال (Béchevel) الذي أظهر مقدرة فائقة بكل من بنزرت وماطر وفريانة وأم التمر([22]). وبينما اتجهت المناطق الشمالية والساحلية نحو الإدارة المدنية ببعث مراقبات مدنية بداية من أفريل 1885 وتدعيم هذا التوجه في ديسمبر 1886 وجويلية 1887 ببعث مراقبات جديدة، بقيت المناطق الشمالية الغربية والجنوبية تابعة للسلطة العسكرية. وبالنسبة لنفزاوة فصلت إدارتها عن المراقبة المدنية بتوزر في غرة نوفمبر 1890، فأصبحت منطقة عسكرية ([23])، وتدعم بالتالي دور مكتب الاستعلامات الذي يوجد بها منذ بداية الاحتلال.

وقد كان مقر هذا المكتب إلى سنة 1890 بدوز، وكان يديره قبطان بمساعدة ملازمين وضابط مترجم وطبيب وعدد من الكتبة. وإضافة إلى ذلك تأسس سنة 1890

([20]) بعد عزله في المرة الأولى، سمي أحمد بن بلقاسم من جديد عاملا في جويلية 1895 ثم ما لبث أن اتهم في حادثة مقتل الرحالة الفرنسي المركيز دي موراس (جوان 1896) فعزل عن منصبه في 15 ماي 1898 ومثل في جويلية 1902 أمام المحكمة الفرنسية بسوسة التي برأت ساحته. ورغم ذلك فإن مجرد توجيه التهمة إليه يؤشر على خلافه مع الإداريين الفرنسيين.

([21]) Martel, **Les confins..., op. cit**., T1, p. 326. ؛ انظر كذلك : علية الصغير (عميرة)، "ملامح من نفزاوة في السنوات الأولى من الاحتلال الفرنسي من خلال نوتيسات الاستعلامات العسكرية"، في، **أمل**، س 4، ع 10-11، الدار البيضاء، 1997، ص 296-297.

([22]) Martel, **Les confins..., op. cit**., T1, pp. 325-326.

([23]) لجنة البحوث التربوية، **تاريخ نفزاوة، نفس المرجع**، ص 13.

وجق منتظم بثمانين مخزنيا في البداية ([24])، ويبدو أن هذا العدد انخفض إلى تسعة وعشرين في بداية القرن ([25]) وأصبح يعد خمسين نفرا بعد الحرب العالمية الثانية([26]).

لقد امتدت هيمنة الدولة الاستعمارية شيئا فشيئا فأخضعت كل المجالات ومن مظاهر ذلك إخضاع عروش المرازيق وغريب بداية من سنة 1907 إلى دفع المجبى، بعدما كانوا معفون منه لأنهم أولاد زاوية ([27]). ومن جهة أخرى ولمزيد إحكام السيطرة على المنطقة، تحول المركز الإداري لنفزاوة من دوز إلى قبلي، إذ كان مركز دوز في بداية الاحتلال يستجيب للتوجه نحو إخضاع المناطق الصحراوية ومراقبة منطقة الظاهر وتوجيه السكان نحو عدو خارجي يتمثل في الطوارق والشعانبة الذين يتطلب صدهم مركزا متقدما. ثم وبموجب قرار مؤرخ في 30 سبتمبر 1890، وقع اختيار سوق البياز شمال بلدة قبلي ليكون المركز الإداري والعسكري لنفزاوة ؛ وتأتي أهمية هذا المركز الجديد من:

- موقعه الهام بوسط نفزاوة، وإشرافه على الطريق الرابطة بين توزر وقابس والتي تمر عبر شط الجريد.

- ربطه بين عالمي البداوة والاستقرار بالمنطقة، إذ أنه يشرف على قرى شبه الجزيرة من جهة وقبائل الرحل وأنصاف الرحل من جهة أخرى.

وقد بدأ سوق البياز يشرف على إدارة نفزاوة منذ غرة مارس 1891، وبعد ذلك امتد نفوذه إلى خارج المنطقة، إذ وقع تقسيم الجنوب التونسي إلى دائرتين إحداهما بقبلي والأخرى بمدنين. وكانت دائرة قبلي تضم المراكز التالية: دوز ومطماطة والحوايا (بني خداش)([28])، لكن بداية من سنة 1907، أصبحت بدورها خاضعة للقيادة العسكرية لتراب الجنوب والتي يوجد مقرها بمدنين([29]).

([24]) **المرجع نفسه**.

([25]) Violard (Emile), **L'Extrême Sud Tunisien**, Tunis,1905, p. 73.

([26]) Moreau, **Le pays des Nefzaouas**, **op. cit**., p. 122.

([27]) Augias, "Deux années. ..", **op. cit**., p. 51 ; انظر كذلك:
Martel, **Les confins...**, **op. cit**., T2, p. 68.

([28]) لجنة البحوث التربوية، **تاريخ نفزاوة، نفس المرجع**، ص 14.

([29]) Augias, "Deux années....",**op. cit**., p. 44.

ومن جهة أخرى، استبدل مكتب الاستعلامات في 18 جانفي 1900 بمكتب للشؤون الأهلية (بيرو عرب) يرأسه ضابط برتبة قبطان ويساعده ملازمان وضابط مترجم وعدد من الكتبة. وتتمثل مهمة هذا المكتب في حفظ الأمن، وهو يسير وجقا من المخزن، قوامه فرقة فرسان بقبلي على رأسها باش شاوش وإثنان من الشواش [30] وفرقة من المهاري بدوز يقودها شاوش.

وإضافة إلى هذه الإدارة العسكرية الفرنسية، كانت هناك إدارة تونسية، إذ كانت نفزاوة بعد فصلها عن عمل الجريد وحدة إدارية مستقلة تسمى عملا، يوجد على رأسها العامل ومقره بقبلي. أما في المستوى الثاني فيوجد الخليفة، وكان هناك خليفة واحد مقره بدوز [31]، ويوازيه في الإدارة العسكرية ملازم ينوب رئيس مكتب الشؤون الأهلية بها. وقبيل الحرب العالمية الثانية وقعت تسمية خليفة ثان بقبلي لينوب العامل عند الحاجة، ويفصل في القضايا البسيطة عند الإقتضاء. وتتمثل مهام هذه الإدارة التونسية في استخلاص الضرائب وفصل القضايا الخفيفة بين السكان، وأنيطت بها منذ سنة 1913 مهمة ضبط الحالة المدنية.

كما قسمت المنطقة إلى ثماني عشرة مشيخة وهي : قبلي وتلمين والمنصورة والمنشية وبوعبد الله وأم الصمعة والجرسين والعذارى والصابرية وغريب وبشري وأولاد يعقوب وجمنة وبشلي ودوز الغربي ودوز الشرقي والعوينة والقلعة. وتتمثل مهمة المشائخ في جمع الضرائب وحفظ النظام العام وإعلام مكتب الشؤون الأهلية أو العمل بكل ما يستجد بمناطقهم. وبذلك ضمنت القوات الاستعمارية الهيمنة على المجتمع المحلي والنفاذ إلى مختلف أجزائه. غير أن ذلك لم يحل دون استغلال المنطقة

---

(30) من أهم ضباط المخازنية بنفزاوة في أواخر القرن التاسع عشر سعيد بن نصر الذي عين باش شاوش سنة 1890، ثم قايدا على المنطقة في بداية جويلية 1898 واستمر في منصبه إلى سنة 1921. انظر بحثنا الموسوم : "في مسألة العلاقة بين الأعيان والاستعمار في الجنوب : القايد سعيد بن نصر نموذجا"، في الندوة الدولية الثانية عشرة حول : **الجنوب التونسي من الاحتلال إلى الإستقلال**، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية 2005، ص 419-448.

(31) وقع بعث هذه الوحدة الإدارية في مارس 1896 وسمي عليها كخليفة بلقاسم بن راشد الذي كان منذ سنة 1894 شيخا لدوز.

لفترات تراجع النظام القائم وإعلان الثورة ضده، وكان لنفزاوة في هذا المجال إضافاتها ودورها المتميز، فساهمت من موقعها في حركة التحرر الوطني.

3- مساهمة نفزاوة في الحركات المسلحة :

لقد ساهم أبناء نفزاوة بأقدار مختلفة في الانتفاضات والحركات المسلحة التي عرفها الجنوب التونسي منذ انتصاب الحماية، فشاركوا في حركة المقاومة لسنتي 1881 و1882، كما شاركوا في انتفاضة 1915، غير أن أهم مساهماتهم تمثلت في الانتفاضة التي فجرها المرازيق سنتي 1943 و1944، فكانت هذه الانتفاضات سلسلة غذت السابقةُ من حلقاتِها اللاحقةَ وغرست تقاليد عريقة في الجهاد ومقاومة المستعمر.

أ. انتفاضة 1915 :

وإذ لم يتعد تأثير أحداث الجلاز والتراموآي (1911-1912) الحاضرة إلى داخل البلاد ومن بينها نفزاوة، فإن المنطقة مثلها مثل بقية مناطق الجنوب أحسّت بوطأة الاحتلال الإيطالي لليبيا، فتعاطفت مع الليبيين الذين لجؤوا إليها، وكانت انتفاضة 1915 مناسبة لتجسيد ذلك التعاطف والترجمة العملية للتضامن العربي الإسلامي.

اندلعت تلك الانتفاضة أثناء الحرب العالمية الأولى عندما كانت القوات الاستعمارية الفرنسية (بالنسبة لتونس) والإيطالية (بالنسبة لليبيا) منشغلة بسير المعارك على ميادين أخرى. ومما ساهم في اندلاع هذه الانتفاضة النداء الذي وجهه الخليفة العثماني إلى كافة المسلمين يدعوهم فيه للجهاد ضد الحلفاء، ومن ضمنهم فرنسا قصد إلهائها بجبهة جديدة في الجنوب. وقد استجابت الطريقة السنوسية بليبيا لتلك الدعوة والتحمس لها قصد مقاومة الاحتلال الإيطالي.

ومن القبائل التونسية التي انخرطت في الانتفاضة الودارنة وبني يزيد، أما من نفزاوة فقد التحق بها عدد من أبناء المرازيق ([32])، ولعل ما دفعهم إلى ذلك اطلاعهم على حالة الليبيين واتصالهم بهم، إذ أن خليفة بن عسكر الذي سيتزعم الثورة كان قد

([32]) المرزوقي (محمد)، **دماء على الحدود**، الدار العربية للكتاب، تونس 1975، ص 194-204 وص 256 وما بعدها.

نفي مع عائلته إلى بلدة قبلي[33]، ومنها تمكن من الفرار، ويبدو أن ذلك لم يكن ليتم لولا مساعدة السكان له، وتمكن بعد بضعة أشهر من قيادة عدة مئات من الثوار في الهجوم على مركز ذهيبة الحدودي. ومن بين من شارك في انتفاضة الجنوب هذه : الإخوة سالم وأحمد وبوبكر أبناء محمد بن غرس الله. وقد قتل الأول في إحدى معاركها بليبيا، بينما ألقى الفرنسيون القبض على الثاني وتوفي بالسجن، أما أخوهما بوبكر المعروف بابن قطنّش، فقد التحق بهما قبل ذلك وقد كان يعمل في فرقة القومية التابعة للجيش الصحراوي، إذ أرسله الفرنسيون ليثبط أخويه الثائرين ومن معهما من المرازيق مع وعدهم بالعفو وعدم التعرض للعقاب. ولكن ما إن وصلهم حتى انخرط معهم في الانتفاضة. وعندما فشلت وتفرق الثوار رحل إلى بلده وادعى بأنهم كادوا يقتلونه لولا تدخل أخويه وأبناء عمه واكتفوا بعد ذلك بأسره حتى تمكن من الإفلات. وقد صدق الفرنسيون هذا السيناريو لكنهم لم يعيدوه إلى سالف عمله، فالتحق بعد مدة بالأراضي الطرابلسية حيث انخرط من جديد سنة 1922 في الانتفاضة التي كان يقودها الحاج محمد فكيني ضد الفاشية.

ومن بين من التحق بانتفاضة 1915 أيضا عمر بن محمد الغول وهو أيضا من المرازيق. وقد قبضت السلطة الاستعمارية على عائلته ونقلتها إلى بلدة بني خداش حيث وضعتها تحت الإقامة الجبرية. ومن هناك استطاع الابن الأكبر محمد اللحاق بوالده في ميادين القتال. وبعد فشل الانتفاضة بقي عمر الغول مشردا في الصحراء حتى تمكن الفرنسيون من قتله سنة 1924.

وإن لم تكن مساهمة المرازيق في انتفاضة الجنوب مكثفة، فإنها ساهمت في مواصلة بذر الحقد والثورة في الأجيال اللاحقة فشارك بن قطنش مثلا وابنا عمر الغول في انتفاضة 1943-1944، وكانوا بالتالي رمز الاتصال بين انتفاضتين أقلقتا إلى أبعد حدود الاستعمار الفرنسي.

---

(33) Goldstein (Daniel), **Libération ou annexion, aux chemins croisés de l'histoire tunisienne (1914-1922),** M. T. E., Tunis 1978, p. 146 ; voir également: Abdelmoula (Mahmoud), **Jihad et colonialisme :la Tunisie et la Tripolitaine (1914-1918),** Tunis 1987, p. 80 et p. 85.

ب. انتفاضة المرازيق : الإطار العام ([34]) :

لقد أظهرت الحرب العالمية الثانية مدى ضعف فرنسا الحامية، إذ أنها عجزت أمام القوات الألمانية حتى عن حماية أراضيها، وتحطمت بالتالي أسطورة فرنسا التـي لا تهزم والقوة التي لا تقهر، ومما غذى هذا الشعور في المستعمرات الفرنسية عمومـا وفي تونس خصوصا :

- الهزيمة الميدانية التي منيت بها فرنسا أمام المحور، إذ احتلت قـواتهم الـبلاد التونسية بداية من نوفمبر 1942، وأبدت أثناء ذلك القوات الفرنسية ضـعفا متناهيـا وعجزا عن المواجهة الفعلية، فانسحب أغلب قوادها إلى التراب الجزائري.

- الدعاية المحورية التي كانت تتقرب من التونسيين وتظهر المحتلين الجدد على أنهم جاؤوا لتخليصهم من الإضطهاد الفرنسي.

وفي هذا الإطار كان احتلال نفزاوة من قبل المحور، إذ بعد أقل من شـهر مـن وصول قواتهم إلى تونس، تمكنت من احتلال نفزاوة ودخلت يوم 12 ديسـمبر 1942 بلدة دوز آخر المحطات بالمنطقة، وكانت تلك القوات تضم ثلاث مصـفحات وعـدة شاحنات تحمل حوالي مائة جندي. وقد أثار دخولهم فرحة السكان الذين خرجوا فـي مظاهرات ترحيبية ملأت الأماكن العمومية، وعبروا أثناءها عن مشاعرهم المكبوتـة ضد رموز الهيمنة الفرنسية، وربما تجاوزوا ذلك إلى تأييد الاحتلال الجديد.

وعلى مستوى آخر، تمرد المخازنية المرازيق بـدوز وفورسـان (Fort-Saint) إذ عصوا أمر قادتهم لهم بالانسحاب معهم إلى التراب الجزائري واحتفظـوا بأسـلحتهم ومهاريهم. وأمام الفوضى السائدة ومشاعر الحقد المعلنة علـى الفرنسـيين، اتصـل الإيطاليون بأعيان الأهالي للاستماع إليهم وحثهم على توفير مؤونة الجيش، من ذلـك

([34]) عن انتفاضة المرازيق ، انظر خاصة : المرزوقي (محمد وعلي)، **ثورة المرازيق، نفس المرجع**؛ وقد جمع فيه المؤلفان الروايات الشفوية والأشعار الشعبية التي خلدت هذه الانتفاضة وسجلت مختلف مراحلها،وكذلك : Séran (J.), **Parcours Mérazig**, Tunis 1948, 209 p. وهو يعكس وجهة النظر الرسمية إذ أن مؤلفه ضابط عسكري وشارك في عمليات مطاردة الثوار.وانظر كذلك : حسن (عبد الحميد)، "ثورة المرازيق 1943-1944"، في، **البلاد التونسية في فترة ما بعد الحرب (1945-1950)**، أعمال الندوة الدولية الخامسة حول تاريخ الحركة الوطنية، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، تونس 1991، ص 310-335.

أنهم اتصلوا بأعيان بلدة قبلي وطلبوا منهم توفير أكل الجنود كل يوم إثنين، بينما تتولى القرى الأخرى توفير الأكل لبقية أيام الأسبوع، لكن البعض اشتكى من عدم المقدرة على توفير اللحم، بينما تجرأ البعض الآخر على المطالبة بالسلاح ([35]).

من جهة أخرى أنشأ الإيطاليون مكتب أخبار بقبلي تحت إدارة المستشرق تونِنت ليزي (Tonente Lizi) ليقوم بالدعاية لفائدة الدستوريين والمحور. وتمكن هذا المكتب من مد شبكة من الجواسيس بالمنطقة. وبذلك تجاوزوا مكتب الشؤون الأهلية الذي يشرف عليه الفرنسيون، وأصبحوا يتصلون مباشرة بممثلي السلطة المحلية التونسية. وقد وجدوا تجاوبا من بعض رموزها وخاصة من عامل نفزاوة علي بن أبي الضياف الذي حرص على تحقيق مطالبهم وخاصة منها توفير الغذاء لهم وانتداب الشبان التونسيين للعمل ضمن قواتهم، كما أوصى الشيوخ بحسن استقبال ضباطهم. وفي مقابل ذلك، بقي بعض أعوان السلطة المحلية مخلصين للفرنسيين ومن بينهم خاصة خليفة المرازيق سعيد بن علي بن ضو وشيخا بشلي وأولاد يعقوب، كما قام البعض الآخر بالجوسسة لفائدتهم ضد الإيطاليين ومن تورط معهم من الأهالي.

ج. مراحل انتفاضة المرازيق ([36]) :

مع احتلال قوات المحور لنفزاوة تحولت القوات الفرنسية إلى مواقع المقاومة، إذ رابطت إحدى كتائبها بالمنطقة الجنوبية قصد مراقبة تحركات الإيطاليين، واضطرت أمام صعوبة التموين إلى نهب السكان وافتكاك حيواناتهم وأرزاقهم. لكن موقف الإيطاليين كان سلبيا إذ لم يقوموا بتتبع المعتدين.

وأمام تذمرات الأهالي وتعبيرهم عن الاستعداد لحماية أنفسهم، اضطر الإيطاليون -للمحافظة على شعبيتهم- إلى تسليمهم الأسلحة، فتكونت ميليشيا مسلحة من سبعة شبان هم : علي الصيد وعبد الله الغول والطاهر بن عبد الملك وحامد بن عبد الملك وحمد بن عبيد وحمد بن علي بن ناجي الأحمر والعيد بن محمد بن الحاج. وقد

([35]) أفادنا بذلك الحاج الطاهر بن خالد في لقاء معه عشية 15 أوت 1993، كما أفادنا عن الأحداث اللاحقة التي جرت خلال هذه الفترة.

([36]) وردت في كتاب **ثورة المرازيق** تفاصيل دقيقة عن المعارك والمصادمات التي وقعت بين الثوار والقوات الفرنسية.

اصطدمت هذه المجموعة مع الفرنسيين يوم غرة جانفي 1943 على بعد أربعة كم جنوبي بلدة العوينة، وكان ذلك فاتحة الانتفاضة التي تواصلت أكثر من سنة ونصفا ومرت بثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : من جانفي 1943 إلى عودة الفرنسيين في مارس 1943 :

وهي مرحلة دفاعية كان الهدف منها إبعاد الفرنسيين عن دوز ومناطقها، وقد ساعد أثناءها الإيطاليون الثوار الذين تكاثر عددهم مع النجاحات التي حققوها. وقد شهدت هذه المرحلة خمس وقائع بين الجانبين، أولاها يوم غرة جانفي وآخرتها يوم 13 فيفري، وقد سقط خلالها ضابطان من القوات الفرنسية وعدد آخر من الجنود بين قتلى وجرحى.

المرحلة الثانية : من أكتوبر 1943 إلى ماي 1944 :

بعد عودة الفرنسيين إلى المنطقة، شرعوا في القيام بأعمال انتقامية ضد كل من يشتبه في مساعدته للإيطاليين ومعاداة الحضور الفرنسي، ففر هؤلاء إلى الصحراء أو الجبال أو المدن الداخلية. ومن استسلم منهم مثل أمام المحاكم العسكرية فتعرض للحكم بالإعدام أو السجن، كما نهبت الأرزاق ونسفت المنازل. وقد قطعت مثل تلك الأعمال الأمل في العودة إلى حياة هادئة وغذت بالتالي نفسا جديدا للانتفاضة. وبدأت الصدامات بين الثوار والقوات الفرنسية في منتصف أكتوبر 1943، وامتدت هذه المرحلة إلى نهاية ماي 1944، كانت أثناءها القوات الفرنسية تطارد الثوار، وحاولت أن تقطع عنهم التموين ومختلف المساعدات التي كان يقدمها لهم البدو الرحل بمنطقة الظاهر وقد وقعت خلال هذه المرحلة ست مواجهات سقط فيها عدد من الجانبين.

المرحلة الثالثة :بدأت باحتلال برج بشفال يوم 28 ماي 1944 :

بلغت الثوار إشاعة مفادها أن السلطات الفرنسية قررت نقل نسائهم المعتقلات من دوز إلى التراب الجزائري، فقرروا مهاجمة برج بشفال بدوز لتخليصهن. وشارك في هذا الهجوم أكثر من ثلاثين رجلا نجحوا في السيطرة على المكان بعد استشهاد أربعة منهم وهم حامد بن عمر بن عبد الملك ويحيى بن محمد بن يحيى وعبد الله بن محمد بن عبد الله ومحمد بن قدورة، ومقابل ذلك سقط من الحامية الفرنسية عشرة عسكريين

وأسر البقية وعددهم أربعة وأربعون، لكن أطلق سراحهم فيما بعد خوفا من الأعمال الانتقامية ضد السكان.

وأمام الخسائر المادية والبشرية، شعرت السلطات الفرنسية بخطورة الوضع، فبدأت سلسلة من الأعمال الأكثر عنفا واستغلت انسحاب الثوار وعدم استغلالهم لانتصارهم بل وسقوطهم في أخطاء من نوع اصطحاب نسائهم معهم إلى الصحراء، فقدمت تعزيزات عسكرية هامة إلى المنطقة واختل ميزان القوى بين الطرفين، إذ بعد شهر من موقعة البرج، أصبحت القوات الفرنسية تعد ألفا وخمسمائة جندي تدعمهم أربع طائرات استكشافية مقابل ستة وثلاثين ثائرا فقط. ورغم الصمود الذي أبداه هؤلاء في الأشهر الموالية، فإن الانتفاضة دخلت مرحلة التقهقر إذ تفرق أصحابها إلى مجموعات صغيرة بسبب الموقف من اصطحاب النساء ومواصلة المواجهات أو التوقف عنها. ولم تنته الصائفة إلا وكان بعضهم قد قتل بينما فر البعض الآخر إلى الأراضي الطرابلسية أو اختفى بمدن ومناطق أخرى داخل البلاد.

ومثلما لعب البعض دور همزة الوصل بين انتفاضتي 1915 و1943، فإن البعض ممن شارك في انتفاضة المرازيق حمل السلاح سنة 1952، وانخرط بالتالي في حركة أكثر اتساعا إضافة إلى أنها تحظى بمساندة الحركة الوطنية على عكس انتفاضة المرازيق نفسها.

3- الحركة الوطنية بنفزاوة :

كان المجتمع النفزاوي حتى الثلاثينات منغلقا على ذاته وبلغ القمع الاستعماري إلى حد أن فرض على السكان تحية العسكريين والعلم الفرنسي، وكثيرا ما كانت تسلط عقوبات بالسجن والخطايا على من لا يطبق تلك الأوامر. وفي هذا الإطار، لم تستطع -وربما لم تهتم- الحركة الوطنية بالنفاذ إلى منطقة نفزاوة. ومع ذلك وجد بها منذ العشرينات بعض الأنصار للحزب الحر الدستوري التونسي، ولكنهم لم يتجرؤوا على بعث شعبة له، وبقيت أقرب الشعب من المنطقة تلك التي توجد بالجريد (دقاش وتوزر ونفطة والحامة) وقابس والمطوية. فاكتفى بعض أولئك الأنصار بربط الصلة ببعض تلك الشعب وخاصة منها شعبة دقاش حيث يتم الإتصال بها بمناسبة زردة سيدي هلال

([37])، ولكنهم لم يتجاوزوا مرحلة التعاطف إلى النشاط الفعلي. ويبدو أن أول اتصال فعلي بين القادة الوطنيين والمنطقة كان في سبتمبر 1934.

ففي الثالث من ذلك الشهر نفي إلى قبلي الحبيب بورقيبة أحد زعماء الحزب الحر الدستوري الجديد إثر ما أبداه حزبه من حركية ونشاط، فنفي أغلب قادته إلى التراب العسكري، ومن ضمنه منطقة نفزاوة، حتى يكونوا تحت مراقبة السلطة العسكرية الفرنسية، ثم لأن هذه المناطق لم تخضع لتأثير النشاط الوطني.

وفي قبلي التحقت ببورقيبة عائلته، كما اتصل به صالح بن يوسف الذي كان في الصف الثاني في قيادة الدستور الجديد. ومن جهة أخرى، استغل بورقيبة وجوده بالمنطقة فقام بزيارة عدد من قراها فزار دوز والمنشية والمنصورة والجديدة وتنبيب ([38]). لكن بعد شهر من وجوده بنفزاوة نقل إلى برج البوف، ويبدو أن ذلك كان لعاملين :

- عجز السلطة العسكرية المحلية عن الحد من تحركاته وعدم تحملها مسؤولية وعواقب تلك التحركات.

- تقريبه من بقية المنفيين وإخضاعه بالتالي معهم إلى نفس المراقبة العسكرية.

وعلى كل فإن نفي بورقيبة إلى نفزاوة قد دعم مرة أخرى دورها كمنفى إذ نفي بها سابقا خليفة بن عسكر، كما سينفى بها لاحقا الوزير الأول محمد شنيق وثلاثة من وزرائه هم محمود الماطري ومحمد بن سالم ومحمد صالح مزالي، وذلك في مارس 1952 ([39]). كما نفي إليها إثر اغتيال فرحات حشاد ثمانية من القادة النقابيين وهم محمود المسعدي وحرمه شريفة المسعدي ومحمد كريم وعبد الله فرحات وعمر

([37]) أفادنا بذلك المرحوم الحاج الطاهر بن خالد.

([38]) عن الفترة التي قضاها بورقيبة في قبلي، انظر : ابن سوف (الهاشمي)، **من ذكريات الشدائد**، مخطوط في 65 صفحة وضعه صاحبه سنة 1974، وقد جمع فيه الروايات الشفوية لعدد ممن التقوا بورقيبة بقبلي سنة 1934.

([39]) Série : Histoire du mouvement national, **Le Néo-Destour face à la 3ème épreuve 1952-1956, T.1 :L'échec de la répression**, Tunis 1979, p. 358.

الرياحي والصادق الشايبي ومحمد الري وسليمان الزواري ولم ترفع عنهم إجـراءات النفي إلا بعد ستة أشهر وتحديدا في 4 جوان 1953 ([40]).

إلا أن ما تجدر الإشارة إليه هو أن خطاب وإيديولوجيا الحركة الوطنية لم ينفذا إلى المنطقة خلال الشهر الذي قضاه بورقيبة بها سنة 1934، ولا عند نفي القادة النقـابيين في آخر الفترة، وإنما عن طريق أبنائها أنفسهم من الطلبة الزيتونيين ؛ فكيف تم ذلك؟

لم يتجاوز عدد الطلبة النفزاويين بالزيتونة، قبيل الحرب العالمية الأولى، العشرة ؛ ولكن يبدو أن هذا العدد ارتفع شيئا فشيئا ليبلغ بعض العشرات في الثلاثينات والمائـة بعد الحرب العالمية الثانية. وفي إطار الحركية التي عرفتها البلاد والجامعة الزيتونية في الثلاثينات، انخرط أولئك الطلبة في النضال الطالبي والسياسي ([41])، ومن أهم من برز منهم آنذاك :

- أحمد بن سليمان بن لاغة الذي ألقي عليه القبض في فيفري 1936 فـي إطـار مظاهرة طالبية عنيفة يمكن إدراجها ضمن تحركات الدستور الجديد، ولم يطلق سراحه إلا بعد شهرين.

- محمد المرزوقي الذي شارك سنة 1937 في مؤتمر الدسـتور الجديـد بـنهج التريبونال ممثلا للجهة، وقد سجن بمناسبة أحداث أفريل 1938.

- محمد الشتوي الذي برز في التحركات الطالبية سنة 1939، وقد كلفه ذلك الطرد من الجامعة الزيتونية ووضع مع طلبة آخرين تحت الإقامة الجبرية بنفزاوة ومن بـين هؤلاء الطلبة محمد المرزوقي ونصر بن علي المرزوقي اللذين شاركا فـي إصـدار جريدة **الهلال** الطالبية الزيتونية.

ولعل مثل هؤلاء الطلبة كانوا يقومون أثناء العطل الصيفية بنشر الفكرة الوطنيـة والدعوة لها. ومن جانب آخر، نشط طلبة نفزاوة الزيتونيون منذ الثلاثينات في إطـار

([40]) **الزهرة**، 6 جوان 1953، "رفع إجراءات الإبعاد المتخذة ضد قادة الاتحاد العام التونسي للشغل"، ص 2.

([41]) عن النضال الطالبي والسياسي للطلبة الزيتونيين في الثلاثينات، انظر : ضيف الله (محمد)، **الحركة الطالبية التونسية (1927-1939)**، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان ، جانفي 1999، البابان الثاني والرابع.

جمعيات طالبية من بينها **الرابطة الزيتونية** التي كان محمد المرزوقي كاتبا عاما لها سنة 1937، وضمت هيئتها الإدارية نصر المرزوقي، كما كونوا جمعيات خاصة بأبناء نفزاوة هي :

جمعية الشباب النفزاوي ([42]) التي تأسست سنة 1936 بهدف "نشر الأدب والفضائل ومقاومة الرذائل بالحسنى". وقد تحصلت هذه الجمعية على التأشيرة بتاريخ 3 ديسمبر 1936. وضمت هيئتها الإدارية التي تكونت في جانفي 1937 العناصر التالية : عبد الله بن مبروك المرزوقي، رئيسا ؛ مصطفى القلالي، كاهية له ؛ محمد المرزوقي، كاتبا عاما ؛ محمد الشتوي، كاهية له ؛ محمد بن سليمان العويني، أمين مال ؛ محمد بوعلاق، كاهية له ؛ عبد الله المرزوقي، مراقبا عاما ؛ وعضوية كل من: نصر المرزوقي وبلقاسم بن صالح وعمر العويني ومحمد بالحاج محمود([43]). وبذلك فإن هذه الجمعية ضمت عناصر من أغلب قرى المنطقة. ومن جهة أخرى ورغم إعلانها الابتعاد عن الأنشطة السياسية، فإن البعض من أعضائها لم يتورعوا عن مثل تلك الأنشطة، حتى أن رئيس مكتب الشؤون الأهلية بقبلي اتهم الجمعية بأنها تنشر الدعاية الدستورية بالمنطقة. ولعل مما دعم ذلك ما نشره محمد الشتوي رئيس الجمعية في بداية 1938، من مقالات بجريدة **الزهرة** مما استوجب استدعاءه إلى قسم الدولة بالوزارة الكبرى، فصرح بأن تلك المقالات شخصية ولا تلزم بالتالي **جمعية الشباب الزيتوني**. ومما يدل على حرصه على مصلحة الجمعية انسحابه من رئاستها. وقد رغب رئيس مكتب الشؤون الأهلية إيقاف أنشطتها، اعتمادا على أنها تضم كهولا بينما هي جمعية شبابية، ودعا إلى حلها أو على الأقل منع الاجتماعات العامة التي كانت تقوم بها. ويبدو أن حوادث أفريل 1938 وما تبعها واندلاع الحرب العالمية الثانية، قد قضت على أنشطة هذه الجمعية.

جمعية الطالب النفزاوي بتونس ([44]) : وتسمى أيضا جمعية التلميذ النفزاوي. وقد ظهرت في مارس 1946، في إطار الموجة الجديدة من الجمعيات الطالبية الجهوية التي برزت على الساحة غداة الحرب العالمية الثانية. لقد طرحت الجمعية النفزاوية

([42]) الأرشيف الوطني التونسي (أ.و.ت.)، السلسلة هـ (E)، صندوق 509، ملف 188.

([43]) **الزهرة**، 9 جانفي 1937، الشتوي (محمد)، "جمعية الشباب النفزاوي".

([44]) أ.و.ت، السلسلة هـ (E)، الصندوق 509، ملف 463 (الطالب النفزاوي).

على نفسها مهمة ربط علاقات بين الطلبة النفزاويين ومساعدتهم ماديا ومعنويا وتأسيس مكتبة وفرع رياضي وفني ومسرحي والقيام بمحاضرات متنوعة. وقد تكونت أول هيئة لها من العناصر التالية : مصطفى زغدود، رئيسا ؛ بلقاسم بن سالم المرزوقي، كاهية له ؛ إبراهيم بن عبد الصمد، كاتبا عاما ؛ محمد الصالح الشتوي، كاهية له ؛ عمر بن جمعة، أمين مال ؛ تواتي بن عزوز، كاهية له ؛ وعضوية : علي بن عمر عبد الكريم والهادي المرزوقي وسعيد السهيلي وعلي القلالي والمحجوب بن محمد المحجوب. وفي أفريل 1947 حدث تحوير بسيط في هذه الهيئة بحيث تولى علي بن المكي المرزوقي منصب كاهية الرئيس، وانضاف إليها إبراهيم بنور، وغادرها كل من بلقاسم بن سالم المرزوقي وعلي بن عمر عبد الكريم ([45]). وفي جانفي 1955 انتخبت هيئة تتكون من : محمد المهدي البرغوثي رئيسا ؛ علي بن محمد المنصوري كاهية له؛ نصر بن غزال، كاتبا عاما ؛ عمر بن مَحمد الشتوي كاهية له ؛ الحسين مرسيط، أمين المال ؛ كاهيته : مصطفى الصادق الصغيرون- الأعضاء : الكيلاني بن محمد بن عمار، عبد الله بن علي بن نصر، أحمد بن حمد العوني، محمد حميدة، حسن بن بلقاسم بن سعيد، المراقب العام : محمد الحبيب بن الأمين ([46]). وإلى جانب هيئتها المركزية تكونت لجمعية الطالب النفزاوي هيئة فرعية تضم طلبة الفرع الزيتوني بقبلي ([47]). وقد تكونت في مارس 1955 من العناصر التالية : الرئيس: صالح بن محجوب ؛ كاهيته : محمد بوستة ؛ الكاتب العام : عبد العزيز بن الشيخ عبد الله بن حمادي ؛ كاهيته : لطيف بن علي؛ أمين المال : العربي بن صالح ؛ كاهيته : عبد الله بن الحاج يونس ؛ الأعضاء: إبراهيم بن عمار بن الحاج؛ الهادي البشراوي ؛ علي بن أحمد العذري ؛ الطاهر بن حامد ؛ حافظ المكتبة : البشير بن التهامي. لقد حققت جمعية الطالب النفزاوي بعض المشاريع من أهمها تكوين مكتبة

([45]) **الزهرة**، 26 افريل 1947، "جمعية التلميذ النفزاوي".

([46]) **الزهرة**، 30 جانفي 1955.

([47]) تم فتح الفرع الزيتوني بقبلي بمساهمة من عدد من الأهالي من بينهم نصر بن سعيد وأخويه محمد القرماسي وعمر بن سعيد، ومصطفى بالوادي وعمار بن غومة وغيرهم. وقد تولى الشيخ محمد بن سليمان إدارته منذ تأسيسه سنة 1949 وإلى إغلاقه سنة 1961. وكان يضم خلال السنة الدراسية 1949-1950 مائتين وخمسين طالبا. انظر : **الزهرة**، 11 ديسمبر 1949، المتجول ع.ق، "قبلي، مشاهدة وسماع بالجنوب"، ص 2.

والقيام بالعديد من الأنشطة الثقافية من عروض مسرحية وسينمائية ومسابقات ومحاضرات، من ذلك أنها قامت في جانفي 1956 بتقديم تمثيلية عنوانها "انتصار المظلوم"، كما نظمت مسابقة ثقافية لتلاميذ الفرع الزيتوني بقبلي. وفي الشهر الموالي عرضت شريطا سينمائيا مصريا عنوانه "كأس العذاب" ودعت الشيخ الفاضل بن عاشور ليحاضر على منبرها ([48]). لقد استمر نشاط جمعية الطالب النفزاوي إلى ما بعد الاستقلال حيث تكونت هيئتها في نوفمبر 1956 على النحو التالي : مصطفى بن الصادق الصغيرون، رئيسا ؛ صالح بن محمد محجوب، كاهية له ؛ أحمد الخموسي ابن الحاج، كاتبا عاما ؛ محجوب البليداوي، كاهية له؛ أحمد بن الطاهر، أمين مال ؛ بلقاسم بن محمود، كاهية له ؛ البشير بن التهامي (بن يعقوب)، حافظ المكتبة ؛ وعضوية كل من : مصطفى بن الغريبي بن صميدة، صالح البليداوي، بلقاسم المغربي، بلقاسم البليداوي؛ وأسندت الرئاسة الشرفية لرئيسها السابق نصر غزال، وتولى عبد الله الغريسي مهمة المراقب العام ([49]). والجدير بالملاحظة هنا أن عناصر هذه الجمعية وغيرهم من الزيتونيين شكلوا الإطارات التعليمية والنخبة الثقافية للمنطقة لأكثر من عقدين لاحقين، في حين لم يتمكن أي طالب نفزاوي من الدراسة بالمدرسة الصادقية ولا بالجامعات الفرنسية طيلة العهد الاستعماري ([50]).

جمعية الأخوة النفزاوية ([51]) : تأسست هذه الجمعية في جانفي 1950 بفرع صفاقس الزيتوني، وكانت تهدف إلى مساعدة الطلبة النفزاويين ماديا ومعنويا والدفاع عن مصالحهم وحقوقهم. وقد التزمت بعدم النقاش السياسي أو الديني، كما اعتزمت تأسيس مكتبة وفرع مسرحي والقيام بمحاضرات أدبية وأخلاقية واجتماعية. وقد ضمت أول هيئة إدارية لها : محمد الحسين بن محمد بن يعقوب، رئيسا ؛ المهدي بن سالم، نائبا له ؛ الكيلاني بالحاج نصر، أمين مال ؛ عبد الرحمن بن بلقاسم، نائبا له ؛ عبد المجيد الصغير، كاتبا عاما ؛ وعضوية : إبراهيم بن صميدة وعامر بن سعيد بن

([48]) **الصباح**، 19 فيفري 1956، "نشاط جمعية التلميذ النفزاوي".

([49]) **الصباح**، 8 نوفمبر 1956، "جمعية التلميذ النفزاوي"، ص 3.

([50]) مع الملاحظ هنا أن الأخوين نصر بن سعيد وعبد الصادق بن سعيد قد درسا بالمدرسة الحربية بسان سير (Saint-Cyr) بفرنسا، الأول قبيل الحرب العالمية الأولى والثاني خلال الأربعينات.

([51]) أ.و.ت، السلسلة هـ (E)، الصندوق 509، ملف 620 (الأخوة النفزاوية).

عمار ومحمد بالحاج البشير. ولم ير نصر زغدود عامل نفزاوة مانعا في الموافقة على منح تأشيرة لهذه الجمعية.

جمعية الشباب المرزوقي: ظهرت هذه الجمعية في أفريل 1951 ومقرها بتونس العاصمة (29 نهج الصباغين)، وهي مفتوحة للطلبة من أصيلي بلدة دوز سواء كانوا يدرسون بالعاصمة أو بالفروع الزيتونية الداخلية. وتهدف إلى "تعزيز الروابط بين أفرادها والأخذ بيد الضعفاء ماديا وأدبيا" ([52]). وقد تشكلت هيئتها في نوفمبر 1951 كما يلي: الرئيس: محمد الصالح بن علي حامد؛ كاهيته: سالم بن حامد بن مبروك؛ الكاتب العام: علي بن محمد بن حامد؛ كاهيته: مصطفى بن محمد بن إبراهيم؛ أمين مال: محمد بن علي بن عمر؛ كاهيته : عبد الله بن محمد بن أحمد؛ عضوية: بلقاسم بن مصباح بن عبد الله، محمد بن علي بن حامد حافظ المكتبة ([53]). لقد نجحت جمعية الشباب المرزوقي في تأسيس مكتبة والقيام بمسابقات أدبية وثقافية. وتواصل نشاطها على الأقل إلى سنة 1955 ([54]).

الاتحاد الثقافي القلعاوي: تأسست هذه الجمعية في سبتمبر 1955 وهي موجهة إلى الطلبة أصيلي بلدة القلعة، وتهدف إلى الاعتناء بنشر الثقافة بينهم. وتكونت أول هيئة لها على النحو التالي: الرئيس: عمر بن بوبكر بن منصور؛ كاهيته: بلقاسم بن منصور بن عبد العزيز؛ أمين المال: محمد بن إبراهيم بن عمر، كاهيته: محمد بن إبراهيم بن الحاج، الكاتب العام: محمد العبيدي بن دخيل، كاهيته: حرب بن سعيد الشين، المراقب العام: أحمد بن أحمد بن محمد ([55]).

ولعل أنشطة مثل هذه الجمعيات الشبابية الطالبية هي التي مهدت المنطقة إلى النشاط الوطني. ففي سنة 1937، تكونت نواة لشعبة دستورية بدوز ([56]) كان يحركها الشاب سالم بن عبد الرحيم، وقد قام الطلبة الزيتونيون بالحاضرة بربطها بقيادة الدستور الجديد حتى تولى محمد المرزوقي تمثيلها رسميا في مؤتمر نهج التريبونال

([52]) **الصباح**، 12 أفريل 1951، "الشباب المرزوقي".

([53]) **الصباح**، 4 ديسمبر 1951، "جمعية الشباب المرزوقي"، ص 4.

([54]) **الزهرة**، 9 فيفري 1955، "جمعية الشباب المرزوقي، بشرى إلى الشباب المتعطش".

([55]) **الصباح**، 1 ديسمبر 1955، "نشاط الجمعيات"، ص 5.

([56]) المرزوقي (محمد وعلي)، **ثورة المرازيق**، **نفس المرجع**، ص 42-44.

(آخر أكتوبر- بداية نوفمبر 1937)، وأثناء الاحتلال المحوري للمنطقة (ديسمبر 1942-مارس 1943) أعاد بعض الطلبة -إضافة إلى التجار والفلاحين- تأسيس الشعبة الدستورية بدوز، ومن بين مقرراتها الاتصال بشعبة الحامة للحصول على بطاقات الانخراط وتلقي تعليمات قيادة الدستور الجديد. غير أن هذه الشعبة لم تنشط فعليا، إذ انخرط عناصرها في انتفاضة المرازيق وتعرضوا بالتالي للمتابعة ومن بينهم عبد الله بن علي بن الحاج خريج الجامعة الزيتونية الذي أعدمه الفرنسيون بصفاقس بتهمة مساعدة المحور ([57]).

أما بقبلي فقد فشلت المحاولات الأولى لبعث شعبة دستورية، إذ سرعان ما كان مكتب الشؤون الأهلية يكشف عن عناصرها ؛ وسنحت الفرصة أثناء الاحتلال المحوري لبعث أول شعبة تابعة للدستور الجديد، وقد ساعد على ذلك بعض مناضلي الحزب القادمين خصيصا من دقاش، وضمت هيئة تلك الشعبة أحمد بالحاج لطيف والبشير العكرمي وعبد الوهاب بالصغير ومحمد بالحاج محمود أحد أعضاء الهيئة الإدارية **لجمعية الشباب النفزاوي** سنة 1937. وكانت هذه الشعبة تؤطر الغضب الشعبي وتنظم المظاهرات التي ترفع أثناءها الشعارات والأناشيد الوطنية. غير أن نشاطها لم يدم طويلا إذ سرعان ما عادت القوات الفرنسية وتعرض ما لا يقل عن عشرين عنصرا للاعتقال والمحاكمة ؛ فأعدم الحبيب صمامة دراويل بتهمة التعامل مع المحور، كما أصدرت المحاكم العسكرية الفرنسية أحكاما قاسية ضد عدد آخر من الوطنيين الذين نفوا إلى منطقة الغنامي بالصحراء الجزائرية([58]). وفي سنة 1950 تكونت شعبة بازمة التي ترأسها بلقاسم البازمي، وقد قامت بتوزيع بطاقات الانخراط على عدد من المشتركين حتى من خارج بلدة بازمة ([59]). كما كانت إلى جانبها في

([57]) **المرجع نفسه**، ص 63.

([58]) أفادنا بذلك كل من المرحوم الحاج الطاهر بن خالد وسيدي مصطفى الصغيرون.

([59]) اطلعنا على بطاقة انخراط بهذه الشعبة لسنتي 1950 و1951 باسم المناضل البشير بن عمار القريوي وهو من بلدة ليماقس. وقد التحق بالثورة سنة 1955، ومن بين المعارك التي شارك فيها إلى جانب اليوسفيين معركة جبل الزيتونة (أفريل 1956) ثم اتجه إلى الجزائر مع مجموعة من المقاومين، ولم يعد إلى تونس ويسلم سلاحه إلا في الصائفة الموالية. استقينا هذه المعلومات منه شخصيا بتاريخ 24 ديسمبر 2007 وقد أطلعنا على شهادة في ذلك بإمضاء الطاهر بن الأخضر الغريبي مؤرخة سنة 1989.

تلك الفترة شعبتان أخريان واحدة بقبلي ويرأسها محمد بن بلقاسم وأخرى بدوز، وقد احتجت كلاهما على اعتقال القادة الوطنيين في مطلع سنة 1952 ([60]). كما احتج أيضا أهالي بلدة القلعة "ضد أعمال الترويع والتهديد والاستفزاز القائمة بها السلط الفرنسية ضد الشعب التونسي الأبي الذي صمم على التحصيل على حريته وكرامته كبقية شعوب الدنيا مهما كانت التكاليف..." ([61]). وشن طلبة الفرع الزيتوني بقبلي إضرابا "عن التعليم إلى أجل غير معلن" معلنين "تضامنهم القوي مع شعبهم العزيز في كفاحه التحريري" ([62]).

وربما الأهم من ذلك أن عددا من أبناء نفزاوة التحقوا آنذاك بالثورة المسلحة، وبرز من بينهم خاصة الطاهر الأخضر الغريبي وعلي الصيد وبلقاسم البازمي الذي استشهد في جهة الكاف في أواخر أكتوبر 1954. كما ساهم طلبة نفزاوة بدورهم في تغذية العنف سواء بالمنطقة أو خارجها. إذ وقعت بعض "الأعمال التخريبية" التي تمكنت السلطات الاستعمارية من الكشف على مرتكبيها من طلبة الفرع الزيتوني بقبلي ومن بينهم مصطفى الصغيرون والأمجد بن أحمد بالكيلاني وعبد المجيد بالحاج الصغير والبشير بنقي وعلي بالعبيدي وعبد السلام بالعبيدي. وقد صدرت على بعضهم أحكام بالسجن. كما ساهم بعض طلبة نفزاوة في مثل هذه الأعمال خارج المنطقة، ومن بينهم علي بن بوبكر البرغوثي الذي كان يدرس آنذاك بالفرع الزيتوني بقابس والذي نشط في خلية قامت ببعض الأعمال التخريبية هناك إلى أن ألقي عليه القبض ونقل إلى معتقل جلال ببنقردان ثم إلى معتقل اللمبيز بالجزائر ([63]). كما كان محمد بن بلقاسم المرزوقي أحد طالبين استشهدا بالعاصمة في مظاهرة 15 مارس 1954.

لكن يبقى الدور الأهم الذي اضطلع به الطلبة الزيتونيون هو أنهم قاموا طيلة الفترة بالوصل بين المنطقة والحركة الوطنية عبر نشر الوعي والاستجابة لتعليمات القيادة الوطنية، رغم القبضة الحديدية على المنطقة. وقد بدأت ثمار مجهوداتهم تبرز للعيان

([60]) انظر : **الصباح**، بتاريخ 13 فيفري و20 فيفري 1952.

([61]) **الصباح**، 12 فيفري 1952، "القلعة (قبلي) لائحة تأييد واستنكار"، ص 3.

([62]) **الصباح**، 7 فيفري 1952، "نفزاوة، احتجاج من الطلبة الزيتونيين"، ص 3.

([63]) ضيف الله (محمد)، **المدرج والكرسي، بحوث حول الطلبة التونسيين بين الخمسينات والسبعينات**، مكتبة علاء الدين، صفاقس 2003، ص 65-66.

في السنوات الأخيرة من الوجود الاستعماري من خلال تأسيس جمعيات وفروع تابعة للمنظمات والجمعيات الوطنية. ويمكن أن ندلل على ذلك من خلال الجمعيات التالية:

– **الجمعية الخيرية الإسلامية بنفزاوة** : إذ كان للعنصر الزيتوني دور هام في تسييرها، وهذا ما يمكن تبينه من خلال هيئتها التي تشكلت في اجتماعها السنوي المنعقد يوم 8 أفريل 1952، إذ ضمت تلك الهيئة السادة : عمر بن خديجة رئيسا؛ محمد الجليدي كاهية له؛ محمد بن الحاج محمود الصغير أمين المال؛ عبد الله بن مصباح كاهية له؛ صالح بن محمد القلعاوي كاتبا عاما؛ المحجوب بن محمد الفطناسي كاهية له. وعضوية: الحاج بلقاسم بن عمارة، محمد بن محمد بن نصر، عبد الله بن الشيخ، الجيلاني بن لاغة، أحمد التواتي، إبراهيم بن عبد الصمد، بلقاسم بن علي، محمد بن حامد المرزوقي، محمد بن عبد الله القلالي، العبيدي بن الحاج عمر ([64]). ومن الأهمية الإشارة إلى أن ثلاثة عناصر من هذه الهيئة كانوا قد نشطوا سابقا في قيادة جمعيتي الشباب وطلبة نفزاوة.

– **جمعية مقاومة الأمية ونشر التعليم بين العروش**: تأسست هذه الجمعية سنة 1949 بمبادرة من ابن المنطقة نصر بن سعيد ([65])، وقد فتحت لها فروعا بمختلف مناطق البلاد بما في ذلك نفزاوة. وقد ضمت هيئتها المحلية التي اعلنت في أواسط سنة 1950 العناصر التالية : الرئيس محمد الأمين بن الحبيب، الذي كان في نفس الوقت عضو الهيئة المركزية للجمعية؛ وأحمد بن التواتي، كاهية الرئيس؛ الكاتب العام: إبراهيم بن علي بن خليفة البرغوثي؛ كاهيته: عبد الله السلامي؛ أمين المال: أحمد بالنور بن علي؛ كاهيته: عبد الله بن الحاج لطيف ؛ وعضوية: الأخضر بن التهامي بن حميدة، عبد الله بن الشيخ، عبد الرحمن بن محمد الحبيب، صالح بن بلقاسم بن عمار، محمد بن محمد بن نصر ([66]).

– **الاتحاد العام التونسي للشغل**: ومن أهم الهياكل النقابية التي برزت بالمنطقة الفرع النقابي للتعليم الذي تأسس يوم 24 أكتوبر 1954، وقد تكونت هيئته آنذاك من

([64]) **الصباح**، 20 أفريل 1952، "الجمعية الخيرية الإسلامية بنفزاوة (قبلي)".

([65]) حول نصر بن سعيد، انظر بحثنا الموسوم "الخيمة والبيرق والحصان: قراءة في سيرة القايد نصر بن سعيد"، **روافد**، ع 10، 2005، ص 55-75.

([66]) **الزهرة**، 2 جوان 1950، "جمعية مقاومة الأمية ونشر التعليم بين العروش".

ستة عناصر مناصفة بين معلمين من أبناء المنطقة وزملاء لهم من خارجها ؛ وقد أسندت إلى أبناء المنطقة المهام الرئيسية وهي الكتابة العامة التي تولاها إبراهيم بنور وأمانة المال التي أسندت إلى حسن ميلود إضافة إلى عضوية محمد صالح الشتوي ([67]). ويبدو أن هؤلاء المعلمين من خريجي الزيتونة لعبوا دورا كبيرا في تسيير الاتحاد المحلي إذ تولى كتابته العامة إبراهيم بنور، ومن عناصره القيادية أيضا مصطفى زغدود الذي كان قد ترأس سنة 1946 جمعية الطالب النفزاوي. وقد تدعم هذا الاتحاد في ماي 1955 بانضمام نقابة عملة الفلاحة بضيعة واد المالح بعد انسلاخها من الاتحاد النقابي لعملة القطر التونسي ([68]).

وبالإضافة إلى تينك الجمعيتين، تأسس في نفس الفترة تقريبا اتحاد محلي للفلاحة ونقابة للصنائعية والتجار تابعة لمنظمة الأعراف ([69]). كما بدأت تعمل علنا الهياكل التابعة للحزب الحر الدستوري الجديد وعلى رأسها جامعة نفزاوة.

وهكذا أصبح المجتمع المحلي بنفزاوة مهيكلا في جمعيات حديثة، أمكن لها أن تتكلم باسم المجموعة وتعبر عن رغبات المنطقة، من ذلك أنها اجتمعت في سبتمبر 1955 وطالبت الحكومة بما يلي:

"1)تفجير الآبار الارتوازية في الأراضي الموات وتوزيعها توزيعا عادلا وإحياء الآبار الموصدة.

2) فتح حظائر للشغل حتى يقضى على البطالة المنتشرة في هذه البلاد مع تسمية متفقد شغل في هذه الجهة.

3) توفير الممرضين والممرضات وتزويد المستشفى بسيارات الإسعاف

4) توزيع المياه على المنازل والتيار الكهربائي.

5) تعميم التعليم بكامل قرى نفزاوة وإحداث قسم تكميلي بمدرسة قبلي.

6) تقسيم الأراضي المشتركة في أقرب الآجال.

([67]) **الزهرة**، 13 نوفمبر 1954، "قبلي : تأسيس فرع نقابي للتعليم بقبلي".

([68]) **صوت العمل**، 21 ماي 1955، "انسلاخ وانضمام".

([69]) **صوت العمل**، 17 سبتمبر 1955، "مظاهر الوحدة والكفاح يوم 4 سبتمبر"، ص 4.

7) إيجاد قرى نظامية صالحة للسكنى.

8) تعبيد الطريق الرئيسية من الحامة إلى قبلي ثم الطرق الجهوية من دوز إلى فطناسة" [70].

الخاتمة :

عهد النظام الاستعماري إلى مصالح الجيش الفرنسي بإدارة ما أصبح يسمى بالتراب العسكري الذي كان يشمل أغلب الجنوب التونسي ومن ضمنه منطقة نفزاوة. وقد أحكمت هذه الإدارة العسكرية القبضة الحديدية على المجتمع المحلي ووظفت لصالحها الصراعات القديمة بعدما أرست آليات القمع والإشراف الإداري. وقد نجحت تلك الإدارة في إخضاع المنطقة غير أن تراجع القبضة الحديدية نتيجة الظرفية العالمية، كان يؤدي إلى بروز مشاعر الثأر والعنف إزاء المستعمر وأبرز مثال على ذلك انتفاضة سنتي 1943 و1944.

من جهة أخرى، ورغم بعد هذه المنطقة عن دوائر التأثير المباشر للحركة الوطنية، فقد نفذت إليها أصداء الخطاب الوطني ويعود الفضل في ذلك إلى طلبتها بالحاضرة، إذ ساهموا منذ الثلاثينات في النضال الطالبي والسياسي وكونوا الجمعيات القطاعية التي كانت تسعى إلى ربط اللحمة بين عناصرها وقواعدها وتؤطرها في سبيل بث الوعي بين الأهالي.

---

(70) نفس المصدر.

الفصل العاشر

التحولات الاقتصادية والبشرية

(1956-1881)

عرف الاقتصاد النفزاوي تحت الاستعمار الفرنسي تحولات هيكلية، إذ تحطمت التوازنات القديمة التي كان يرتكز عليها، ووقع إدماج جانب منه في دورة جديدة. وقد شملت تلك التحولات خاصة القطاع الأول الذي أصبح يتخذ طابعا مضاربيا، كما تزعزع التوازن القديم بين الفلاحة الواحية والقطاع الرعوي. وإضافة إلى ذلك تراجعت تجارة القوافل الصحراوية، وأصبحت علاقات المنطقة تتوطد مع المناطق الساحلية.

1- الاقتصاد النفزاوي تحت الاستعمار الفرنسي :

كان الاقتصاد النفزاوي يرتكز على قطاعين رئيسيين هما فلاحة الأرض وتربية الماشية. فقد كان السكان المستقرون بشبه الجزيرة وبوسط المنطقة يمارسون فلاحة جاهدة في الواحات، بينما سادت حياة التنقل والترحال وبالتالي تربية الماشية المناطق الجنوبية. لكن الفترة المعاصرة عرفت اتجاها بطيئا ولكنه ثابت نحو حياة الإستقرار، إذ انفجرت المياه وامتدت الواحات الصغيرة فتراجعت حياة الترحال والتنقل.

أ. القطاع الفلاحي :

1.أ/. المياه :

تشكل المياه الباطنية في منطقة صحراوية كنفزاوة مصدرا للحياة وسببا في نشوء الواحات واستقرار البشر. وقد كانت بها قبل الاستعمار الفرنسي مئات العيون الطبيعية بقي منها حتى أواسط الأربعينات حوالي الثلاثمائة عين [1]. غير أنها تتفاوت من حيث دفقها مما أثر على مساحة الواحات المرتبطة بها، فلم تسمح العيون الطبيعية ببشلي

[1] Moreau, **Le pays des Nefzaouas, op. cit.,** p. 140.

وجمنة وقليادة والطويبة والقلعة وغيرها بنشوء واحات شايعة تلبي حاجيات سكانها بينما كانت عيون بازمة وطنبار وتنبيب تسمح بري واحات أكثر امتدادا إذ تحبس مياهها في أحواض، وعندما تبلغ حدا معينا من الإرتفاع تبدأ عملية الري، إلا أن هناك عيونا أخرى تسمح بري متواصل ليلا نهارا وأهمها :

– عين المنصورة : وهي عبارة عن مسطح مائي يتكون من حوضين، واد الغريق وبلاعة الحديد، تنبجس منهما حوالي 100ل/ث، بما كان يسمح بري واحات المنصورة والجديدة والرابطة وتلمين معا. وينفصل حوضا العين بجدار أرجعه البعض إلى العهد الروماني، مما يدل على قدم هذه العين وواحاتها وبالتالي قدم الاستقرار البشري.

– عين تاورغى : تتكون من حوض متسع تتدفق منه 90ل/ث، وهي تقوم بري واحات بشري وفطناسة والدبابشة.

– رأس العين : تنبجس المياه من جوانبها ومن عشرين نبعا صغيرا داخلها وتتجمع في حوضين ينطلق منهما المجرى الرئيسي مشكلا نهيرا صغيرا صبيبه حوالي 75ل/ث ينحدر باتجاه الواحة ثم ينقسم إلى ثلاثة مجاري رئيسية يتجه كل واحد منها نحو جانب من الواحة.

– عين الجرسين : تتكون من حوض مائي متسع به عدة منابع رئيسية غير أن كمية المياه التي تدفعها لم تكن هامة. فكان الأهالي يضطرون إلى جمعها في الحوض إلى حد معين ثم يقومون بالري. وبداية من سنة 1918 ارتفع صبيب العين ليصل إلى 39ل/ث مما مكن من الري المتواصل للواحة.

ومن جهة أخرى، كان نظام الري ببعض الواحات مثل قبلي والمنصورة يعتمد على القادوس الذي يقوم مقام الساعة المائية (2)، وهو وعاء نحاسي مثقوب يسع من الماء حوالي لترين ونصفا تتسكب كل دقيقتين وأربعين ثانية تقريبا (3). وكان هذا النظام يهدف إلى ضمان الدقة والعدل في توزيع المياه على البساتين. ولذلك كان على المكلف به أو "قياس الماء" كما كان يسمى أن يحظى بثقة ملاكي الواحة.

---

(2) Augias, "Deux années...", **op. cit**, pp. 44-45.

(3) كانت الساعة الواحدة تستغرق 22 قادوسا.

يجلس "قياس الماء" بمكان معلوم من البلدة وتتمثل مهمته في ملء الوعاء كلما فرغ، وفي كل مرة يقوم بإثبات عقدة بأحد الحبال، على أن لا يتجاوز عدد العقد العشرة بالحبل الواحد وذلك لتسهيل احتسابها فيما بعد. وعندما يصل القادوس الأخير ينطلق صاحب البستان الموالي أو خماسه ليسد الماء على البستان الذي كان بصدد الري ويوجهه إلى بستانه هو وتبدأ عملية العد بالقادوس من جديد. وكان هذا النظام يعتمد في الصيف حيث يكثر التبخر وتزداد أهمية المياه، وكان يسمح بالنسبة لواحة قبلي بأقل من ساعة من الري لكل مائة نخلة، وذلك في دورة مدتها عشرة أيام ([4]).

غير أن هذا النظام لم يكن معتمدا في الواحات الأخرى، إذ وقع التخلي عنه في تلمين مثلا. كما أن واحة قبلي ذاتها تتخلى عنه في فصل الشتاء فتصبح مدة الدورة السقوية خمسة عشر يوما، على أن فترة الري تصل إلى ثلاث ساعات لكل مائة نخلة.

وعندما حلت القوات الاستعمارية بالمنطقة سنة 1882 لم تحدث تغييرات هامة على هذا الوضع إذ اهتمت آنذاك بتركيز وجودها ولم تلتفت إلى مشكلة المياه إلا في بداية القرن العشرين عندما دشن الكولونيل بوجا (Colonel Pujat) حفر الآبار الإرتوازية ([5])، وقد حفرت أوائلها بقبلي وبازمة سنة 1909. وتواصل هذا المجهود إلى الحرب العالمية الأولى، إذ حفر إلى سنة 1915 حوالي ستة عشر بئرا كان أهمها بجمنة (1912) والقلعة (1913) وتلمين (1915) ويتجاوز صبيب الواحد منها 3500ل/د أي 58 ل/ث. أما بقبلي فقد حفر حتى سنة 1914 ثمانية آبار غير أن أهمها (عين نالوت) لم يتجاوز 19ل/ث ولم يتجاوز البئر رقم 3 (1908) والبئر رقم 6 (1911) نصف لتر/ث، كما لم يتجاوز صبيب عين الماكينة بالجرسين (1913) 2.5 ل/ث.

وفي الجملة فإن كافة الآبار التي حفرت قبل الحرب العالمية الأولى بلغت بضع مئات من اللترات /ث، إلا أن ذلك كان فيما يبدو على حساب العيون الطبيعية وقد نبه

([4]) Martel, **Les confins..., op. cit.**, T1, pp. 85-86.

([5]) Moreau, **Le pays des Nefzaouas, op. cit.**, p. 146 et R.G.F., **Historique...,op.cit.**, p. 19 et sq..

برفنكيار (Pervinquière) منذ سنة 1912 إلى أن حفر آبار ارتوازية جديدة بقبلي سوف يؤثر على العيون القديمة (6).

ومع ذلك، انطلقت عمليات الحفر من جديد بعد الحرب العالمية الأولى وخاصة في الثلاثينات، ومن الآبار الجديدة : ثلاثة بقبلي (1919 و1926 و1932) وإثنـان بنقـة (1921 و1933) وواحد بكل من الرابطة (1923) وطنبار (1930) وتنبيب (1931) والرحمات (1932) والمساعيد (1934). غير أن أقوى هذه الآبار وهو طنبار لم يتعد 35ل/ث.

وفي الجملة فإن الفترة الاستعمارية شهدت حفر 78 بئرا ارتوازيا بكامل المنطقـة (7) وقد بلغت الطاقة الإجمالية لها حتى 1946 حوالي 660 ل/ث. وقد أدى ذلك إلى :

-امتداد المساحات المغروسة بالمنطقة. وقد امتدت بعض الواحات فعـلا بعـدما كانت مساحتها ضيقة، ومن أهمها جمنـة وبشـلي ودوز والجرسـين أي الواحـات الجنوبية، فبالنسبة لدوز مثلا لم يكن بها غير 4500 نخلة سنة 1862، وارتفـع هـذا العدد إلى 19688 سنة 1909 منها 3109 فقط خاضعة لـلأداء أي أنهـا تجـاوزت العشرين سنة (8)، والبقية دون ذلك. وفي سنة 1946 أصبحت واحة دوز تعد ثلاثـين ألف نخلة (9).

-تنظيم جديد لتوزيع المياه وصيانة المعدات، فقد انبعثت بدفع من مكتب الشـؤون الأهلية بقبلي نقابات حرة للآبار الإرتوازية، تطورت إلى جمعيات ذات مصلحة مائية طبقا لأمر 25 ماي 1930، ويشرف على كل جمعية مجلس إداري ينظر في الميزانية السنوية ويقرر الأعمال الواجب القيام بها (10). وطبقا لأمر 30 جويلية 1936 تحولت تلك الجمعيات إلى جمعيات للمصالح المشتركة، يتولى أعضاء كل واحدة منهـا دفـع تكاليف البئر الإرتوازي وصيانته فيما بعد وجمع رصيد إضافي لتعويضه في ظـرف

(6) Moreau, **Le pays des Nefzaouas, op. cit**., p. 36.

(7) Baduel (P. R.), **Société et émigration temporaire au Nefzaoua (Sud Tunisien)**, Ed. CNRS, Paris 1980, p. 48.

(8) Martel, **Les confins..., op. cit**, T1, p.136.

(9) Moreau, **Le pays des Nefzaouas, op. cit**., p. 136.

(10) R.G.F., **Historique...,op.cit**., p. 25 et sq.

25 سنة. وتركزت هذه الجمعيات بكل من طنبار وتلمين والرابطة وسوق البياز والرحمات وجمنة والقلعة ودوز، ويقوم بتسييرها مجمع المصالح المائية الذي يرأسه رئيس مكتب الشؤون الأهلية بقبلي([11]).

وإضافة إلى ذلك لا بد من الإشارة إلى :

- أن حفر الآبار الإرتوازية أثر على العيون الطبيعية القديمة حتى الهامة منها، فقد جفت عين تاورغى تماما عدة مرات أولاها في أكتوبر-نوفمبر 1936 ثم في جويلية 1937 ثم في ماي 1940 ([12]). وإن كانت هذه العين تستعيد نشاطها من جديد فإن عشرات العيون الطبيعية الأخرى جفت نهائيا وبذلك انخفض عددها من300 سنة 1946 إلى 200 سنة 1958([13]).

- أن الهدف البعيد من حفر الآبار الإرتوازية يتمثل في إخضاع الأهالي للسلطة وضمان ولائهم لها، ذلك أن المياه تسمح بتوسيع الواحات وبالتالي تشجيع السكان على الاستقرار فيصبحون أكثر خشية للنظام القائم خوفا على مصالحهم، أما الرحل فإنهم مزعجون للسلطة ([14]) ودائمو التهرب منها وسريعو الثورة عليها. ولذلك راهنت السلطات الاستعمارية على حياة الإستقرار.

ومن جهة أخرى كان من نتائج امتداد الواحات أن عرفت الهياكل العقارية بالمنطقة بعض التغيرات.

2./أ. الهياكل العقارية وطرق الاستغلال :

كانت الأراضي بنفزاوة تنقسم إلى ثلاثة أنواع هي :

1- **الأحباس :** وهي أراضي غير قابلة للبيع أو التفريط فيها بأي وجه كان، وتنقسم إلى أحباس خاصة وعامة. والخاصة منها هي التي حبسها الخواص على نسلهم من الذكور عادة، وقد كانت منتشرة جدا في الواحات. كما حبس البعض نصيبهم في

Moreau, **Le pays des Nefzaouas, op. cit**., pp. 151-152.([11])

Ibid., p. 142. ([12])

Baduel, **Société..., op. cit**., p. 49. ([13])

Ibid., p.57.([14])

الدورة السقوية ([15]) حتى يسمحوا لورثتهم باستصلاح أراضي جديدة خاصة عندما تزحف الرمال على ملكياتهم القديمة. أما الأحباس العامة فقد كانت أملاكا خاصة لكن أصحابها حبسوها على مؤسسات عامة كالمساجد والزوايا وغيرها، وقد كانت تعد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر 4038 نخلة ([16])، وكان بنفزاوة نائب عن جمعية الأوقاف يتولى الإشراف على هذه الأحباس، وقد كانت مداخيلها تبلغ بعد الحرب العالمية الثانية حوالي 300 ألف فرنك سنويا ([17]).

2- **الملكية الخاصة :** وهي بقية أراضي الواحات، وتتمثل في بساتين محدودة المساحة عادة ومسيجة. ومع حفر الآبار الإرتوازية وتوفر المياه وقع التوسع في الواحات وتوجيه إنتاجها نحو التسويق فكانت كل الأراضي الجديدة فيما يبدو ملكيات خاصة. ومن جهة أخرى وقع ذلك التوسع بمبادرتين إحداهما رسمية وأخرى غير رسمية :

- **الأولى** :أرادت السلطات تنظيم عملية التوسع بهدف كسب ولاء الملاكين الجدد، فكانت تقسم الأراضي المعدة للاستصلاح إلى قطع مساحة الواحدة منها 25 آرا تقريبا، توزعها على طالبيها بالقرعة وتسند لهم عقود ملكية مؤقتة. وبعد فترة تدوم من 4 إلى 6 سنوات تجتمع لجنة تضم رئيس مكتب الشؤون الأهلية وأمين الفلاحة وإثنين من الأعيان لمعاينة مدى تقدم الأشغال التي قام بها الفلاح وينظر خاصة لكثافة الأشجار، فإذا توفرت تلك الكثافة يسند لصاحب القطعة عقد ملكية نهائي وتصبح أرضه بالتالي ملكية خاصة، أما إذا لم تتوفر كثافة معينة من الأشجار فقد يعطى لصاحب القطعة أجل إضافي بسنة أو سنتين حتى يتمم التشجير أو تسحب منه الأرض لتعطى إلى شخص آخر([18]).

([15]) Martel, **Les confins..., op. cit.**, T1, p. 86.

([16]) بنبلغيث (الشيباني)، "أهمية الأوقاف العامة من النخيل في الحياة الدينية والاجتماعية بواحات نفزاوة خلال القرن التاسع عشر"، في، **المجلة التاريخية المغاربية**، س 21، ع 75-76، زغوان ماي 1994، ص 288.

([17]) Moreau, **Le pays des Nefzaouas, op. cit.**, p. 188.

([18]) **Ibid.**, pp. 137-138.

وقد بلغت مساحة الأراضي الجديدة حتى سنة 1930 حوالي ثلاثمائة هكتار أسندت إلى 1200 شخصا وغرست بها حتى ذلك الحين 85 ألف شجرة مثمرة، من بينها 15 ألف نخلة دقلة و10 آلاف نخلة من نوع كنتة ومثل ذلك تقريبا من الفطيمي و5 آلاف زيتونة([19]).

– **الثانية** : وهي المبادرة غير الرسمية في التوسع يقوم بها الفلاحون على هامش الواحات القديمة، إذ في مرحلة أولى يقوم الفلاح بتهيئة قطعة أرض صغيرة مجاورة لبستانه يزرعها حبوبا سقوية ومن هنا حملت اسم المزرع، ثم في مرحلة ثانية يغرس بها أصولا من الزيتون أو فسائل النخيل غير أن السلطات كانت تقاوم هذه الظاهرة التي نجحت رغم ذلك في توسيع الواحات القديمة.

ونظرا إلى أن هذه الملكيات الجديدة كانت صغيرة المساحة مثلها في ذلك مثل الملكيات القديمة لم يوجد بنفزاوة ملاكون كبار، إذ لم يتجاوز عددهم بعد الحرب العالمية الثانية خمسة عشر لكل واحد منهم أكثر من ألف نخلة، كما تجاوز خمسمائة فلاح آخر حد أربعمائة نخلة ([20])، أي أن كبار الفلاحين ومتوسطيهم لا يملكون إلا سبعة بالمائة من نخيل المنطقة.

ولا بد في هذا الإطار من الإشارة إلى ضيعة واد المالح (هنشير المعمر) ([21])، فقد منحت سنة 1922 لمعمر فرنسي قطعة أرض تقع جنوبي قبلي على بعد إثني عشر كم، وتبلغ مساحتها خمسمائة هكتار، وقد تكونت لتسييرها الشركة التجارية الفلاحية للجنوب، التونسي (S.C.A.S.T) التي قامت سنة 1923 بحفر بئر ارتوازي بلغ صبيبه 16 ل/ث وأردف ببئرين آخرين سنة 1927 : 75 و12 ل/ث. وغرست شركة سكاست أربعة آلاف نخلة من نوع دقلة، واتسع نشاطها فأنشأت نزلا سياحيا ببرج فيلبار، قبل أن تبيعه سنة 1936 إلى أحد الخواص. وقد قام هذا الملاك الجديد هو أيضا بغراسة ضيعة بالقرب من النزل، غير أنها بقيت دون المكانة التي بلغتها ضيعة واد المالح.

R.G.F., **Historique..., op.cit.**, p. 25 et sq.([19])

Moreau, **Le pays des Nefzaouas, op. cit.**, p. 139.([20])

Ibid., p. 139-140.([21])

3- **الأراضي الجماعية :** كانت بقية الأراضي بنفزاوة مراعي لمواشي مختلف القبائل ولم تكن هناك حدود بينها. وتتمثل أهم الأراضي الجماعية في الظاهر جنوبا وسهول السقي والشارب شمالا وهي تتلقى في بعض السنوات كميات هامة نسبيا من الأمطار، بما يمكن من زراعة الحبوب.

كانت هذه الأراضي الجماعية محل نزاع بين نفزاوة وجيرانها من جهة وعروش نفزاوة فيما بينها من جهة أخرى. فقد كان الحوامد مثلا يدعون ملكية ثلاثة أرباع مساحة سهل السقي، فتدخلت السلطات لفض النزاعات بين مختلف الأطراف، ووقع تحديد الأراضي التابعة للمنطقة بالسقي سنة 1925. وفي إطار أمر 23 نوفمبر 1918 وقع التوصل إلى تحديد 82 ألف هكتار لنفزاوة (22) وزعت على مختلف مناطقها الترابية.

ومن جهة أخرى سادت بأغلب الواحات طريقة الاستغلال غير المباشر عن طريق الخماسة والعملة الفلاحيين خاصة منهم الموسميين. لقد ساد نظام الخماسة رغم صغر الملكيات. وكان الخماس الواحد يلتزم بالعمل بعدة قطع فلاحية حتى يضمن ما يعول به أسرته، فكان يقوم بكل الأشغال المطلوبة منه مقابل نسبة معينة من الإنتاج تختلف حسب المنتوج وحسب الواحة، ولكنها عموما تبلغ النسب التالية : الخُمُس بالنسبة للتمور العادية أي غير الجيدة، الثُّمُن بالنسبة للفطيمي، العُشُر بالنسبة للدقلة، الثُّلُث بالنسبة للخضر والغلال (23).

وبالإضافة إلى اليد العاملة المحلية، كانت واحات نفزاوة تستقبل في فصل جني التمور أعدادا هامة من اليد العاملة الموسمية القادمة خاصة من الوسط، وقد قدر عدد الوافدين سنة 45-1946 بسبعة آلاف نسمة (24). كما أن ضيعة واد المالح كانت تشغل عددا من العملة الفلاحيين يضاف إليهم عدد آخر من العملة الموسميين في فصل جني التمور.

---

(22) **Ibid**., p.158.

(23) بويحي (سالم)، "النضال العمالي والنشاط النقابي في القطاع الفلاحي بواحات الجنوب الغربي (الجريد ونفزاوة) 1947-1959"، في، **المجلة التاريخية المغاربية**، س 21، ع 75-76، زغوان ماي 1994، ص 259.

(24) Moreau, **Le pays des Nefzaouas, op. cit**, p. 135.

3 /أ. الإنتاج الفلاحي :

ترتكز فلاحة الواحات على الغراسات وخاصة منها أشجار النخيل الذي أصبح منذ العقد الثاني من القرن العشرين يعرف تحولات هامة واتجاها نحو التسويق. كما نجد في مستوى ثان الأشجار المثمرة الأخرى من زياتين وتين ومشماش وخوخ ورمان وغيرها. وفي مستوى ثالث نجد الخضر والحبوب والمواد العلفية وأساسا من بينها البرسيم. وإذ يوجه قسم من الإنتاج إلى التسويق فإن قسما آخر يوجه للاستهلاك المحلي والعائلي.

* **النخيل** :

تطور عدد النخيل بنفزاوة من 323 ألف سنة 1862 ([25]) إلى 557 ألف سنة 1911 ([26])، وفي سنة 1946 بلغ هذا العدد 682 ألفا ([27]) ؛ وبقطع النظر عن الدعاية الاستعمارية التي ركزت على الأرقام لتبين التطور الذي عرفته الواحات في ظل نظام الحماية، فإن أعداد النخيل قد تضاعفت تقريبا خلال أقل من قرن.

هذا وتتركز أهم الواحات في الجزء الشمالي من المنطقة، إذ حافظت هذه الواحات على مكانتها القديمة طوال الفترة الاستعمارية، واحتلت المشيخات الشمالية السبع ([28])

([25]) بنبلغيث (الشيباني)، "النخيل في نفزاوة ودوره الاقتصادي والاجتماعي خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر"، في، **المجلة التاريخية المغاربية**، س 20، ع 71-72، زغوان ماي 1993، ص 568-569.لكن تجدر الملاحظة أن كتابات أخرى تذكر أن عدد نخيل نفزاوة كان يقدر بـ160 ألف نخلة سنة 1881 في محاولة منها لتضخيم الزيادة المسجلة في الفترة الاستعمارية، انظر مثلا : Louis (A.), **Aux Nefzaoua, le palmier et les hommes, du semi-nomadisme à la sédentarisation**, Extrait remanié de IBLA, 1968, p.18.

([26]) Martel, **Les confins..., op. cit.**, T2, p. 182.

([27]) Moreau, **Le pays des Nefzaouas, op. cit.**, p. 136.

([28]) علاوة على واحة مركز المشيخة تضم المشيخات الشمالية الواحات التالية : مشيخة قبلي (الرحمات وبازمة)، مشيخة تلمين (ابنس والقطعاية والجديدة) والمنصورة (طنبار وتنبيب والرابطة وليماقس) وبشري (الدبابشة وفطناسة وزاوية العانس) وبوعبد الله (القليعة وزاوية الشرفاء) والمنشية (استفطيمي وجزيرة الوحيشي) وأم الصمعة (زاوية الحرث).

المراتب السبع الأولى من حيث عدد النخيل، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال الجدول التالي ([29]) ومقارنته مع ما في الجدول الثاني:

المشيخة	السنوات			%الزيادة	
	1862	1909	1946	1909–1862	1946–1909
قبلي	50	80	88	%60	%10
تلمين	51	78	80	%53	%2.5
بشري	23	53	75	%130	%41
المنصورة	39	63	71	%61	%12.6
بوعبد الله	37	56	62	%51	%10
المنشية	22	40	60	%81	%50
أم الصمعة	26	42	41	%61	%2-

الجدول رقم 1 : تطور أعداد النخيل بمشيخات نفزاوة الشمالية (الوحدة : الف)

ومن خلال هذا الجدول نلاحظ :

– أن نسبة نمو الواحات كانت في الفترة الأولى (1862–1909) أهم منها في الفترة الثانية (1909–1946)، مما يعري الدعاية الاستعمارية التي تحاول إبراز ما قامت به من تنمية بالمنطقة وخاصة منذ حفر الآبار الإرتوازية.

– أن العواصم التاريخية لنفزاوة احتلت المراتب الأولى، وهذا مرتبط بتوفر المياه الطبيعية خاصة، إذ لم تحفر آبار ارتوازية ببشري وبوعبد الله والمنشية، ومع ذلك ارتفع عدد نخيلها، بل إن أهم الزيادات التي سجلت في الفترة (1909 –1946) كانت بالمنشية وبشري. أما مشيخة تلمين فلم تسجل إلا زيادة ب2.5% رغم حفر بئرين هامين بكل من تلمين سنة 1915 والقطعاية سنة 1934.

([29]) اعتمدنا في وضع هذا الجدول وكذلك الجدول الموالي على المصادر التالية : بنبلغيث، "النخيل..."، **نفس المرجع**، ص 568–570 بالنسبة للعمود الأول، أما العمودان الثاني والثالث، فقد اعتمدنا على كل من مارتيل (ج2، ص 183) ومورو (ص 136).

أما بالنسبة للواحات الجنوبية فقد سجلت زيادات أهـم دون أن تسـتطيع تجـاوز الواحات الشمالية وهذا ما يبرزه الجدول الموالي :

	السنوات			% الزيادة	
المشيخة	1862	1909	1946	1862-1909	1909-1946
جمنة	14	28	40	%100	%42
القلعة	5	10	33	%100	%230
الجرسين	6	21	32	%250	%52
دوز	4.5	19	30	%322	%57.8
بشلي	11.6	21	27	%81	%27.6
العذارى	4	7	13	%75	%85.7

الجدول رقم 2 : تطور أعداد النخيل بمشيخات نفزاوة الجنوبية ([30]) (الوحدة : ألف)

من خلال هذا الجدول نلاحظ ما يلي :

- أن نسبة نمو هذه الواحات سواء في الفترة الأولى أو في الفترة الثانية تتجـاوز بصفة عامة نسب نمو الواحات الشمالية.

- أن واحات جمنة والجرسين ودوز وبشلي عرفت انخفاضا في نسب نموها بـين الفترتين، رغم حفر آبار ارتوازية بكل من جمنة وبشلي ودوز بينما زادت نسبة نمـو واحات العذارى والقلعة، إذ سجلت هذه الأخيرة نسبة زيادة بـ230% فـي الفتـرة الثانية وأصبحت تمسح 80 هكتارا، كما أصبحت واحة جمنة تمسح 70هك ([31]). ولعل ذلك يعود إلى إنشاء ضيعتين هما قراد التي كانت على ملك القايد نصر بـن سـعيد، وضيعة واد المالح التي تعود إلى شركة سكاست.

وفي الجملة فإن نسبة النمو في الفترة الأولى كانت أهم منها في الفترة الثانيـة، إذ بلغت الزيادة السنوية في فترة (1862-1909) 4780 نخلة، ولم تتجاوز فـي فتـرة

([30]) تجدر الإشارة إلى أن دوز هي ثلاث مشيخات، كما أننا من جهة أخرى لم نورد الإحصائيات التي تهم مشيخات أولاد يعقوب والصابرية وغريب.

([31]) Moreau, **Le pays des Nefzaouas, op. cit.,** p. 135.

(1909-1946) 3621 نخلة جديدة سنويا، وبذلك نلمس نسبية نمو الواحات في العهد الاستعماري الذي تمثله الفترة الثانية، أما الفترة الأولى فإن ثلاثة أخماسها (1862-1882) سبقت الاستعمار ولم تهتم السلطات في بقية هذه الفترة بنمو الواحات.

لكن أهم ما عرفته المنطقة هو التوجه إلى تحسين جودة التمور بغراسة صنف الدقلة التي لم يكن يتجاوز عدد نخيلها في بداية العقد الأخير من القرن التاسع عشر 610 نخلة، أضيفت إليها في العقد الموالي 1114 نخلة، وفي سنة 1909 بلغ العدد الجملي لنخيل الدقلة 3649 توجد أغلبها بقبلي 2115 ثم بوعبد الله 552 والمنشية 447 ([32]). وفي سنة 1936 بلغ عدد نخيل الدقلة بنفزاوة 17095 نخلة، غرست أغلبها بعد الحرب العالمية الأولى وخاصة خلال سنة 1920 (4443 نخلة) و1925 (6212 نخلة) ([33]). وبذلك ارتفعت نسبتها من 0.7% سنة 1911 إلى 3% من جملة نخيل نفزاوة، لتبلغ 10% سنة 1946 أي جملة 70 ألف نخلة ([34]). ومن نافلة القول إن هذا التطور أدخل المنطقة في دورة اقتصادية جديدة إذ أن إنتاج تمور الدقلة موجه للتصدير أساسا.

* الزياتين :

كان فلاحو نفزاوة يغرسون الزياتين في محيط الواحات ويسقونها في فصل الشتاء بفواضل مياه الري. وكانت تلك الزياتين توفر بعض الحاجيات من الزيوت ؛ وقد بلغت مداخيلها سنة 1903 حوالي 6% مقارنة مع مداخيل التمور ([35])، إلا أن نمو عدد الزياتين كان بطيئا مقارنة مع النخيل، إذ كان بكامل نفزاوة قبل عشرين سنة من دخول الاستعمار الفرنسي سبعة آلاف أصل زيتون، توجد أهمها بواحات تنبيب وبوعبد الله والقليعة وبازمة والرحمات ([36]). وفي سنة 1946 بلغ العدد الجملي للزياتين 11540

([32]) Martel, **Les confins..., op. cit.**, T1, pp.182-183.

([33]) **Statistique générale de la Tunisie**, 1936, pp. 100-101.

([34]) Moreau, **Le pays des Nefzaouas, op. cit.**, p. 125.

([35]) Martel, **Les confins..., op. cit.**, T2, p. 183.

([36]) بنبلغيث، "النخيل..."، **نفس المصدر**، ص 574-575.

منها 3 آلاف بواحات مشيخة بوعبد الله و1900 بواحات المنصورة وخاصة منها واحة تنبيب، و1500 بواحات قبلي وخاصة منها واحة بازمة ([37]).

*** الأشجار المثمرة الأخرى :**

كانت هذه الأشجار تتخلل النخيل وتشكل بالتالي الطبقة الثانية في الواحات، وهي متنوعة وأهمها ([38]) :

- **التين** : لعلها من أقدم الأشجار التي جاورت النخيل بالمنطقة، وقد بلغ عددها سنة 1946 : 28500 شجرة. وهي منتشرة بالواحات القديمة خاصة منها المنصورة : 7500، وتلمين : 5 آلاف، ومثل ذلك بقبلي. ثم وبدرجة ثانية المنشية : 2500، وبوعبد الله : 2400، وبشري : 1500، وأم الصمعة: 1200.

- **الرمان** : كان بنفزاوة سنة 1946 : 11580 أصل رمان توجد أهمها بالمشيخات التالية : قبلي : ثلاثة آلاف، تلمين: ألفان، المنصورة : 1500.

- **الخوخ** : 10820 أصل، توجد أهمها بواحات المنشية : 4500، وقبلي : 1700، وبوعبد الله :1100، وتلمين : 1000.

- **المشماش** : 5410 أصل، منها ببشلي : 900، والمنصورة : 700، وقبلي: 600، وتلمين : 550.

غير أن إنتاج هذه الأشجار كان يستهلك محليا، وكان المشماش والتين يجففان ليتحول الأول إلى "فرماس" يستعمل في إعداد بعض الأطعمة، ويسمى التين المجفف "الشريح" وكان يستهلك في فصل الشتاء.

*** الزراعات التحتية :**

كانت الواحات توفر حاجيات أصحابها من الخضر خاصة منها الجزر واللفت والسلق والفلفل والبصل والثوم والقرع إضافة إلى حاجياتهم من البطيخ والدلاع والذرة والدخن. ولم تكن هذه المنتوجات توجه إلى خارج المنطقة. كما كانت الواحات توفر

([37]) Moreau, **Le pays des Nefzaouas, op. cit.**, p. 136.

([38]) **Ibid.**

المواد العلفية للمواشي من ذلك أن مساحات هامة من واحة المنصورة كانت تخصص للبرسيم الذي يستعمل كعلف للخيول ([39]).

*** الحبوب :**

كانت هوامش الواحات تتخذ في العادة مزارع للحبوب من قمح وشعير تسقى من فواضل المياه في فصلي الخريف والشتاء وبداية الربيع، وكانت تلك المزارع توفر بعض الكميات التي تخصص للاستهلاك العائلي.

أما أهم الأراضي المنتجة للحبوب فتتمثل في سهول السقي والشارب والظاهر، إذ كان سكان المنطقة يتوجهون إليها في السنوات الممطرة فيحرثون ويزرعون في الخريف ويحصدون في بداية الصيف. وقد كان المردود يبلغ في سنوات الصابة أرقاما قياسية من ذلك أن محاصيل سنة 1911 بلغت مائة وخمسين مرة قيمة البذور ([40])، وقبل ذلك أي في سنة 1903 قاربت مداخيل الحبوب مداخيل التمور ([41]). أما في سنوات الجفاف فلم يكن الإنتاج يتجاوز ضعف أو ثلاثة أضعاف البذور، وربما فقد الفلاح ما بذره. كما أن المساحات المزروعة لم تكن هامة إذ في موسم 1944-1945 لم تتجاوز 975 هكتارا من جملة 75 ألف هكتار، وفي السنة الموالية بلغت 1350 هك([42]). وكثيرا ما تبقى المساحات المزروعة محدودة نظرا لتواصل الجفاف، مما جعل المنطقة غير قادرة على توفير حاجياتها من الحبوب. كما أن الجفاف كان يؤثر بصفة مباشرة على الثروة الحيوانية.

ب- تربية الماشية :

لقد تركزت الحياة الاقتصادية لسكان الواحات الشمالية على فلاحة الأرض، واحتلت تربية الماشية لديهم حيزا هامشيا ولم تكن قطعانهم من الضأن والماعز تتجاوز محيط الواحة إلا ببضع كيلومترات وتعود في المساء إلى أصحابها مقابل خمس فرنكات شهريا على كل رأس. أما إذا تجاوز أحد القطعان العشرات فإن أصحابها

([39]) **Ibid**, p.165.

([40]) **Ibid**, p.155.

([41]) Martel, **Les confins..., op. cit**., T2, p.183.

([42]) Moreau, **Le pays des Nefzaouas, op. cit**., p. 155.

يكلفون بها راعيا من البدو ينتقل بها بين مواطن الكلإ والماء مقابل كساء سنوي يتكون من جبة صوفية وبرنس ومداس وأربعة خرفان على كل مائة رأس إضافة إلى كمية من الشعير ([43]).

غير أن تربية الماشية بقيت اختصاصا للرحل ونصف الرحل من قبائل المرازيق وغريب وأولاد يعقوب والعذارى والصابرية، إذ كانوا ينتقلون مع قطعانهم من مكان إلى آخر وكانوا يمتلكون نسبة هامة من الثروة الحيوانية بنفزاوة. وطبقا لأرقام سنة 1946 ([44]) كان للمرازيق 1346 رأسا من الإبل أي 22% من إبل المنطقة، كما كان لغريب 1266 رأسا أي نسبة 20%. أما بالنسبة للضأن فإن المرازيق كانوا يمتلكون 33% من ثروة المنطقة أي 8848 رأسا من جملة 26753، وتجاوز كل واحد من بقية العروش رقم ثلاثة آلاف رأس. وبالنسبة للماعز كان المرازيق يمتلكون 16338 رأسا أي 31% من قطعان نفزاوة ويمتلك العذارى 7260 رأسا والصابرية 7062 وغريب 4323 وأولاد يعقوب 3771 من مجموع 48450 رأسا.

أما إذا وزعنا رؤوس الحيوانات على أفراد تلك القبائل ([45]) فإننا نجد أن غريب يحتلون المرتبة الأولى في تربية الإبل والضأن، بينما يحتل الصابرية المرتبة الأولى في تربية الماعز والثانية في الضأن والثالثة في الإبل، ويحتل أولاد يعقوب المرتبة الثانية في الإبل والماعز والثالثة في الضأن.

ومن جهة أخرى عرفت الثروة الحيوانية بنفزاوة تطورا هاما إلى أواسط الأربعينيات، وهذا ما يبرزه الجدول التالي :

	1920	1930	1946
الإبل	3500	3647	6035
الماعز	24000	28496	48450
الضأن	14500	21255	26753

([43]) Martel, **Les confins..., op. cit**., T1, p. 86.

([44]) Moreau, **Le pays des Nefzaouas, op. cit**., p. 166.

([45]) كان المرازيق يعدون سنة 1946 : 8235 نسمة، أما العذارى فعددهم 3175 نسمة وأولاد يعقوب 2974 والصابرية 2705 وغريب 2020.

إن هذه الإحصائيات تبين أن قطيع الإبل ازداد في ظرف 26 سنة بنسبة 72%، وسجل الماعز زيادة بـ 100%، والضأن زيادة بـ 84%. ولا يمكن أن تخفي عنا تلك النسب الانخفاضات التي كانت تسجل في سنوات الجفاف والتي سرعان ما يقع تلافيها في السنوات الموالية ؛ غير أن سنة 1947-1948 سجلت انخفاضا مهولا لم يقع تجاوزه إلى ما بعد سنة 1956 إذ قضى الجفاف على 60% من الإبل و80% من قطعان الماعز والضأن ([46])، فكان أن تدهور المستوى المعيشي للرحل وأنصاف الرحل فتوجهوا بجدية نحو حياة الاستقرار، واختل التوازن بين الفلاحة وتربية الماشية، لكن الواحات لم تكن قادرة على الاستجابة لحاجيات هذا الرصيد البشري الجديد خاصة وأن القطاعات الأخرى لم تعرف تطورا ملحوظا.

ج- الحرف :

لم تؤد الأبحاث عن المواد الأولية بالمنطقة إلا إلى اكتشاف منجم صغير للمنغنيز بجبل الشارب، شرعت شركة بريطانية في استغلاله واستعملت لذلك عمالا من جهة قفصة، وكان الإنتاج ينتقل إلى صفاقس غير أن الأشغال توقفت سنة 1939 رغم أنه يحتوي على نسبة تتراوح بين 50 و55% من مادة المنغنيز ([47])، ولم تستفد نفزاوة بالتالي من هذا المنجم.

ومن جهة أخرى بقيت الصناعة ذات طابع حرفي ويشكل النسيج أهم قطاعاتها إذ تتوفر المواد الأولية من صوف وشعر ووبر بالمنطقة، وكان هذا القطاع من اختصاص النساء إذ يعتبر العمل به وإجادته أحد أهم العناصر التي تقيّم بها المرأة عند الزواج، ويندر أن يوجد منزل بدون منسج.

ومن الصوف كانت النساء يصنعن بمنازلهن البرانس والحوالي ([48]) والأغطية الصوفية، وقد اشتهرت كل من بلدتي أم الصمعة والعوينة بجودة منتوجاتها من البرانس، ويجمع ذلك الإنتاج تجار متنقلون يوجهونها نحو الأسواق البعيدة.

([46]) Baduel, **Société..., op. cit**, pp. 54-54 bis.

([47]) Moreau, **Le pays des Nefzaouas, op. cit**, p. 174.

([48]) مفردها حولي وهو قطعة مستطيلة (9 أذرع×3) يصنع من الصوف ويستعمل عوض البرنس في بعض مناطق الجنوب وجهات طرابلس.

وكان هذا القطاع مزدهرا حتى بداية الفترة الاستعمارية إذ إلى سنة 1885 كانت نفزاوة تصدر سنويا إلى غدامس أربعة آلاف حولي و1200 برنس [49]، وفي سنة 1903 بلغت المداخيل المتأتية منه 120 ألف فرنك بينما بلغت مداخيل التمور -على أهميتها في اقتصاد المنطقة- 185 ألف فرنك [50]، غير أن تدهور تجارة القوافل في اتجاه الجنوب جعل هذا القطاع يوجه منتوجاته شرقا إلى قابس ومنها إلى أسواق أخرى بالجنوب والشمال.

أما من مادتي الشعر والوبر، فكانت البدويات يصنعن الغرارة لحمل الأثقال وخزن الحبوب والتمور، كما ينسجن الفلائج التي يجمع عدد منها إلى بعضها لتصبح خيمة. ومن مادتي الصوف والشعر كان رجال غريب والصابرية يصنعون الأحذية الصحراوية التي يسمى الواحد منها العفان، غير أن نطاق استعماله كان محدودا ولم يكن يروج بالأسواق.

وإضافة إلى النسيج، نجد صناعة الجلد إذ كانت القوافل الصحراوية تجلب الجلود السودانية إلى دوز حيث يقع تحويلها إلى أحذية يسمى الواحد منها مداس كان يستعمله البدو في تنقلاتهم.

أما المواد الأولية المتأتية من النخيل فكانت تحول في نطاق عائلي إذ تصنع من الليف الحبال، ومن السعف القفاف والمظلات والمروحات، ومن الخشب الأبواب والأسقف وبعض أجزاء المنسج.

وفي الجملة فإن الصناعة النفزاوية حافظت على طابع حرفي وكان نطاق ترويجها -فيما عدا النسيج- ضيقا.

د- التجارة:

1 د/. التجارة المحلية :

شهدت التجارة المحلية تطورا ملحوظا بإحداث ثلاثة أسواق أسبوعية موزعة جغرافيا على شمال المنطقة (سوق الأحد) ووسطها (سوق البيباز-قبلي) وجنوبها

---

(49) **Ibid**., p. 167.

(50) Martel, **Les confins..., op. cit**., T2, p.183.

(دوز)، وزمنيا على أيام الأحد والثلاثاء والخميس. والسوق هو عبارة عن مساحة مربعة الشكل وفسيحة يحيط بها ستون دكانا. وقد أقيم سوق الأحد سنة 1938 بين قرى المنشية وبوعبد الله والقليعة، بينما أقيم سوق البياز شمال واحة قبلي في مكان غير بعيد عن قرى تلمين والمنصورة والجديدة إضافة إلى بازمة والرحمات ؛ وقد كان يسيطر على التجارة فيه اليهود.

وكانت هذه الأسواق تتفاوت من حيث أهميتها وحركيتها، ويمكن تبين ذلك من خلال أرقام معاملاتها. ففي الفترة الممتدة بين أفريل 1945 وأفريل 1946 مثلا بلغ مجموع المعاملات التجارية بالأسواق الثلاث حوالي 107 مليون فرنك ([51]). وقد احتكر منها سوق دوز نسبة 39%، واحتل سوق البياز المرتبة الثانية بنسبة 34% بينما لم يسجل سوق الأحد غير 26%.

ومن جهة أخرى، كانت حركية هذه الأسواق تزداد في فصل الخريف بمناسبة جني التمور ومثال ذلك سوق قبلي إذ تسجل المعاملات ارتفاعا هاما في فترة أكتوبر-جانفي وخاصة في شهر نوفمبر.

2 /د. التجارة مع المناطق الأخرى :

كانت نفزاوة قبل الاستعمار الفرنسي مرتبطة بالمسالك التجارية الصحراوية، إذ كانت القوافل القادمة من جنوب الصحراء تصل إلى غدامس ومنها تتخذ في اتجاهها إلى البلاد التونسية ثلاثة مسالك، يتجه أهمها نحو قابس والآخران نحو الجريد ونفزاوة ([52])، وقد كانت القوافل تنطلق من غدامس في اتجاه تيارت ثم المنتصر فدوز وقبلي وطرة، وتخترق الشط في اتجاه الجريد أو قفصة، ومن هناك إلى تونس. وكانت المنطقة تستفيد من بعض البضائع التي تحملها هذه القوافل ومن بينها خاصة الجلود السودانية المسماة بالفيلالي وكذلك العبيد، كما تزودها عند عودتها بالمنسوجات الصوفية الجيدة من حوالي وبرانس. وكان المرازيق والعذارى يصدرون نحو غدامس الحبوب والسمن والمواشي.

([51]) Moreau, **Le pays des Nefzaouas, op. cit**., p. 173.

([52]) Martel, **Les confins..., op. cit**., T1, pp. 93-95.

غير أن هذه التجارة تراجعت مع دخول الاستعمار الفرنسي وأصبحت المنسوجات النفزاوية توجه نحو قرى ومدن الجنوب التونسي وبصفة أقل نحو البلاد الطرابلسية، وشجعت السلطات الاستعمارية التجارة بين الجنوبين الجزائري والتونسي، فكانت تربط بينهما في بداية القرن حوالي ستين قافلة سنويا، يقودها تجار من ورقلة، فيمرون بدوز في اتجاههم نحو قابس التي يتزودون منها بالسكر والقهوة والشاي والتوابل([53]). إلا أن المنطقة بقيت مجرد ممر لهذه القوافل.

أما المسلك القديم مع الجنوب فقد عوضته تجارة التهريب التي كانت السلطات تقاومها بشدة ولا يتورع أعوانها عن إطلاق النار على التجار الذين يهربون البارود من طرابلس إلى الجزائر، ويجلبون إلى المنطقة التبغ السوفي([54])، غير أن هذه التجارة لم تكن تعود بالفائدة إلا على فئة قليلة من السكان.

كما أن منطقة نفزاوة كانت وجهة لقوافل الحبوب القادمة من إفريقيا أي الشمال التونسي والتي تأتي في الخريف من كل سنة لاستبدال حمولاتها بالتمور فكانت سيقة التمر تستبدل بسيقة من الشعير أو قلبة من القمح ([55]). وكانت التمور المطلوبة ذات نوعية عادية إذ يسهل نقلها وخزنها. وقد بلغت كمياتها في موسم 45-1946 حوالي ثلاثة آلاف طن ([56])، وكانت المنطقة في مقابل ذلك تتزود بحاجياتها من المواد المصنعة.

وفي الجملة وقعت زعزعة العلاقات التجارية القديمة لنفزاوة في سبيل تركيز علاقات جديدة ربطتها أكثر بالشريط الساحلي دون أن تقضي على علاقاتها القديمة مع مناطق السباسب والشمال التونسي، فدخلت المنطقة في دورة تجارية جديدة جعلتها مصدرا للتمور وسوقا لترويج البضائع المصنعة القادمة من السواحل أو الحبوب القادمة من المناطق الشمالية.

([53]) Augias, "Deux années...", **op. cit.,** pp. 52.

([54]) **Ibid**.

([55]) تساوي سيقة التمر حوالي 6.5 كغ وسيقة الشعير 8.5 كغ وقلبة القمح 4.5كغ.

([56]) Moreau, **Le pays des Nefzaouas, op. cit**., p. 171.

من جهة أخرى، وإن تواصلت طريقة المقايضة في بعض القطاعات فإن الاقتصاد النقدي فرض نفسه في آخر الفترة على المعاملات التجارية، وقد كان هذا التحول الاقتصادي موازيا لتحولات بشرية هامة.

2- التحولات البشرية :

أ. النمو السكاني :

كانت نفزاوة تعد سنة 1883 حوالي 18 ألف نسمة ([57])، وفي سنة 1926 ارتفع عدد سكانها إلى 31806 ([58])، أي أن الزيادة بلغت طيلة الفترة 76%. ولا بد في هذا الإطار من الإشارة إلى وفود عدد من الفرنسيين واليهود الذين كان وجودهم منعدما في بداية الاحتلال. وقد بلغ عدد اليهود سنة 1926 : 351 نسمة، وفي سنة 1946 : 513 نسمة وكان أغلبهم مستقرين بقبلي، أما عدد الفرنسيين فقد بلغ الخمسين، وفي نفس هذه السنة بلغ مجموع سكان نفزاوة 45550 نسمة وارتفع ذلك إلى حوالي 65 ألف نسمة سنة 1956 ([59])، أي أن الزيادة السنوية في العشرية الأخيرة من العهد الاستعماري بلغت 3%، وهي زيادة هامة تعود إلى التحسن في الرعاية الصحية إذ كان بقبلي مركز صحي متواضع تتمثل أهميته خاصة فيما كان يقوم به من حملات تلقيح ضد حمى المستنقعات وجرب العيون وهما من الأمراض الأكثر انتشارا في المنطقة.

ب. حركة السكان :

لم تكن الهجرة من نفزاوة في الفترة الاستعمارية هامة إذ اقتصرت بعد الحرب العالمية الأولى على بعض العملة الذين لم يتجاوز عددهم العشرين والذين توجهوا نحو فرنسا. وفي فترة لاحقة ساهم أربعون جنديا من نفزاوة في معارك الحرب العالمية الثانية ([60]).

([57]) Sternberg (B.S), "Semi- nomades du Nefzaoua", in, **Recherches sur la zone aride, nomades et nomadisme au Sahara**, UNESCO 1963, p. 124.

([58]) R.G.F., **Historique...,op.cit.**, p. 11 et sq.

([59]) لجنة البحوث التربوية بقبلي، **تاريخ نفزاوة، نفس المرجع**، ص 15.

([60]) Baduel, **Société..., op. cit.**, p. 35.

ولم تكن حركة النزوح هامة أيضا إذ لم تمس إلا بعض القرى مثل جمنة والمنصورة وأم الصمعة والمنشية التي كان عدد من أهلها يغادرونها نحو قابس أو صفاقس أو تونس أو منطقة المناجم بحثا عن الشغل ([61]). وكان عدد آخر من شبان قبلي والمرازيق وجمنة وبوعبد الله يتوجهون نحو العاصمة للدراسة بجامع الزيتونة وقد بلغ عددهم سنة 13-1914 عشرة ([62])، وبعد الحرب العالمية الثانية وصل إلى مائة طالب ([63]).

وفي مقابل ذلك كانت نفزاوة مركز جذب للنازحين من أبناء الوسط وخاصة منهم الهمامة الذين كانوا يستقرون حول الواحات لمدة أربعة أو خمسة أشهر سنويا للمساهمة في جني صابة التمور. وقد قدر عددهم في موسم 45-1946 بسبعة آلاف نسمة. كما كانت المنطقة تعرف حركة ظعن مستمرة، اتجهت نحو التراجع بعد الحرب العالمية الثانية، فبدأ يختل التوازن القديم بين الرحل والمستقرين لصالح حياة الاستقرار.

ج. أزمة الترحال :

من خلال العلاقة بالأرض، كان سكان نفزاوة ينقسمون إلى مستقرين ورحل. وكان المستقرون منهم يعتمدون في حياتهم الاقتصادية على الفلاحة الواحية المكثفة، أما الرحل فكانوا يعتمدون أساسا على تربية الماشية، ولا يعني ذلك أنهم لا يملكون بعض الواحات الصغيرة مثلما أن المستقرين كانوا يربّون بعض الرؤوس من الضأن والماعز. غير أن التوجه العام الذي عرفته الفترة المعاصرة يتمثل في استقرار أعداد متزايدة من الرحل. ولملاحظة التطور نحو حياة الإستقرار يمكن المقارنة بين دراستين قام بالأولى منهما الملازم لابي (Labbé) سنة 1898 ([64]) والثانية بيار مورو سنة 1947 ([65]).

([61]) **Ibid**., p. 72.

([62]) أ.و.ت، سلسلة تاريخ الحركة الوطنية، الصندوق 1، ملف 6، جريدة أسماء التلامذة بالجامع الأعظم في سنة 1913/1914.

([63]) Moreau, **Le pays des Nefzaouas, op. cit**., p. 186.

([64]) Cité par Violard (Emile), **L'extrême sud tunisien**, Tunis 1906, pp. 64-66.

([65]) Moreau, **Le pays des Nefzaouas, op. cit**., pp. 175-183.

يتفق الباحثان على أن سكان شبه الجزيرة كانوا مستقرين، أمـــا ســـكان الواحـــات الواقعة على خط قبلي–دوز فيصنفهم الملازم لابي ضمن أنصاف الرحل إذ يغـــادرون واحاتهم بداية من شهر جانفي ولا يعودون إليها إلا في موسم جني التمور. أما مـــورو فقد لاحظ بعد خمسين سنة أن فترة تنقلهم تبدأ فـــي الربيـــع وبالتـــالي ازدادت فتـــرة استقرارهم لتمتد على أكثر من نصف السنة، ولذلك اعتبرهم مستقرين منتجعين، ومن بينهم سكان قرى بشلي والقطعاية وكلوامن والبليدات والجرسين والمســـاعيد والقلعـــة وجمنة ونويل.

وصنف الملازم لابي قبائل المرازيق والعذارى وغريب ضمن الرحل، إذ يعيشون أغلب السنة متنقلين مع قطعانهم بحثا عن المراعي ويعودون لمدة وجيزة إلى واحاتهم الضيقة، أما مورو فقد صنف المرازيق وأولاد يعقوب وعوين ضمن نصف الرحل، إذ تبدأ فترة ترحالهم في الربيع فيتوجهون إلى مناطق بعيدة نحو الجنوب ويعودون فـــي شهر سبتمبر ؛ ولم يبق ضمن الرحل غير العذارى الذين يغادرون واحاتهم بعد فصل الشتاء، وغريب الذين تمتد فترة استقرارهم على شهري أكتوبر ونوفمبر فقط.

وبالتالي فإن التوجه نحو حياة الاستقرار كان ثابتا رغم بطئه ولكنه شهد تســـارعا ملحوظا بعد أن تقهقرت تربية الماشية إثر جفاف 47-1948 ([66])، وأصبحت أعـــداد هامة من أنصاف الرحل والرحل يقضون أغلب فترات السنة قرب الواحات، وأصبحوا يتوجهون إلى فلاحة الأرض حتى لم يعد الرحل يمثلون غير 10% من سكان نفـــزاوة سنة 1966 ([67]) بعدما كانوا يعدون 50% سنة 1926 ([68]).

وفي الحقيقة فإن السلطات الاستعمارية دفعت نحو حياة الاستقرار لأن الرحل كانوا يمثلون بالنسبة لها هاجسا أمنيا متواصلا بينما كان المستقرون أكثر استعدادا للخضوع. غير أن تراجع الترحال أضر من جانب آخر بـــالتوازن الاقتصـــادي الجهـــوي وأدى تراجع الثروة الحيوانية إلى ازدياد الضغط على الواحات، وبذلك لم يمس تقهقر حيـــاة التنقل والترحال النطاق الصحراوي فقط وإنما المنطقة بأسرها.

([66]) Baduel, **Société..., op. cit.**, p. 54 bis.

([67]) **Ibid**; p. 57.

([68]) إذ يتوزع سكان نفزاوة بين رحل عددهم 15886 ومستقرين يعدون 1556<9.

آل الحبيب : عائلة من أعيان وطن تلمين في القرن التاسع عشر، كان مقر سكناهم ببلدة الجديدة القريبة من تلمين، وكانوا على قدر من الثروة والجاه. أشهر من أنجبته هذه العائلة آنذاك محمد الحبيب أو محمد بن الحبيب بن حسين بن أحمد السوداني الذي عين خليفة على تلمين لأكثر من مرة بين خمسينات وسبعينات القرن التاسع عشر. ولعل أبرز ظهور له على الركح كان عندما استجاب لدعوة السلطة المركزية لمساعدة المحلة التي قدمت إلى نفزاوة في خريف 1857 لملاحقة الثائر الطرابلسي غومة المحمودي. وبالفعل التحق بها عند محاصرتها لبلدة قبلي ومعه "بعض خيل وترس" كما ورد في تقرير محمد خزندار. والأهم من ذلك أنه تقدم لشراء واحة قبلي عندما عرضتها المحلة للبيع بالإشهار العلني، ملتزما بمفرده بدفع مائة وخمسة وعشرين ألف ريال صغرى، غير أنه ما فتئ أن اقتسم تلك الواحة مع كل من أهالي القلعة والجمنيين مكتفيا منها بالربع. هل كان ذلك لعجزه على تسديد المبلغ بمفرده أم إشراكا لغيره في الغنيمة والمسؤولية؟ قد يكون هذا وذاك معا. وعلى أية حال يبدو أن وجوده على رأس وطن تلمين اهتز بعد ذلك، عندما حاول أن يدعم مكانته لدى السلطة بالاجتهاد في جمع أكثر ما يمكن من الضرائب مستعملا القوة والعنف حتى أن أهالي أم الصمعة اشتكوا في أوت 1858 من أنه هجم في مائتي تراس على بلدتهم وأسفر عن ذلك الهجوم مقتل اثنين منهم. وربما لذلك السبب وقع عزله في ربيع 1859 وتعويضه بعلي بن الآغا. ورغم ذلك فإنه لم ييأس من العودة إلى منصبه، إذ نراه قد حرك تلمين والجديدة ضد علي بن الآغا ثم ضد خلفه أحمد بن البراق سنة 1860/1277. حتى آل الأمر إلى نزاع مسلح انتهى بقتل الخليفة بن البراق، وبعدما دعي محمد بن الحبيب إلى تونس بتهمة الوقوف وراء المحرضين سمي من جديد خليفة على تلمين، غير أنه لم يستمر طويلا حيث عزل من جديد ثم سمي بعد عام واحد ليستمر على رأس وطن تلمين إلى سنة 1873. ففي هذه السنة رأت السلطة المركزية أن توحد نفزاوة إداريا في محاولة منها الحد من الصراعات بين صفي يوسف وشداد، وأقرت عليها الخليفة أحمد بن

بلقاسم، فوجد محمد بن الحبيب نفسه خارج اللعبة. ثم وقعت محاسبته من قبل أحمد بن بلقاسم وهو ما أسفر عن القرار بمصادرة أملاكه وبيعها بالمزاد العلني. كما أنه سجن من ربيع 1873 إلى ديسمبر 1874 حيث أطلق سراحه بضمان من أعيان تلمين. عمل بعد ذلك على استرداد أملاكه بالتردد على العاصمة. كما استغل تورط الخليفة أحمد بن بلقاسم في أحداث بلدة جمنة سنة 1879 ليتحرك ضده ويؤلب الرأي العام عليه. أما أخوه محمود فقد كان آنذاك سجينا إلا أنه لم يبلغ مكانته هو، وإنما أقصى ما بلغه أن عين شيخا على بلدة الجديدة، وهو المنصب الذي تجدد له في العهد الاستعماري.

ابن أبي الجعد، عبد الملك (القرن 2هـ/8م.) : أحد قادة قبيلة ورفجومة النفزاوية، وهو الذي تولى القيروان بعد سيطرة قبيلته عليها واستطاع بعد مقتل عاصم بن جميل أن ينفرد بقيادتها وبقيادة المذهب الصفري معا. وتمكن من صد الهجوم الذي شنه حبيب بن عبد الرحمن على القيروان. غير أن المصادر السنية والإباضية اتهمته بسلوك سياسة شدة إزاء أهلها، واتخذ الإباضية ذلك ذريعة للتدخل قصد الحد من النفوذ الصفري. فوقعت أول مواجهة بين المذهبين سنة 141هـ/759م. انتهت بمقتل عبد الملك بن أبي الجعد وهزيمة نفزاوة الصفرية. (الشماخي، 112)

ابن أبي زيد، أبو محمد عبد الله (310-386هـ/922-996م): فقيه مالكي دشن العصر الذهبي للفقه بإفريقية، وقد سمي بمالك الصغير. ولد بالقيروان وتوفي بها ومن هنا حمل لقب القيرواني، ولكن عددا من المؤرخين قديما وحديثا يرجعون نسبته إلى نفزاوة، ومن بين القدامى ابن خلدون، ومن المحدثين الهادي إدريس والهادي الدرقاش اللذين دحضا ما ذهب إليه ياقوت في معجم البلدان من أن ابن أبي زيد ينحدر من منطقة شاطبة بالأندلس، ولا يستبعد الدرقاش أن يكون أحد أجداد ابن أبي زيد قد ارتحل إلى القيروان من نفزاوة لغرض التعلم فاستقر بها، وكون ما عرف فيما بعد بأسرة النفزاوي أولا والقيرواني ثانيا. درس ابن أبي زيد بالقيروان، وشغف بالفقه، وحفظ الموطأ وهو ابن خمس عشرة سنة. ومن مشائخه أبو العرب التميمي وابن اللباد، وتخرج على يديه الكثيرون. وقد ألف عشرات الكتب والرسائل ذات المواضيع المختلفة أشهرها : **الرسالة في الفقه المالكي** و**العقيدة السنية**. (إدريس، ص 718-720، ابن خلدون، ج 6، ص 106؛ الدرقاش، ص 98-100).

ابن جميل، عاصم (القرن 2هـ/8م.) : زعيم قبيلة ورفجومة في ثلاثينات القرن 2هـ/8م، استجار به عبد الوارث بن حبيب أحد الفهريين الذين كانوا يتصارعون على السلطة بالقيروان، فأجاره. ولكنه طمح في أن يلعب دورا أكبر من ذلك، فتحالف مع يزيد بن سكوم أمير قبيلة ولهاصة. وزحفت جموع نفزاوة على القيروان سنة 140هـ/758م، وتمكنت من دخولها بعد أن فر عنها واليها حبيب بن عبد الرحمن إلى قابس، فتبعه عاصم وهزمه بها ثم لاحقه إلى الأوراس، ولكن عاصما انهزم أخيرا وقتل هناك. (ابن خلدون، ج6، ص 111-112)

ابن زياد، طارق (القرن 1هـ/7-8م.) : فاتح الأندلس. هو طارق بن زياد بن عبد الله بن ولغو بن ورفجوم بن نبرغاسن بن ولهاص بن يطوفت بن نفزاو، فهو إذن ينتسب إلى قبيلة ورفجومة النفزاوية، وقد ذكر ابن عذاري أنه من سبي البربر، وأنه مولى لموسى بن نصير والي إفريقية. غير أن الاسم العربي الذي يحمله قد يدل على أن إسلامه سابق لمجيء هذا الوالي. وفي سنة 85هـ كان ضمن الجيش المتوجه نحو المغرب الأقصى لفتحه، ولعله كان آنذاك أحد أبرز قواده مما رشحه لأن يعين عاملا على طنجة حيث بقي معه عدة آلاف من العرب والبربر. ومن طنجة استطاع طارق أن يطلع على حالة الأندلس وربما استعان في ذلك بأحد الأمراء الإسبان، فاجتاز إليها سنة 92هـ/711م وفتح أهم مدائنها وخاصة منها قرطبة ومالقة وغرناطة ومرسية وطليطلة وإشبيلية، مما جعل نجمه يعلو على مولاه موسى بن نصير الذي التحق بدوره بالأندلس سنة 93هـ/712م. ولم يكن اللقاء بين الرجلين وديا فبينما خرج طارق معظما ومبادرا للطاعة، أبدى له موسى الغضب "وقيل إنه وضع السوط على رأسه، وقيل إنه ضربه أسواطا كثيرة وحلق رأسه" ؛ لكن يبدو أن طارقا لم يرد على تلك الإهانة. وفي سنة 95هـ/714م، تدخلت سلطة دمشق لتستدعي القائدين، وقد سخط سليمان بن عبد الملك الخليفة الأموي على موسى بن نصير، أما طارق بن زياد فقد خبا ذكره وربما يكون قد توفي في نهاية القرن 1هـ أو بداية القرن 2هـ.(ابن عذاري، ج 1، ص 43، وكذلك الجزء 2، ص5، 9-16).

ابن نصير أو **ابن نصر، صالح (القرن 2هـ/8م.)** : زعيم قبيلة ورفجومة، أعلن الثورة سنة 161هـ/778م، فأرسلت القيروان لمقاومته جيشا ضم عشرة آلاف زحفوا

على القبيلة الصفرية وألحقوا بها هزيمة ساحقة حتى "ركدت ريح الخوارج من البربر من إفريقية وتداعت بدعهم إلى الاضمحلال". (ابن عذاري، ص 113 و115)

إبنس : تحتل هذه القرية موضعا مرتفعا غير بعيد عن قرية القطعاية، وهي تنسب إلى جمع من الأولياء (أولاد بالأحمر). اعتبرها بيشفال سنة 1889 متوسطة الأهمية. غير أنها من خلال الدفاتر الجبائية لم تكن كذلك، حيث لم يكن بها سنة 1852 غير 372 نخلة وتطور ذلك إلى الضعف بعد عشر سنوات، وفي مقابل هذا التطور انخفض عدد أصول الزيتون في نفس الفترة من 406 إلى 226، وتراجع ترتيبها بذلك في نفزاوة من الرتبة الثالثة بعد بلدتي بوعبد الله وتنبيب إلى الرتبة الثامنة. أما إداريا فقد كان يشرف عليها شيخ وكانت تابعة إلى وطن شداد. هجرها أهلها في القرن العشرين ليستقروا بمدينة قبلي، دون أن يقطعوا علاقاتهم بها حيث يترددون عليها للفلاحة ولزيارة أضرحة أوليائهم (أ.و.ت، دفتر 1681 ؛ بنبلغيث، 2001، بيشفال 1889).

أبو داود القبلي النفزاوي (القرن 2هـ/8م.) : فقيه من نفزاوة، تلقى مبادىء الإباضية عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة بالبصرة، إذ توجه إليها ضمن البعثة الأولى التي ضمت خمسة طلبة تسميهم المصادر الإباضية بحملة العلم الخمسة. وقد بقوا بالمشرق بين 135 و140هـ. وبعد عودتهم مال ثلاثة منهم إلى العمل السياسي إذ أعلن أبو الخطاب المعافري سنة 140هـ إمامة الظهور بطرابلس، ومات عاصم السدراتي في حصار القيروان سنة 141هـ، وأسس عبد الرحمن بن رستم الدولة التي حملت اسمه سنة 160هـ، بينما توجه أبو داود القبلي إلى العمل الدعوي. ولعله استقر بطرة عاصمة نفزاوة حتى أصبح "شيخا مشهورا" كما يقول الشماخي و"أُخِذ عنه وكان الإمام عبد الوهاب مع كثرة علمه إذا جلس بين يديه كالصبي أمام المعلم". وقد ساهم أبو داود فيما يبدو في تحويل نفزاوة من المذهب الصفري إلى المذهب الإباضي وهيأها بالتالي لأن تكون موالية للدولة الرستمية. ويبدو أنه توفي في النصف الثاني من القرن الثاني هـ (الشماخي، ص 51).

أبو زرجونة (القرن 2هـ/8م.) : زعيم قبيلة ورفجومة في أواسط القرن 2هـ، نزلت قبيلته سنة 151هـ مدينة طبنة التي اختطها والي القيروان عمر بن حفص. ولم تنس ورفجومة فيما يبدو هزيمتها أمام الإباضية فناصرت الوالي العباسي ضد عبد الرحمن بن رستم لكنّها ثارت سنة 157هـ/774م بقيادة أبي زرجونة الذي نجح في

البداية في التصدي للجيش الذي أرسلته القيروان، فتكون جيش ثان قاده العلاء بن سعيد بن مروان المهلبي تمكن من إخماد الثورة وخسرت ورفجومة أعدادا هائلة من أبنائها (الشماخي، ص 115).

استفطيمي : هي قرية صغيرة كانت تسمى أيضا زاوية استفطيمي وتوجد على الطريق المؤدي إلى سهلي الشارب والسقي، وكانت ملحقة إداريا ببلدة المنشية. يوجد بها حمام استشفائي يقصده الناس من مختلف قرى نفزاوة. كانت واحتها في أواسط القرن التاسع عشر صغيرة إذ لم يكن بها سنة 1852 غير 676 نخلة، ويبدو أن هذا الرقم لم يكن دقيقا حيث نجد بها حسب الدفتر الجبائي المؤرخ سنة 1862 : 2510 نخلة.

الأسود، إبراهيم: هو قصاص تونسي معاصر، ولد ببلدة قبلي سنة 1942 وتوفي بالعاصمة يوم 14 جويلية 2007 ودفن بمقبرة الجلاز. درس بالفرع الزيتوني بقبلي ثم واصله بتونس العاصمة. التحق بعد ذلك بوزارة التربية ليعمل بالمعاهد الثانوية. برز في المجال الثقافي حيث نشط خلال وجوده بالعاصمة في نادي القصة، ثم أسس بعد عودته إلى قبلي "نادي الفكر" الذي استمر وجوده بين أواسط السبعينات وسنة 1989، وأشرف في إطاره على مجلة **أضواء** الفكرية الثقافية، ونشر مجموعة قصصية عنوانها "أحلام بحار متعب"، تونس 1988.

أم الصمعة : إحدى قرى شبه الجزيرة. كانت تتموضع على أحد تلال جبل طباقة غير بعيد عن موضعها الحالي المنبسط. وهي بذلك تشرف على الطريق الرابط بين نفزاوة والجريد. وتمتد واحتها عند سفح الجبل مستفيدة من مياه العيون الطبيعية، وفي القرن التاسع عشر كانت بها عين واحدة، ثم انفجرت في السبعينات عينان أخريان قضتا على العين الأولى، ولكنهما سمحتا بتوسيع الواحة. أما تاريخيا فقد وجدت بها آثار تعود إلى العهد الروماني، وقد رأى تيسو أنها هي نفسها المركز العسكري تريس تماليني الوارد ذكره في مسلك أنطونينوس. وفي القرن 11هـ/17م نزحت إليها أعداد هامة من سكان جمنة واتخذوها موطنا لهم. وفي القرن التاسع عشر كانت تقطنها إلى جانبهم مجموعات بشرية أخرى هي المجابرة والسماعلة والمهاملة والشواشين، وكانت طبقا لدفاتر المجبى تعد سنة 1278هـ/ 1861 ما مجموعه 54 من الخاضعين للمجبى أي حوالي 6.08% بالنسبة لمجموع نفزاوة، وهي نسبة تفوت بكثير ما يعود

إلى القرية من نخيل إذ لم تكن تعد آنذاك غير 3342 نخلـــة أي 2.43% مـــن نخيـــل نفزاوة. كانت أم الصمعة خلال القرن التاسع عشر عرضـــة للعديـــد مـــن عمليـــات التخريب، من ذلك أن خليفة تلمين محمد الحبيب السوداني شن عليها في جوان 1859 هجوما أسفر عن قتلى وجرحى. وفي أفريل 1879 فر أهلها أمام الهجوم الذي كـــان يقوده مَحمد المرابط أمير أمراء عساكر القيروان والمكـــلف بالجريد. وفي 2 أفريـــل 1882، تعرضت البلدة إلى التخريب من قبل القوات العسكرية الفرنسية بقيادة الجنرال فيلبار، وكان عدد من أهلها قد هاجروا إلى طرابلس رفضا منهم لانتصـــاب الحمايـــة الفرنسية على تونس. خلال العهد الاستعماري اشتهرت أم الصمعة بما كانت تنســـجه نساؤها من برانس. وظهر بها الشاعر الشعبي منصور الحلفاوي (تروســـي، ص 41 ؛ مورو، ص 119 ؛ ضيف الله، 2005، ص 69-70+ 77-78).

أولاد بلوم : هم حسب أسطورة تأسيس قبلي أبناء محمد بلوم حفيد عبـــد الله بـــن بوزيد المحمودي. قدم هذا الأخير إلى نفزاوة من طرابلس في أواسط القـــرن العاشـــر هـــ/16 م، إذ أرسله الوالي العثماني بطرابلس إلى نفزاوة ليضبط أمورهـــا ويضـــمن تبعيتها إلى طرابلس. وقد استقر في بداية أمره ببلدة بشري، ثم انتقل إلى قبلي وربمـــا ولد في هذه الفترة حفيده للابن محمد بلوم الذي تذكر إحدى الوثائق المكتوبة أنه تولى شؤون البلدة بعد أبيه لمدة أربعين سنة تمتد بين 1010 و1050هـــ/1601 و1640م. وقد وصف في نفس الوثيقة بأنه "كان حاكما عادلا من أهل السياسة زاهدا في الـــدنيا"، بما يجعله جديرا بأن يكون جدا ترجع إليه عروش البلدة، وتضيف الوثيقة بأنه "خلـــف ثلاثة بنين بنور وإبراهيم ومنصور"، ومنهم انحدرت عروش قبلـــي الأربعـــة، وهـــي المناصرة والدراولة والخوالدية والسوايفة وينحدر من المناصرة القواســـمة. غيـــر أن الملفت للنظر أن لا أحد من تلك العروش يحمل لقب بلـــوم، ثـــم أن بعـــض الألقـــاب الموجودة بقبلي حاليا والتي تعتبر من أولاد بلوم تتطابق مع أســـماء بعـــض عشـــائر المحاميد بليبيا (المنتصر، الفيتوري، سيف النصر، مرسيط ...)، وهو ما يجعلنا نشكك في تاريخية محمد بلوم، وإنما هو أقرب إلى الأسطورة التـــي اختلقـــت بهـــدف ملـــط المهاجرين الطرابلسيين بملاط العلاقة الدموية والقرابية. ومهما يكن من أمر فقد سيطر أولاد بلوم على بلدة قبلي منذ القرن السادس عشر، وكان لهم في القرن التاسع عشـــر ميعادهم الذي يمكن اعتباره الأهم بنفزاوة آنذاك حيث كان يجتمع كلما دعت الضرورة

إلى ذلك ويقوم بترشيح من يرونه مناسبا ليصبح خليفة على وطن شداد، فضلا عن ترشيح من يرونه مناسبا لمشيخة البلدة. كما لعب هذا الميعاد دورا هاما بعد عام 1274-1857 في التأثير على السلطة المركزية للإذن لأهل قبلي باسترداد واحتهم. غير أن دور ميعاد أولاد بلوم تقلص بعد تولي أحمد بن بلقاسم الذي كان يميل إلى الانفراد بالرأي، ووقع القضاء نهائيا عليه بعد الاحتلال (ضيف الله، 2005).

أولاد بوبْكِر أو **أولاد بوكر:** هم أحد عروش أولا يعقوب، جدهم الأعلى -طبقا لشجرة نسبهم- هو علي بن سلطان المتوفى سنة 1720. وقد تولوا الرياسة في أولاد يعقوب، اعتمادا على قوة رجالهم، وغطوا على بقية العروش منذ القرن التاسع عشر. وإليهم ينتسب مَحمد بوعلاق وسعيد بن نصر عامل نفزاوة فيما بين 1898 و1922.

أولاد يعقوب : هم كنفدرالية قبلية، لم يكن يجمع بين عروشها رابط دموي، وهذه العروش هي : أولاد سباع والمكاشرة وأولاد عزيزة، وهو ما يمكن اعتباره النواة الأساسية التي انضم إليها بعد ذلك أولاد ميرة المنحدرون من الهمامة، وأولاد بوبكر والمقارحة القادمون من الأراضي الطرابلسية، ثم عوين المنحدرون من نفات، والمهاملة ذوو الأصول الغامضة. ويضيف البعض إليهم المخالبة والغياليف. كان أولاد يعقوب يقضون أغلب السنة في التنقل والترحال وكانوا يصلون حتى رمادة بأقصى الجنوب ثم يعودون في الخريف إلى نفزاوة حيث كانوا يتخذون من بلدة نقة مركزا رئيسيا لهم كما كانوا يملكون النخيل بغيرها من واحات شبه الجزيرة. غير أن شهرة أولاد يعقوب تعود إلى فروسيتهم وعمليات الغزو والغارات التي كانوا يشنونها بالجنوب وحتى بالجزائر، كما أنهم فرضوا حمايتهم على عدد كبير من القبائل بالجنوب التونسي فضلا عن القرى والعروش الصغيرة بنفزاوة، مقابل أداء نوع من الضريبة. كانت تشق أولا يعقوب عدة اختلافات، وقد طال ذلك حتى انتماءهم الصفي، إذ رغم أنهم عرفوا بانتمائهم إلى صف يوسف، فإن البعض منهم ومن بينهم أولاد سباع والمكاشرة كانوا ينتمون إلى صف شداد. أما عن علاقتهم بالسلطة المركزية في العهد الحسيني، فقد كانوا يعتبرون قبيلة مخزنية إذ كانوا يُدْعَون لتعزيز قوات المحلة مقابل إعفائهم من الضرائب. وقد غلب عليهم هذا التقليد في خدمة السلطة بعد ذلك في العهد الاستعماري، ومن أبرز من نجح في هذا الإطار سعيد بن نصر الذي تولى قيادة نفزاوة لمدة ربع قرن، ثم ابنه نصر الذي تولى القيادة ثم الوزارة. ولا ينفي ذلك أن

بعض أولاد يعقوب اتخذوا موقفا مضادا لانتصاب الحماية الفرنسية بتونس ومن أبرزهم علي بوعلاق الذي قاد آنذاك عددا من أبناء عمومته إلى طرابلس وشنوا من هناك بعض الغارات على من اعتبر خاضعا "لحكم الكفار" (ضيف الله، 2005؛ مورو، ص 118).

باب ارتينة : أحد الأبواب الخمسة لبلدة قبلي، يفتح باتجاه الغرب بحيث ينتهي فيه الطريق المؤدي إلى القرى الغربية بنفزاوة بدءا من قرية بشلي. توجد قرب هذا الباب زاوية سيدي بنعيسى حتى نكأن وجودها في هذا الموقع من البلدة يذكر بأصل ذلك الولي المغربي. كما ارتبط بهذا الباب اسم معلم آخر هو مسجد بالرتينة الذي كان يحتل آنذاك المرتبة الثالثة بين مساجد قبلي، وقد بلغ عدد النخيل المحبسة عليه 219 سنة 1862 (ضيف الله 2005).

باب البودي : أحد الأبواب الخمسة لبلدة قبلي، يقال إنه سمي باسم أحد حراسه، ويفتح هذا الباب باتجاه الشرق. وكانت توجد بالقرب منه زاوية سيدي عبد القادر الجيلاني التي يذكر وجودها في هذا الاتجاه بالأصل الشرقي لهذا الولي، كما أن سيدي عبد القادر يبدو من خلال موقع زاويته وكأنه أحد حراس البلدة وحاميها. ارتبط بهذا الباب اسم الساقية القريبة منه والتي تمر مياهها باتجاه القسم الغربي من الواحة. وربما أعطي لهذا الباب أكثر أهمية بسبب أهمية الطريق التي تنطلق منه باتجاه الشرق، ثم لقربه من سكنى عروش أولاد بلوم.

باب الزاوية : هو أحد الأبواب الخمسة لبلدة قبلي وكان يفتح على الجهة الشمالية حيث ينفذ منه على الطريق الذي يربط قبلي بالواحات الشمالية لنفزاوة ومنها ببلاد الجريد. توجد بالقرب من هذا الباب زاوية سيدي علي بدر الدين، وكأن هذا الولي حينئذ يتولى حراسة البلدة من هذه الجهة.

باب السوق : كان هذا الباب يفتح على الجهة الجنوبية لبلدة قبلي أي باتجاه قرى الشارع بدءا من الرحمات وبازمة وصولا إلى دوز.

باب الشباك : كان هذا الباب يفتح على الجهة الشمالية الغربية لبلدة قبلي بما يسهل على الفلاحين العودة إليها أو الخروج منها باتجاه بساتينهم. وكانت ترتبط به بعض معالم البلدة وأهمها جامع الشباك وهو ثاني جامع بها، وكان عدد النخيل المحبس عليه

سنة 1862 : 332؛ كما تحمل اسم باب الشباك الساقية القريبة منه والتي يمر منها الماء إلى القسم الغربي من الواحة.

باب الشواشين : هو أحد ثلاثة أبواب لبلدة المنشية، وكان يفتح باتجاه الجنوب شأنه في ذلك شأن البابين الآخرين باب الظواهرية وباب أولاد المري، في حين لم يكن للبلدة باب على الجهة الشمالية حيث تمتد واحتها، وذلك من شأنه أن يدعم مناعة البلدة من هذه الناحية. في حين يتدعم دور السور بجبل حلوص من الناحية الجنوبية، فلا يضر فتح الأبواب نحو الجنوب، خاصة وأنها تمكن البلدة من الإشراف على الطريق المحوري الذي يربط نفزاوة بالجريد.

باب الظواهرية : هو أحد الأبواب الثلاثة لبلدة المنشية، كان يفتح باتجاه جبل حلوص الذي توجد البلدة على سفحه الشمالي، والذي يمر قرب سفحه الجنوبي الطريق الذي يشق نفزاوة ثم الشط في اتجاه بلاد الجريد. ولا شك أن هذه الأبواب تمكن المنشية من مراقبة الحركة بذلك الطريق.

باب أولاد المري : هو أحد ثلاثة أبواب لبلدة المنشية، يفتح باتجاه الجنوب أي نحو جبل حلوص الذي تقع البلدة على سفحه الشمالي. وقد أطلق عليه اسم أحد عروش العروش الثلاثة للبلدة (أولاد المري) ربما لقرب سكناهم منه واستعمالهم له في الخروج والدخول إلى البلدة التي كانت مسورة.

بازمة : كانت هذه القرية تحتل ربوة تمكن من مراقبة ما يحيط بها ويعطيها بالتالي دورا دفاعيا. كان يحيط ببازمة حتى النصف الثاني من القرن 13هـ/19م سور وخندق لحمايتها من الهجومات الخارجية، وتذكّر مرفولوجيتها ببلدة قبلي المعاصرة لها إذ كانت طرقاتها ضيقة جدا. أما ثروتها المائية فلم تكن هامة، مما جعل واحتها محدودة المساحة. أما من حيث الموقع فقد كانت بازمة تحتل موقعا استراتيجيا باعتبارها آخر قرى نفزاوة على الطريق المؤدية إلى قابس والتي تمر بجنوب جبل طباقة، فكانت تلتقي عندها الطريق التي تربط قرى جنوب نفزاوة وغربها بالطريق القادمة من شبه الجزيرة. ولعل هذه الأهمية هي التي جعلت السلطات الإستعمارية تهيئ بشرقيها ميدانا لهبوط الطائرات كما ركز بها الكولونيل بوجا Pujat مشروعا لتربية النعام، غير أن تغير الطريق إلى شمال جبل طباقة قضى على نقاط القوة في

موقع هذه البلدة. اختلف في انتماء هذه البلدة إذ اعتبرها نانسي وديمبروجيو ضمن صف شداد غير أن الدفاتر الجبائية تصنفها ضمن يوسف. في سنة 1852 كانت بواحتها 2374 نخلة وتطور هذا العدد ليصل سنة 1862 إلى 3905 إلا أننا نعتقد أن جانبا من هذه الزيادة يعود إلى إحكام الإحصاء الثاني أكثر منه إلى توسع حقيقي للواحة خلال العشر سنوات. إلا أن ما يثير الانتباه هو أن بازمة كانت تتصدر وطن يوسف من حيث عدد أصول الزيتون بـ326 سنة 1852 و476 سنة 1862 وهو ما أدى إلى إقامة معصرة للزيتون بها. من ناحية أخرى كانت هذه البلدة تؤدي ضريبة إلى بني زيد (غيران، ص 240-241؛ مارتال، ص 86 ؛ أوجياس، ص 43 ؛ الشيباني، ص 240 وما بعدها ؛ ضيف الله 2000).

البازمي، بلقاسم (1923-1954): ينحدر من وسط اجتماعي متواضع. أسس شعبة بازمة سنة 1950 وتولى رئاستها، ثم التحق بالثورة المسلحة ضد الاستعمار منذ انطلاقتها في جانفي 1952 صحبة والده أحمد بن بلقاسم البازمي. وشارك في عدة عمليات ومعارك ضد القوات الفرنسية في الجنوب ومن أهمها معركة العيدودي قرب الحامة في أوت 1953. ثم انتقل إلى شمال البلاد حيث نشط بجهة الكاف إلى أن استشهد في أواخر أكتوبر 1954. أما والده فقد سلم نفسه إلى مكتب الشؤون الأهلية في بداية سنة 1953 (عميرة، **المقاومة الشعبية**، ص 144 ؛ شهادة البشير القريوي ؛ **الزهرة**، 6 فيفري 1953).

بدر الدين، علي : هو أحد أولياء بلدة قبلي يتخذه عرش التبابسة جدا لهم، وهو الولي المحلي الوحيد ممن أقيمت لهم زوايا بقبلي، ويمكن اعتباره من هذه الناحية سلطانا للبلدة. تقع زاوية سيدي علي بدر الدين قرب باب الزاوية الذي يفتح باتجاه الشمال، بما يذكر بانحداره من بلاد الجريد. ولا شك أن لموقع الزاوية قرب الباب دور رمزي يتمثل في حراسة البلدة من هذا الجانب. كما أن مساكن التبابسة كانت مجاورة للزاوية من الناحيتين الغربية والجنوبية، وفي الناحية الشمالية توجد لهم تربة بدون قبور، وكأنهم في حمايته أحياء وأمواتا. كان يرتبط بزاوية سيدي علي بدر الدين مسجد صغير يسمى جامع الزاوية أو جامع التبابسة، وقد كانت محبسة عليه بعض النخلات بواحة قبلي.

البرغوثي، أحمد، شاعر شعبي شهير. ولد أحمد بن محمد بن سالم البرغوثي سنة 1296هـ/1879م في قرية البرغوثية ذات الواحة المحدودة مما جعل أهلها يتجهون نحو حفظ القرآن والاشتغال بالتعليم والميل إلى قول الشعر، وقد أشعوا بذلك على كامل نفزاوة. وقد لازم أحمد البرغوثي كتاب القرية لحفظ القرآن على يدي مؤدب جريدي، وقال الشعر منذ وقت مبكر ولا غرو في ذلك فهو ابن شاعر كبير هو حمد بن سالم الذي كان إماما وعدلا موثقا بقبلي وكاتبا خاصا لكاهية نفزاوة أحمد بن بلقاسم بن حمادي الذي كان يقول الشعر أيضا ويحبه. فقد عاش أحمد البرغوثي إذن في بيئة شعرية وتعرف في إطارها على نجل الكاهية الشاعر محمد الغراب فربطت بينهما الصداقة الحميمة ونظم الشعر. لكن في أثناء ذلك، انتقلت عائلة حمد بن سالم إلى الحامة حيث استقرت لمدة سنوات وتفرغ أبناؤها ومن بينهم شاعرنا للدراسة بزاوية سيدي علي الصيد ثم قصد جامع الزيتونة، وبعد مدة وجيزة عاد ليستقر بالغريبة حيث اشتغل مؤدبا للصبيان على عادة أبناء بلدته. وقد سمح له مستقره الجديد بذيوع صيته وانتشار شعره في تلك الربوع. وبعد سنوات عاد أحمد البرغوثي إلى قبلي، واشتغل كاتبا بإدارة عمل نفزاوة كما عمل خياطا إلى أن توفي في 7 جويلية 1933. إن شعر أحمد البرغوثي شاهد على عصره، وقد لعب دورا هاما في مجتمع لم تبلغه بعد وسائل الإعلام المختلفة فحفظته الجماهير، وتجاوز صداه المنطقة إلى بقية مناطق البلاد وحتى خارجها وما ذلك في الحقيقة إلا دليل على الأبعاد الإنسانية التي عبر عنها بصدق وإبداع منطلقا من بيئته المحلية. وقد اهتم البرغوثي في شعره برسم ملامح الطبيعة ووصف الإبل والخيل كما كتب روائع الشعر الغزلي واهتم بذكر الأحداث والتشكي من تقلبات الزمن وكانت مراسلاته الشعرية مع والده حمد بن سالم والشاعر منصور اللطيفي المهذبي ومساجلاته مع محمد غراب دليلا على مقدرة بلاغية فائقة.
(ابن سوف (الهاشمي)، "من أعلام المنطقة الشاعر الشعبي أحمد البرغوثي"، في، **أضواء**، ع 2، 1975، ص 31-45 ؛ "من أعلام المنطقة الشاعر الشعبي محمد الغراب"، في، **أضواء**، ع 3، 1976، ص 45 ؛ ابن سالم (المهدي)، "الجوانب الخفية في شعر أحمد البرغوثي"، محاضرة مخطوطة في 30 ص. قدمت في ملتقى أحمد البرغوثي للشعر الشعبي (قبلي 1988).

البرغوثية : قرية صغيرة تقع على الطريق الغربي المحاذي لشط الجريد، وكانت بها عين طبيعية وواحة بها 1231 نخلة و187 أصل زيتون سنة 1852 وتطور ذلك سنة 1862 إلى أكثر من ألفي نخلة وأكثر من ثلاثمائة أصل زيتون. كانت هذه البلدة

تابعة إلى وطن شداد، وقد اشتهرت كما ذكر بيشفال سنة 1889 بما كانت تنتجه من برانس، وربما الأهم من ذلك أن أهلها عرفوا باهتمامهم بالتعليم، وكان بعضهم يقصدون لذلك بلاد الجريد ثم يعودون إلى المنطقة فتنتظم حولهم حلقات المتعلمين. وقد اشتهر من بينهم من الفقهاء سالم بن محمد والحاج محمد بن طالب والحاج محمد بن كمالة، ومن الشعراء حمد بن سالم الذي تولى الإمامة والشهادة بقبلي وأحمد البرغوثي الشاعر الشعبي المعروف. وقد تجاوز إشعاع البرغوثية نفزاوة إلى مناطق عديدة بالبلاد التونسية جنوبا وشمالا حيث كان أبناؤها يحفّظون القرآن للناشئة ويعلمونهم مبادئ الدين (أ.و.ت، دفتر 1681 ؛ ضيف الله، 2000، الشيباني 2001، ص 239 ؛ لجنة البحوث التربوية، ص 24، وكذلك : ابن سالم (المهدي)، الجوانب الخفية...).

بشري : أو **بشرى**، أو حتى **بشرة** كما ورد في معجم البلدان لليعقوبي، هي من أهم مدن نفزاوة خلال العهود الإسلامية وإلى بداية العهد الحديث، وقد جاءت أهميتها من موقعها بمدخل شط الجريد وسيطرتها بالتالي على الطريق الرابطة بين نفزاوة وقسطيلية. وخلافا لما يوحي به اسمها ذو الجذر العربي، فإن تأسيسها أسبق فيما يبدو من الفتوحات الإسلامية، إذ يذكر الحميري، في معجمه **الروض المعطار في خبر الأقطار**، بأنها "مدينة مسورة قديمة"، وهي الصفة التي كان يطلقها الجغرافيون العرب على المدن ما قبل الإسلامية. ودون الاطلاع على ذلك المصدر ذهب الضابط العسكري الفرنسي دونو (Donau) إلى أن الاسم القديم لبشري هو (Ad Templum). غير أن هذا الاسم اللاتيني الذي يحيل إلى رموز سابقة للدين الجديد استبدل باسمها الحالي الذي يحمل معاني الفرح والسرور. وربما أطلقه عليها العابرون لشط الجريد الذي أطنب الرحالة العرب في وصف ما يحف بعبوره من أخطار. فتراهم يستبشرون بسلامتهم بمجرد مشاهدتهم لمدينة بشري وواحتها الممتدة المحاذية لذلك الشط. وعلى أية حال فقد أصبحت بشري في العهود الإسلامية -على الأقل في القرن 3هـ/9م- المدينة العظمى بنفزاوة، وكان ينزل بها العمال، ويذكر اليعقوبي بأن سكانها "قوم من الأفارقة القدم ومن البربر"، ينحدرون ولا شك من قبيلة نفزاوة ولذلك أطلق البكري على هذه المدينة اسم تلك القبيلة. ويذكر ابن حوقل والحميري أن بشري كانت مسورة، أما البكري فيذكر أن لها سور صخر وطوب ولها ستة أبواب وبها جامع وحواليها عيون كثيرة، ويضيف ياقوت الحموي إلى ذلك الحمام والأسواق الحافلة. وبالتالي

توفرت فيها كل مقومات المدينة العربية الإسلامية. لكن يبدو أن بشري قد تعرضت منذ النصف الثاني من القرن 6هـ/12م إلى التراجع شأنها في ذلك شأن بلدة طرة بوسط نفزاوة، إذ امتدت إليهما العمليات العسكرية حتى أنه دفن ببشري في النصف الأول من القرن 8هـ/14م أحد قادة الجيش الحفصي. وعندما زارها التجاني لاحظ أنها مجرد قرية أضخم من جميع ما قبلها من قرى نفزاوة وأصبح اقتصادها يرتكز أساسا على القطاع الفلاحي، إذ كانت تنتج التمور وغيرها من الثمار مثل السفرجل والإجاص، ولم يشر ذلك الرحالة إلى توفر أي عنصر من مقومات المدينة ومن بينها السوق. ورغم أنها كانت في القرن 10هـ/16م مسورة ويقطنها عدد هام من السكان، فإن الحياة القروية قد طغت عليها تماما وكان سكانها –حسب دي مرمول– يرزحون تحت الضرائب المشطة وهو ما أثر على دورها الإداري وانتقلت عاصمة نفزاوة إلى داخل المنطقة لتصبح أقرب من كل القرى وبقيت كذلك إلى حد الآن (ابن خلدون، ج 7، ص 373 ؛ التجاني، ص 153-154 ؛ دي مارمول، ج2، ص 38-39 ؛ الحميري، ص 118 ؛ اليعقوبي، ص 102 ؛ ابن حوقل، ص 92 ؛ البكري، ص 92 ؛ ياقوت الحموي، ص 1736).

بشلي : إحدى قرى الشارع تقع غربي بلدة قبلي. كانت تابعة إلى وطن يوسف. وكانت بواحتها سنة 1862 أقل من أربعة آلاف نخلة وهي بذلك أهم واحة على الطريق الغربي، كما كانت تحتل المرتبة الثانية في وطن يوسف من حيث عدد أصول الزيتون، بـ260 سنة 1852 و366 بعد ذلك بعشر سنوات.

بشني : قرية تقع جنوب شط الجريد غير بعيد عن مدينة درجين التاريخية، استحدثت في ثمانينات القرن العشرين وكانت قبل ذلك مجرد "زيرة" صغيرة بها بعض النخلات البعلية، غير أن واحة عصرية نشأت قربها بعد أن تم حفر بئر ارتوازية، وتكون حولها تجمع سكني جهز بعد ذلك بمدرسة ابتدائية.

البلوطي، منذر بن سعيد (273-355هـ/887-966م) : قاضي قرطبة. ينحدر من ظواعن ولهاصة النفزاوية وبالذات من بطن سوماتة. وقد اعتبره ابن خلدون أحد ستة اشتهروا بالعلم في البربر. نشأ بالأندلس ودرس بها لمدة قصيرة ثم اتجه نحو المشرق حيث بقي أكثر من ثلاث سنوات ألمّ فيها بالأصول وأوجه اختلاف العلماء فيها. وعاد بعد ذلك إلى الأندلس واشتهر أمره حتى ولي قضاء ماردة ثم الثغور الشرقية، وأصبح من أشهر الفقهاء، ولذلك حضر الاستقبال الذي أقامه عبد الرحمن

الناصر لسفراء بيزنطة سنة 338هـ/949م، ولما عجز العالم البغدادي أبو علي القالي عن إلقاء خطاب في ذلك الجمع، ارتجل منذر بن سعيد بدلا عنه خطابا علا به نجمه واشتهر به صيته، فولاه الناصر الصلاة والخطابة في المسجد الجامع بالزهراء، ثم عينه قاضيا للجماعة بقرطبة بعد وفاة القاضي محمد بن عبد الرحمن بن أبي عيسى، وبقي في هذا المنصب إلى عهد المستنصر. وقد عرف كيف يستغل مكانته في توجيه الحاكم ونقده، كما أنه تعزى إليه المكانة التي أصبح يحتلها قاضي الجماعة باعتباره أكبر شيوخ عصره. وكان منذر بن سعيد إذا جلس للقضاء قضى بمذهب الإمام مالك المذهب الرسمي للدولة، ولكنه إذا جلس للتدريس بدا متحررا من هذا المذهب بل قد قيل إنه من المؤيدين لابن مسرة في معظم آرائه، وابن مسرة هذا كان يميل إلى الاعتزال، ولذلك قال فيه ابن الفرضي إنه "كان بصيرا بالجدل منحرفا إلى مذاهب أصحاب الكلام لَهِجًا بالاحتجاج". ومع علمه ومكانته اشتهر منذر بن سعيد بدعابته وخفة روحه (ابن خلدون، ج 6، ص 105-106 ؛ حسين (محمد الخضر)، ص 84-85 ؛ مؤنس (حسين)، ص 70-72 ؛ راضي (علي محمد)، الأ ص 53-55. ابن عذاري، ج2، ص 250).

البليدات : إحدى القرى الغربية لنفزاوة، توجد على الطريق الذي يمر جنوبي شط الجريد. وقد اتخذت لها موضعا مرتفعا حول عين طبيعية ضعيفة المنسوب، وتحيط بها مجموعة من "الزير" أو جزر النخل التالية : فاميليا، شرديوش، بن زيتون، برقو. وطبقا للرواية الشفوية فإن هذه الجزر كانت عبارة عن بلدات صغيرة اشتق منها اسم البليدات بعد أن قرر سكانها تجميع قواهم بالسكن إلى جوار بعضهم في الموضع الجديد. إلا أننا نعتقد أن هذه التسمية قد تكون أطلقت على مجموعة من البلدات التي كانت تعود بالنظر إلى شيخ واحد وهي البليدات والجرسين والطويبة، وقد استأثرت أولاها بالتسمية لوجود الشيخ بها، بينما حافظت البلدتان الأخريان على اسميهما. ترجع الروايات الشفوية سكان البليدات إلى أصول مختلفة، بربرية وعربية، محلية ووافدة من كل الاتجاهات، من الساقية الحمراء والبليدة غربا، ومن صرمان بليبيا شرقا، ومن المهاذبة شمالا. وكانت واحتها متواضعة في القرن التاسع عشر إذ لم يكن بها سنة 1862 غير 2321 نخلة و44 أصل زيتون. وهي من أصغر واحات وطن شداد آنذاك ولا شك أن ذلك يعود إلى تواضع منسوب عينها الطبيعية التي كانت تسد نهارا ليتجمع

بها الماء ليوزع على أصحابه ليلا. وكان البعض من ماء هذه العين يوجه إلى جزيرة فاميليا (أ.و.ت، 1681 ؛ ضيف الله، 2005، الشيباني 2001، ميلود، ص 131-132).

بن بلقاسم، أحمد: هو خليفة قبلي ثم نفزاوة قبل الاحتلال وعاملها بعد انتصاب الحماية. ينحدر من المناصرة أحد العروش الأربعة لأولاد بلوم ولد ببلدة قبلي في ثلاثينات القرن التاسع عشر. وكان أخوه حمادي بن بلقاسم خليفة قبلي وهو الذي أجار غومة المحمودي سنة 1857. أما هو فقد سمي في مطلع ستينات القرن التاسع عشر شيخا على قبلي ثم أصبح خليفة لوطن شداد. وفي أفريل 1973 سمي خليفة على نفزاوة بعد توحيدها. وفي فيفري 1876 سمي كاهية وجق الجريد وهو اللقب الذي غلب على اسمه في الذاكرة الشعبية. كانت علاقات متوترة مع الأهالي وخاصة منهم من ينتمون إلى صف يوسف. ومن الأحداث التي جدت في في عهده قدوم المحلة لمعاقبة بلدة جمنة لرفضها الإحصاء، وقد اتهم أحمد بن بلقاسم بتحريض السلطة المركزية على تلك البلدة. عند احتلال المنطقة في ربيع 1882 استقبل أحمد بن بلقاسم القوات الغازية وعبر لها عن استعداده العمل معها. وبالفعل عين عاملا على نفزاوة واستمر في منصبه إلى نوفمبر 1885 إذ وقع عزله ونفي إلى قابس نتيجة كثرة التشكيات التي رفعها الأهالي ضده. لكنه عاد من جديد في جويلية 1895 ليعين عاملا على المهاذبة ثم نقل إلى نفزاوة بنفس خطته رغم موجة من الاحتجاجات المعارضة له. وفي أواسط 1898 عزل من جديد بتهمة الضلوع فيمقتل المركزية دي موريس. وتنحى منذئذ عن المسرح السياسي رغم محاولاته العودة من جديد (ضيف الله، 2006)

بن جمعة النويلي، عمر بن عمر (1336هـ/23 ماي 1918- 28 ماي 2008): مثقف وشاعر وداعية أصيل بلدة نويل، درس على يديه أكثر من جيل بمنطقة نفزاوة وخارجها. حفظ القرآن الكريم بمسقط رأسه، وأتمه بزاوية المحجوب بدوز، ثم انخرط بالتعليم الزيتوني حيث التحق بفرع توزر ثم صفاقس وانقطع عنه سنة 1938. وعاد إلى التعليم الزيتوني من جديد في مطلع الأربعينات ودرس بالعاصمة حتى حصل على الجائزة الأولى سنة 1944. ثم أحرز على شهادة التحصيل وهو ما خول له المشاركة في مناظرة التعليم والنجاح فيها. عمل معلما بعدة مدن خاصة بالجنوب، ثم واصل تعليمه الزيتوني والتحق للتدريس بالتعليم الثانوي ودرس بكل من قبلي ودوز. ساهم في النضال الوطني وفي الحياة الجمعياتية حيث كان من مؤسسي جمعية الطالب النفزاوي

وتولى أمانة مالها سنة 1946. وأسس أول نقابة بقبلي في مارس 1955 وألقي عليه القبض خلال مؤتمرها التأسيسي بما دفع سكان قبلي والقرى المجاورة للتظاهر والاعتصام من أجل إطلاق سراحه وهو ما تم بالفعل. حاضر وسامر وألقى عديد الدروس قبل الاستقلال وبعده في المساجد والنوادي. كما كتب الشعر في مختلف الأغراض وخاصة منها الشعر الوطني والقومي. وله ديوان شعر عنوانه "نبضات" ومخطوط يحمل عنوان "استجلاء البصائر واستصفاء السرائر"، ومجموعة محاضرات وتفسير الجزء الأخير من القرآن الكريم، وجميعها لم تطبع (شهادته الشخصية صيف 2007؛ **الصباح** 13-7-2008، ص 4).

بن سعيد، نصر: هو النجل الأكبر للقايد سعيد بن نصر. ولد بقبلي سنة 1888 وكان والده آنذاك شيخا على بعض عروش أولاد يعقوب. التحق بالمدرسة الفرنسية العربية بقبلي، وبعد أن أحرز على الشهادة الابتدائية تحول إلى العاصمة ليدرس بالمدرسة العلوية ثم بالليسي كارنو، غير أنه لم ينه دراسته، وانخرط في الخدمة العسكرية ثم كان سنة 1911 أول تونسي يتوجه للدراسة بالمدرسة الحربية بسان سير. تخرج بعد سنتين ثم التحق خلال الحرب العالمية الأولى بجبهات القتال إلى جانب القوات الفرنسية. عاد إلى تونس سنة 1919 لكنه فضل التخلي عن الزي العسكري واللحاق بالعمل الإداري، فعين قايدا بقفصة في فيفري 1920 ثم نقل بنفس خطته إلى عدة قيادات أخرى ومن أهمها القيروان وصفاقس، إلى أن تقاعد سنة 1947. ولكنه عاد من جديد إلى الساحة السياسية إذ عين في أوت 1954 وزيرا للتعمير والإسكان في حكومة الطاهر بن عمار التفاوضية وبقي بمنصبه إلى سبتمبر 1955. قام نصر بن سعيد بعدد من الأعمال التي تحسب له من بينها مساعدته على تأسيس الاتحاد العام التونسي للشغل، عندما كان قايدا بصفاقس. وبعد تنحيته أسس جمعية مقاومة الأمية ونشر التعليم بين العروش، وقد تولت إنشاء العديد من المدارس في مناطق مختلفة من البلاد. خبا ذكره بعد الاستقلال إلى أن توفي في فيفري 1973 (ضيف الله، 2005).

بن سليمان العويني، محمد (1898-1983) : مدير الفرع الزيتوني بقبلي. ولد الشيخ محمد بن سليمان العويني حوالي سنة 1898 في قرية فطناسة، وقد مر في طفولته وصباه بوضع عائلي صعب، إذ حدث الطلاق بين والديه ولم يتجاوز بعد سن الخامسة، وبقي ممزقا بين عائلتين جديدتين. وقد حفزته هذه الوضعية لكي يتجه نحو

زاوية سيدي المولدي بالجريد حيث أنهى حفظ القرآن في أقل من سنتين رجع بعدهما إلى موطنه ليشتغل مؤدبا وراعيا للغنم في نفس الوقت، غير أن وضعيته المعيشية والعائلية لم تتحسن عما كانت عليه رغم تجاوزه سن العشرين، فقرر مغادرة نفزاوة نهائيا واتجه نحو الشمال الغربي حيث احتضنه بعض الأعيان وعمل هناك مؤدبا وخياطا. وبعد عشر سنوات سمحت له الظروف بالمغامرة من جديد، إذ التحق بجامع الزيتونة سنة 1930، ومما ساعده على مواصلة الدراسة به تعيينه شيخا لأحد المبيتات الطالبية مع ما يتمتع به من بعض الامتيازات (الأكل والسكن المجاني). وكان في العطلة الصيفية يعود إلى الشمال الغربي ليجمع مؤونة السنة الدراسية الموالية من عمله كمؤدب وخياط. وتواصلت حياته الطالبية على هذا النسق لمدة خمس عشرة سنة تحصل خلالها على شهادة الأهلية (1935) ثم التحصيل (1938) ثم العالمية في القراءات (1941) وأضاف إليها العالمية في العلوم الشرعية (1944)، وبذلك بلغ درجة علمية لم يسبقه إليها أي طالب نفزاوي آخر. وتمكن بعد ذلك من النجاح في مناظرة للتدريس بجامع الزيتونة نفسه. لقد كان الشيخ محمد بن سليمان من المتأثرين بالحركة الإصلاحية وأساسا بالشيخ محمد الطاهر بن عاشور صاحب مشروع إصلاح التعليم بالزيتونة، فاختاره سنة 1949 لتركيز الفرع الزيتوني بقبلي، فتولى إدارته والتدريس به إلى أن أغلق سنة 1961. لقد سمح فتح الفرع الزيتوني بقبلي بالتحاق عدد كبير من الشباب النفزاوي بالتعليم ولم تكن الظروف تسمح لهم بذلك من قبل نظرا لبعد الفروع الزيتونية إذ أن أقربها إلى المنطقة يقع بتوزر وقابس. ويعود الفضل إلى الفرع الزيتوني بقبلي في تخريج عدد كبير من المثقفين والمتعلمين، فنجح بذلك تحت إدارة الشيخ محمد بن سليمان في تحقيق بعض أهداف المشروع الإصلاحي بالمنطقة. وبعد غلق الفرع نقل الشيخ للتدريس بفرع مدنين ثم جرجيس فقبلي إلى أن تقاعد سنة 1970، وقد استمر بعد تعاقده في عقد الحلقات الخاصة التي كان يرشد فيها الناس ثم تفرغ لتدريس القراءات لحفظة القرآن إلى أن توفي في 21 أفريل 1983. تزوج الشيخ محمد بن سليمان وهو في عقده الخامس وأنجب ستة ذكور ومثل ذلك من الإناث (المصدر : نجلاء محمد الأزهر وإبراهيم).

بن لاغة، أحمد بن سليمان: أحد مثقفي الجهة ومن الشغوفين بتاريخها، ينحدر من عائلة ذات نفوذ من قرية المنصورة، وقد لعب جده الحاج علي بن لاغة قبل انتصاب

الحماية، دورا هاما في نفزاوة باعتباره آغة زواوة وقد سمي سنة 1857 خليفة لوطن شداد خلفا للحاج حمادي بن بلقاسم الذي عزل بسبب إجارته لغومة المحمـودي. ولـد أحمد بن لاغة في 19 أوت 1911، وكان أصغر إخوته. التحـق بتـونس العاصـمة للدراسة بجامع الزيتونة، وشارك في التحركات الطالبية التي جدت سنة 1936 وألقـي عليه القبض غداة المظاهرة التي نظمها الطلبة الزيتونيون في فيفـري 1936، وبقـي بالسجن إلى أن انفرجت الأوضاع السياسية بالبلاد بعد شهرين. أحرز علـى شـهادة التحصيل في العلوم سنة 1946، وانخرط في المدرسة التونسية للإدارة سـنة 1949-1950 وفي مدرسة الحقوق التونسية في السنوات الموالية، ووصل إلى السنة الثانيـة، غير أنه لم ينه دراسته في كلا المدرستين. التحق بسلك القيمين حيث عمل بالمدرسـة الزيتونية بقابس في النصف الثاني من الخمسينات، وفي السبعينات عمل قيمـا عامـا داخليا بالمعهد الثانوي بقبلي. ربطته مذ كان طالبا بالعاصمة علاقة جيدة مـع الشـيخ محمد الشاذلي النيفر مدير إدارة المدارس الزيتونية. وساهم بعد التحاقه بالعمل في دعم الثورة الجزائرية. شغف بتاريخ نفزاوة وكان يردد بعض فقراته بالمقاهي والمجـالس، غير أنه لم يكتب شيئا. توفي عام 2005 (من بين المصادر: نجله صبري لاغة).

بن نصر، سعيد: هو سعيد بن نصر بن عبد الصادق بن بوعلاق بن علي بن سلطان، من أولاد بوبكر أحد أهم عروش أولاد يعقوب. ولد ببلدة نقة حوالي سنة 1860، سمي والده لفترة وجيزة خليفة على أولاد يعقوب (بين مارس 1876 و1879). وإلى جانب الوجاهة، ورث سعيد بن نصر الثروة حيث كان من أهم أثرياء أولاد يعقوب إذ كان يملك سنة 1889 منزلا و400 نخلة ومائة زيتونة وثلاثة أفراس و10 من الإبل و200 من الضأن. أما من حيث التكوين فقد كان متعلما بما يكفيه لكي يمسك حساباته بنفسه حسب تعبير بيشفال. لعب مع والده دورا هاما في خضوع المنطقة إلى الاستعمار، ولذلك عين سنة 1884 شيخا على أولاد ميرة وأولاد عزيزة وأولاد بوبكر، واستمر في هذا المنصب إلى ديسمبر 1890، حيث دعي لقيادة مخزن قبلي الذي بعث حديثا آنذاك، برتبة باش شاوش، واستمر في المخزن إلى سنة 1898. وقد نجح آنذاك في العثور والإتيان بجثة الرحالة الفرنسي المركيز دي موراس الذي قتله التوارق بالصحراء في جوان 1896، كما أن علاقاته المتينة مع الضباط الفرنسيين جعلتهم يرشحونه لقيادة نفزاوة وصدر بالفعل الأمر العلي بتلك التسمية في 3

جويلية 1898 وبقي في هذا المنصب إلى 25 جانفي 1922 وبذلك ناهزت مدة ولايته ربع قرن، وهي فترة قياسية بالنسبة للذين تولوا قيادة نفزاوة، بما يعكس مدى ما كان يحظى به الرجل من ثقة لدى السلطات الاستعمارية فضلا عن السلطات التونسية، غير أن ذلك لم يشفع له إذ أزيح في ظروف صعبة بالنسبة له. تحصل سعيد بن نصر على الأوسمة الثلاثة التالية : ميدالية الشرف الفضية بتاريخ 23 أوت 1896، ونيشان افتخار بتاريخ 1 جوان 1905 ويبدو أنه كان من الصنف الثاني وأبدل بالصنف الأول سنة 1931، والأهم من ذلك وسام الليجيون دونور بتاريخ 20 جويلية 1907. توفي سعيد بن نصر –حسب ما سجل على شاهد قبره– يوم 21 جمادى الأولى 1358 أي ما يوافق يوم 9 جويلية 1939، وقد دفن بجامع السوق الذي يقع بجوار منزله بقبلي. (ضيف الله 2005، أ.و.ت)

بن يعقوب، البشير (1936–2006): مثقف وداعية ومدرس. هو الشيخ البشير بن التهامي بن الحاج إبراهيم بن علي بن يعقوب، ولد في جويلية 1936 بنزلة العبيد بقبلي، في وسط عائلي يهتم بالتربية والتعليم، إذ كان والده مؤدبا، ودرس خاله محمد الحسين بن يعقوب في جامع الزيتونة وترأس سنة 1950 جمعية الأخوة النفزاوية الطالبية، أما خاله محمد الكيلاني بن يعقوب فقد درس بالمدرسة الفرنكو–عربية بقبلي دون أن يتمكن من إكمال دراسته. في هذا الإطار التحق البشير بن يعقوب بكتاب سيدي علي بدر الدين ببلدة قبلي، ليتعلم مبادئ الكتابة وحفظ القرآن الكريم على يدي المؤدب الطاهر الفيتوري. وقد مكنه ذلك فيما بعد من اللحاق بالتعليم الزيتوني، ولم يحل دون ذلك انفصال أمه عن أبيه إذ تولى تربيته وتكوينه خاله محمد الكيلاني وعاش في كفالة جدته للأم حتى توفيت سنة 1962. وكان خلال العطلة الصيفية يحضر دروس الشيخ مَحمد الجليدي. التحق في أواخر الأربعينات بالفرع الزيتوني بقبلي، وكان من بين شيوخه محمد بن سليمان العويني مدير الفرع وعمر بن جمعة... وتحصل في جوان 1955 على شهادة الأهلية، ثم انتقل في السنة الموالية إلى العاصمة للدراسة بجامع الزيتونة وكان من زملائه هناك عدد ممن سيبرزون في ميدان التربية والتعليم ومن بينهم محمد دراويل ومصطفى الصغيرون وعلي ميلود والخموسي الصغير. استقر في العاصمة بالمدرسة القاسمية ثم بالمدرسة العنقية، وحصل على شهادة التحصيل في جوان 1958. وكان من أساتذته حمادي الجزيري في الفرنسية

ومحمد المقنم في الرياضيات وعبد الكريم المراق في الفلسفة ومحمد بن الزنايقية في التشريع الإسلامي وأحمد قاسم في التاريخ وزكرياء بن مصطفى في الكيمياء... وقد تمتع في السنة الدراسية 1958-1959 بقرض زيتوني غير أنه بعد دراسة سنة كللت بالنجاح في التعليم العالي الزيتوني شارك ونجح في مناظرة انتداب معلمين سنة 1959. فالتحق للعمل بعدد من المدارس الابتدائية : مدرسة ميتول بولاية جندوبة (1959-1963) ثم طبربة ثم علامات مشلوش بمدنين. غير أنه حرص على إكمال دراسته الجامعية بعد ذلك فعاد إلى العاصمة سنة 1969 ليشارك في الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين وتحصل على الإجازة سنة 1973. وقد عين للعمل بالمعهد الثانوي للذكور بصفاقس 1973-1974 فعمل به لمدة ثلاث سنوات. ثم التحق بالمعهد الفني بقبلي سنة 1977-1978 وبقي يدرس به إلى أن أحيل على التقاعد المبكر بعد 35 سنة من العمل وكان ذلك سنة 1994. وقد توفي في مارس 2006، وخرج لتشييعه الآلاف من أهالي قبلي في جنازة لم تشهد المدينة مثيلا لها من قبل. برز الشيخ البشير بن يعقوب في العمل الجمعياتي وفي عدد من الأنشطة الاجتماعية والخيرية والدينية والثقافية. فقد انتخب في مارس 1955 حافظ مكتبة الفرع النفزاوي لجمعية التلميذ النفزاوي، ثم انتخب في أكتوبر من نفس السنة بمثل تلك المهمة لمكتبة الجمعية الأم بتونس العاصمة. وترأس صندوق الزكاة بولاية قبلي منذ تأسيسه، كما تولى إمامة جامع بلال بقبلي منذ سنة 1979 وإلى ما قبل وفاته ببضعة أشهر، وكان وراء تأسيس كتاب جامع بلال، وكان عضو رابطة الجمعيات القرآنية، كما كان أحد الأعضاء العاملين بنادي الفكر بقبلي، وأحد مؤسسي فرع الرابطة التونسية للدفاع عن حقوق الإنسان بقبلي. كما كان يستدعى للاستشارة في العديد من الهيئات وكان من المدافعين على أراضي المجموعة المحلية. ينتمي الشيخ البشير بن يعقوب إلى الجيل الزيتوني الأخير، فكان خلاصة للتقليد الزيتوني، من حيث التمكن من كتب التراث، كما كان في نفس الوقت شغوفا بالاندماج في حركة العصر، وتشهد على ذلك مطالعاته المتنوعة وثقافته الموسوعية، ودروسه الأسبوعية التي استمرت لعدة سنوات وقد تناول فيها نظرية الاقتصاد الإسلامي، غير أنه لم يدونها كما لم يقع تسجيلها. وفي كلمة فإن الشيخ البشير بن يعقوب مثقف عضوي بكل ما يكتنزه هذا المفهوم من معاني (شهادات شفوية متطابقة).

بني مَحمد : تقع على الطريق الغربي غير بعيد عن كلوامن، كانت تابعة إداريا في القرن التاسع عشر إلى وطن يوسف الذي يعود بالنظر إلى بلدة تلمين. وكانت آنذاك ذات واحة صغيرة إذ كانت تعد سنة 1852 حوالي الألف نخلة مع 13 أصل زيتون.

بوعبد الله : كانت هذه القرية تحتل أحد مرتفعات جبل حلوص وتمتد على سفحه الجنوبي مقتربة من الطريق الذي يشق شبه الجزيرة باتجاه الجريد. أما تاريخيا فيبدو أن البلدة تعود إلى العهد الروماني. وفي القرن 9هـ/15م أتى إليها المرابط سيدي زيدان ليصبح الجد الجامع لأهلها. وفي القرن الثامن عشر انضمت بوعبد الله إلى صف شداد وساهمت عند مقدم غومة المحمودي إلى المنطقة سنة 1857 في احتضان أصحابه. أما ديمغرافيا فقد كانت بوعبد الله تحتل المرتبة الثالثة بنفزاوة بما يفوق الثلاثمائة نسمة سنة 1861، وهو ما كان يناسب دورها الاقتصادي إذ كانت واحتها آنذاك تحتل المرتبة الثانية في وطن شداد مباشرة بعد قبلي بما يفوق 11 ألف نخلة سنة 1852 و22 ألف سنة 1862، أما في نفزاوة فكانت تحتل المرتبة الثالثة مما يؤشر على أهميتها في المنطقة، بل أنها كانت تحتل المرتبة الأولى من حيث عدد النخيل من صنف الفطيمي والمرتبة الثانية من حيث أصول الزيتون. لكن يبدو أن هذه البلدة عرفت في أواخر ذلك القرن بعض الصعوبات نتيجة ضعف منسوب العين التي تسقي واحتها (برابان 78).

بوعلاق، امحمد (... – 1875) : ينحدر من أولاد بوبكر أحد أكبر عروش أولاد يعقوب، وقد تولى رياستهم لمدة تفوق العقدين تمتد بين الخمسينات وأواسط سبعينات القرن التاسع عشر. برز لأول مرة عندما قدمت المحلة إلى نفزاوة في خريف 1857 لملاحقة الثائر غومة المحمودي المتحصن ببلدة قبلي، فقد قدم لمساندة المحلة وكان على رأس حوالي العشرين فردا من بينهم ابناه وأخوه. وقد امتدحه قائد المحلة في التقرير الذي رفعه إلى السلطة المركزية ذاكر بشأنه ما يلي "قد رأينا من مكاتيبه وبلغنا عنه ما لا يمكن التعبير عنه من النصح في الخدمة المذكورة وبذل الجهد فيها". وتبعا لذلك طلب مجاملته "بما يقتضيه نظركم وترونه مناسبا إما بالكتابة له أو غير ذلك مما يأخذ بخاطره وتظهر به مزية خدمته". وفي هذا الإطار سمي خليفة على أولاد يعقوب. غير أن هذه التسمية لا يمكن اعتبارها مجرد مجازاة له على ما قام به إلى جانب

المحلة، وإنما تدخل في إطار استراتيجيا السلطة آنذاك لكبح جماح القبائل المتفلتة وربما الوصول فيما بعد إلى إخضاعها لدفع الضرائب. غير أن أولاد يعقوب لم يكفوا عن شن غاراتهم في مختلف الاتجاهات وذلك حتى بعد تسمية مَحمد بوعلاق خليفة عليهم. ولم يكن أمام السلطة إلا أن تلتمس منه كبح جماحهم، ولم يكن أمامه إلا اللين في مخاطبتها من ذلك أنه كتب إلى عامل الجريد بتاريخ ربيع الثاني 1287/جويلية 1870 قائلا : "ورغّبتُ إخواني أولاد يعقوب في استجلاب العافية وفي ترك الاشتغال بما كانوا متلبسين به من التعرض في الطرقات وبالغت في إنذارهم وتحذيرهم من عاقبة العود لما ذكر فساعدوني كلهم". غير أنه ما فتئ أن اتهم بالمشاركة مع خمسة فرسان من قبيلته في قتل صبايحي والاستحواذ على ما كان يحمله من مال لخليفة الوديان وكان ذلك في ذي قعدة 21/1290 ديسمبر 1873-19 جانفي 1874. وقد أدت هذه العملية إلى إلقاء القبض عليه في بداية سبتمبر 1874، وحمل مخفورا إلى قابس ومن هناك إلى العاصمة. ويبدو أنه توفي في سجنه سنة 1875 حيث انقطع ذكره في الوثائق بعد شهر أفريل من تلك السنة. (ضيف الله 2005، أ.و.ت)

بوعلاق، علي (...- 1915): ينحدر من أولاد بوبكر أحد أكبر عروش أولاد يعقوب بنفزاوة وهي قبيلة مخزنية، تولى والده مَحمد بوعلاق قيادتها ما يقرب من عقدين كاملين. وإلى جانب الرياسة كانت هذه العائلة ذات ثروة هامة حتى أن علي بوعلاق كان من أهم الملاكين بواحة نقة إذ كان يعود له قرابة 6 بالمائة من ثروتها المائية مع ما يعنيه من أهمية ملكيته للنخيل بتلك الواحة. قاتل علي بوعلاق تحت قيادة والده إلى جانب المحلة التي قدمت إلى قبلي في خريف 1857 لإخراج غومة المحمودي. سعى بعد وفاة والده سنة 1875 إلى لعب دور قيادي داخل قبيلته، ولا أدل من ذلك أنه لما عاد من العاصمة في نوفمبر 1877، نظم له استقبال كبير إذ "اجتمع عليه جم غفير من الناس وهو في الطريق"، وقد أراد أن لا يفوت تلك المناسبة ليحاول سحب البساط من تحت الخليفة أحمد بن بلقاسم. وهو ما استغل ضده وأدى إلى سجنه، فقضى سنة 1878 كاملة وراء القضبان، وفي جانفي 1879 وقع التشفع له لدى الباي لإطلاق سراحه، وهو ما تم بالفعل بل لم تمر إلا بضعة أشهر حتى عين خليفة لأولاد يعقوب (جويلية 1879)، ثم ارتقى ليصبح خليفة على وطن تلمين في أكتوبر 1879 عوضا عن الحاج محمد بن الكيلاني، واستمر في منصبه إلى فرض الحماية الفرنسية

ويبدو أنه دعي آنذاك إلى الحاضرة قبل أسابيع من توقيع معاهدة الحماية، وتؤكد المصادر الفرنسية أنه سجن بالكراكة وأنه فر من سجنه بعد مجيء الفرنسيين. وقد كان موقفه مضادا لانتصاب الحماية إذ كتب بشأنه محمد المرابط عامل الجريد بتاريخ 11 رجب 9/1298 جوان 1881 "إن وطن نفزاوة لما شوشهم علي بن مَحمد بوعلاق توقف خلاصهم لأنه أفشى فيهم أخبارا لا تليق وكذلك في طريقه لما قدم من الحاضرة مر على أولاد سعيد وعلى الهمامة وأفشى فيهم ما ذكر". وقد أمرت السلطة المركزية بالقبض عليه لكن الرجل كان آنذاك قد انخرط في حركة المقاومة. وقام فعلا في أكتوبر 1881 مع الهمامة بهجومات على عدة جهات بالشمال، كما أغاروا على أسوار الكاف وعلى التخوم الجزائرية واستهدفوا قطعان الإبل والأغنام ومراكز القوم الفرنسية. وعندما دخلت القوات الفرنسية إلى نفزاوة في ربيع 1882 اتجهت نحو نقة لتهدم برج علي بوعلاق، بينما كان هو قد اتجه مع حوالي المائتين من قبيلته نحو البلاد الليبية. ومن هناك شنوا بعض الغارات على القوات الفرنسية والأهالي الذين قبلوا الاحتلال بصمتهم أو مؤازرتهم. ولم يعد إلى المنطقة إلا سنة 1907 ليتوفى سنة 1915. (أ.و.ت ؛ ضيف الله ، 2000، 2005) (المرزوقي (محمد)، **صراع مع الحماية**، ص 215-219 ؛ مورو، ص 105 ؛ مارتال، ص 120-122).

بيض حمام : نوع من الرطب ينضج في سبتمبر، يكون في حجم بيضة الحمامة ومن هنا جاءت تسميته، وهو أصفر اللون وطري بحيث تتأثر نوعيته بسبب نقله، ولذلك فهو يستهلك طازجا كما أنه لا يخزن.

التبابسة : أحد عروش بلدة قبلي، وهم ينحدرون في الأصل من توزر، وقد جاء جدهم المرابط أحمد بن محمد التباسي أو الدباسي (المتوفى سنة 930 أو 932هـ/1524 أو 1525) إلى نفزاوة، ونعتقد أنه استقر ببلدة قبلي حيث ترك سلالة التبابسة. أما زاويتهم المعروفة فهي زاوية سيدي علي بدر الدين التي تقع شمال البلدة على الباب المعروف بباب الزاوية. ويعود الفضل لبعض التبابسة في إدخال نخيل الدقلة إلى واحة قبلي أواسط القرن التاسع عشر، فقد كان بدر الدين بن محمد التباسي يملك سنة 1862 : 43 نخلة من صنف الدقلة أي ما يفوق نصف ما كان يوجد بواحة قبلي آنذاك من هذا الصنف، كما اهتم بالأصناف الجيدة الأخرى من النخيل حيث نجد له بجنة دنوش سنة 1852 : 14 دقلة، ومثل ذلك فطيمي، و7 حرة بالإضافة إلى 70

شكان، وكانت له ببستان بن حورش إحدى عشرة نخلة من صنف الدقلة خمسة منها مازالت لم تثمر آنذاك. وكان الرجل من أكبر ملاكي البلدة سنة 1862 بـ 1662 نخلة (أ.و.ت، دفتر 1681 ؛ محمد ضيف الله، 2005).

التباسي أو الدباسي، أحمد بن محمد (المتوفى سنة 930 أو 932هـ/1524 أو 1525): أحد المتصوفة. أصيل مدينة توزر، وهو ينحدر من عائلة ثرية، غير أنه التحق بالشيخ الصوفي أحمد بن مخلوف الشابي، "فخدمه وأخذ عنه الطريق" الصوفي، وصار كما يقول نجم الذين الغزي "من كبار العارفين" به، انتقل بعد ذلك إلى نفزاوة وربما عاش ببلدة قبلي حيث ينتسب إليه أحد عروشها (التبابسة). وجاء في المصادر أنه توفي بنفزاوة بعد أن تجاوز المائة سنة، وكان ذلك في ذي القعدة سنة ثلاثين وتسعمائة /أكتوبر 1524م أو 13 محرم 932هـ/30 أكتوبر 1525م. وأقيمت عليه صلاة الغائب بالجامع الأموي بدمشق، وهو ما يعكس مكانته في عالم المتصوفة في زمنه (الغزي (نجم الدين)، ص 79).

تلمين: كانت عاصمة نفزاوة في العهد الروماني تسمى تريس تماليني Turris-Tamalleni ويرى بعض الباحثين أنها تلمين الحالية، في حين يذهب آخرون إلى أنها كانت تضم قرى تلمين والرابطة والمنصورة والجديدة وربما قبلي، وهي بذلك تمتد على بضعة كيلومترات مربعة. ولكن الأرجح أنها كانت تضم جزءين، أحدهما بلدة طرة التي كانت تركزت بها حامية عسكرية للسيطرة على مصدر المياه وكانت بالتالي المركز الإداري للمنطقة، أما الجزء الثاني فهو تلمين التي اكتفت بالوظيفة السكنية، وكانت تحتوي على كنيسة، يبدو أنها تأسست بها لتكون قريبة من السكان. لقد تأسست تلمين على الأقل في القرن الأول للميلاد، وذلك بعد أن وقع تحديد أراضي قبيلة النبجنيي أو نفزاوة سنة 29-30 ب م فكانت مركزا متقدما في الليماس الطرابلسية، ثم وقع ربطها بكل من قابس سنة 83ب م وقفصة سنة 105ب م وهما مدينتان مرومنتان مما رشح عاصمة نفزاوة إلى أن ينسحب عليها هي الأخرى قانون المدينة الرومانية وأصبحت بالتالي مونيقبيوم، وذلك في عهد الإمبراطور هدريانوس (117-138). وتعرضت تريس تماليني طوال قرنين ونصف للتأثير القادم من روما حتى أنها أصبحت مركز أسقفية في القرن الرابع ب م. وعندما قدم عقبة بن نافع سنة 50هـ/673-674م إلى إفريقية مر بنفزاوة وفتح عاصمتها، وأسس حذو كنيستها

جامعا بقي يحمل اسمه إلى حد الآن، وهو منتصب بقلب بلدة تلمين. غير أن ذكر هذه البلدة خبا في المصادر العربية بعد ذلك وفي كتب الرحلات خاصة لفائدة بلدة طرة المجاورة. وقد سماها الحميري في كتابه **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تيملـيمن، واعتبرها بلدة ثم ذكر أنها "مدينة لطيفة حصينة لها أرباض ولها غابة نخل وزيتون وجميع الفواكه فيها". ولا شك أن تردده بين مصطلحي البلدة والمدينة، يدل على أهميتها النسبية، خاصة وأننا لا يمكن أن نتكلم عن أرباض إلا بالنسبة للمدن، وربما هو يقصد بالأرباض القرى المجاورة لها والتي اعتبرها بهذه الصفة تابعة لها. أما تلمين أو تيمليمن فقد قدم الحميري بشأنها طرفة في المقارنة بينها وبين مصر أو القاهرة إذ أورد ما قاله بعضهم فيها من أن "تيمليمن سبعة أحرف على لطفها وخمول ذكرها، ومصر ثلاثة أحرف على عظمها وسمو ذكرها". وعلى أية حال فقد أصبحت تلمين في بداية القرن 19 مقرا لأحد خليفتي نفزاوة مما مكنها من قيادة صف يوسف في مواجهة قبلي التي كانت مقرا لخليفة صف شداد. واستمرت هذه الوضعية إلى سنة 1873، وبينما تحولت قبلي لتصبح عاصمة لنفزاوة تراجعت تلمين لتصبح مجرد مشيخة تابعة لها. (كارتون، ص 210 ؛ مورو، ص 61 و97-98 ؛ الحميري، ص 148).

تنبيب : تقع هذه البلدة غربي تلمين وتختفي وسط الواحة التي تحيط بها من جميع الجهات. وقد وجدت بها حجارة مهندمة وبقايا أعمدة وتيجان رومانية، بما يدل على تعميرها في العهد الروماني وربما كانت آنذاك جزءا من تريس تامليني. غير أن ذكرها قد خبا بعد ذلك، وفي أواخر القرن التاسع عشر كان يقطن بها العدل محمد بن حميدة الذي تعود إليه بالنظر الدائرة القضائية الثانية بنفزاوة أي القرى المجاورة لتنبيب بما في ذلك القطعاية وإبنس. أما اقتصاديا فقد كان عدد النخيل التابع لأهل تنبيب سنة 1862 يفوق الخمسة آلاف، والأهم من ذلك أن بلدتهم تتصدر قرى نفزاوة من حيث عدد زياتينها إذ كانت تعد 800 أصل زيتون سنة 1852 وتطور ذلك إلى 1621 بعد عشر سنوات، وهو ما دفع إلى إقامة معصرة بها. أما إداريا فقد كانت في القرن التاسع عشر تابعة لوطن شداد، وكانت مركزا لمشيخة. (بيشفال1889، الشيباني 2001، 239 وما بعدها).

تنزاج: اسم إحدى قرى نفزاوة، ومن الممكن أنه الاسم القديم لإحدى قرى شبه الجزيرة. وقد ورد ذكرها في النصف الثاني من القرن 2هـ/8م على أنه كان بها شيخ

إباضي يسمى أبو بكر بن يوسف النفوسي وصفه الدرجيني بأنه "رجل عالم" ووصفه أبو زكرياء بأنه "عالم فقيه" بلغ صيته إلى بلاد الجريد مما حدا بإبراهيم بن أحمد في إطار مواجهته للإباضية أن يبعث في طلبه. ويبدو أن الوجود الإباضي تواصل بتنزاج إلى القرن 5هـ/11م وكان بها آنذاك مسجد (الدرجيني، ج 1، ص 87 ؛ أبو زكرياء، ص 155).

جبل حلوص : هو امتداد جبل طباقة غربا بين شطي الفجيج والجريد، وقد نشأت على مرتفعاته مجموعة من القرى التي تشرف على الطريق المحوري لنفزاوة. ومن هذه القرى القليعة وبوعبد الله وأم الصمعة وقد غيرت جميعها مواضعها القديمة، أما المنشية فقد تموضعت على سفحه الشمالي وكأنها تكمن وراءه متدرعة به في مواجهة ما قد يأتيها من أخطار. وبالإضافة إلى سكان تلك القرى المعروفة ارتبطت بجبل حلوص عدة مجموعات بشرية، من بينها الحلالصة وهم من البربر وقد اختلطوا مع الحوامد كما رجح ذلك نانسي وديمبروجيو. كما ذكرا -استنادا إلى ما استقياه من روايات شفوية- قبيلة الفرجان التي كانت تقضي الصيف عند سفحه ولكنها تركت مكانها للحوامد وانتشرت في الإيالة. وقد ذكر لنا أحد شيوخ بوعبد الله سنة 1983 تسمية قريبة من الفرجان وهي الفراجوة، وهنا نلاحظ هذا الشبه بين هذين الاسمين واسم قبيلة ورفجومة النفزاوية حتى أننا نذهب إلى الاعتقاد بأنها أسماء لنفس هذه القبيلة التي لعبت دورا كبيرا في تاريخ إفريقية في القرنين 1 و2هـ/7-8م، وقد خبا ذكرها منذئذ في المصادر المكتوبة (نانسي وديمبروجيو 33).

الجديدة : إحدى القرى التي نشأت حول المركز الإداري القديم لنفزاوة، قرب بلدتي طرة والمنصورة. أنشأها بعض سكان تلمين وأطلقوا عليها في البداية اسم تلمين الجديدة، وبالفعل بقيت تابعة لها في الدفاتر الجبائية للقرن التاسع عشر. وقد لاحظ بيشفال سنة 1889 بأنها كانت كثيفة السكان.

الجرسين : تقع هذه البلدة على الطريق التي تربط بين نفزاوة والجريد عبر جنوب شط الجريد. وتحتل موضعا دفاعيا إذ تحيط بها الكثبان من ثلاث جهات، وذلك ما جعلها من جهة أخرى معرضة لزحف الرمال. وقد أشار إلى هذه الظاهرة بومخيير في مقولاته التي تعود إلى القرن 5هـ/11م كما أشار إليها ليوبولد برابان Léopold Baraban الذي زار المنطقة في ربيع 1885. ومن جهة أخرى لا تبعد الجرسين عن

قلعة درجين إلا بحوالي عشرة كيلومترات فقط. وطبقا لأسطورة التأسيس، فإن السكان الأوائل للجرسين قدموا إليها مباشرة من موضعين لا يبعدان عنها وهما الشكرية جنوبا وبرقو شمالا، وبما أن هذين الموضعين كانا مرتفعين فإنهما يبدوان للناظر من بعيد وكأنهما ضرسين أو كما كانت تنطق زرسين، ومن هنا جاء اسم القرية الجديدة. لقد كان انتقال السكان إليها نتيجة اكتشاف الماء بموضعها، وكان ذلك إثر انتباههم إلى أن قطة لهم كانت مبتلة الشعر نتيجة مرورها بالموضع الذي سيحفرونه ويتحول إلى عين طبيعية، سميت عين القطوسية تخليدا لذكرى تلك القطة. من خلال هذه الأسطورة يمكن التأكيد على النقاط التالية : 1- أن تأسيس هذه القرية لا يعود الفضل فيه إلى إنسان ولا وجود لجد واحد مؤسس، بل لا يوجد من بين سكان الجرسين من يدعي الانتماء إلى أصول شريفة أو مرابطية، حتى أن القرية تخلو من أي ولي محلي، ولم توجد بها زوايا لأولياء صالحين، رغم المد الذي عرفته الطرقية في نفزاوة في العصور الحديثة، بما يجعل الجرسين من الاستثناءات النادرة في هذا المجال. 2- أن تأسيس هذه القرية مثلها مثل كل القرى الواحية يرتبط باكتشاف الماء وحفر العيون. 3- أن قدوم السكان الأوائل من كل من الشكرية جنوبا وبرقو شمالا، يرمز إلى مناطق أبعد في كل الاتجاهات، فمن الجنوب جاء الزراقين (زرقان) وتحديدا من منطقة تطاوين، ومن الشرق السلمة (سليم) الذين يرجعون أصولهم إلى الصعيد المصري، ومن الشمال جاء المناجلة الذين يرجعون أصولهم إلى أولاد سعيد بالنفيضة، ومن الغرب جاء أولاد ضيف الله من منطقة كوينين بوادي سوف بالجزائر... أما تاريخيا فقد ورد ذكر الجرسين لأول مرة في تاريخ ابن نخيل الذي نقل عنه ابن خلدون. لكن وقع تصحيف في رسم اسمها بإبدال الراء واوا إذ ذكر صاحب العبر أن الصنهاجيين عينوا قبيل الزحف الهلالي عبد الله بن محمد بن الرند عاملا على قفصة ويرجع نسبه إلى "بني مرين (كذا والأصح بني أزمرتين من مغراوة، وكان مسكنهم بالجوسين (كذا) من نفزاوة، فضبط قفصة وقطع عنها عادية الفساد"، وانفصل عن الدولة الصنهاجية سنة 445هـ/1054م؛ لكن لا ندري مدى قدم أو حداثة استقرار بني الرند بقفصة؟ ثم ما هو سبب تزامن تعيين أحدهم عاملا عليها مع تخريب قلعة درجين الإباضية؟ فهل كان ذلك جزاء لهم على مساعدة الجيش الصنهاجي؟ إن ما يمكن التأكيد عليه أن بني أزمرتن أو يزمرتين الذين كانوا يقطنون بعض قرى نفزاوة ومن بينها الجرسين

حافظوا على انتمائهم للمذهب الإباضي على الأقل إلى النصف الأول من القرن 5هـ/11م، ولا ندري هل أن تعيين بني الرند الذين ينحدرون منهم، على رأس عمالة قفصة، يدل على تخليهم عن هذا المذهب. وفي القرن 13هـ/19م، انتبه إلى أهمية موقع الجرسين الثائر غومة بن خليفة المحمودي فانتقل إليها من قبلي في بداية سنة 1274هـ/1857م، ولكنه لم يستقر بها طويلا إذ وقعت مهاجمته من قبل القبائل الموالية للسلطة، فانسحب من هناك إلى الجنوب الجزائري. وللتذكير هنا فإن الجرسين كانت آنذاك تابعة إداريا إلى وطن شداد الذي تقوده قبلي، وكان يعين عليها في بعض الفترات شيخ منها أحيانا وأحيانا أخرى تجمع مع البليدات تحت نظر شيخ واحد إما أن يكون من هذه القرية أو تلك، ففي سنة 1887 عين عليها الشيخ صالح بن سليم، ثم أصبحت في أواخر ذلك القرن تعود بالنظر إلى شيخ البليدات محمد بن عبد الله. أما اقتصاديا، فكان بها حسب الدفتر الجبائي المؤرخ سنة 1852 : 1306 نخلة وحسب الدفتر المؤرخ سنة 1862 : 2890 نخلة، غير أن ذلك لا يعكس تطورا بقدر ما يتعلق بإحكام الإحصاء في الحالة الأخيرة، وهو عدد لا يمكنه أن يضاهي ما بواحات وسط وشمال نفزاوة، لكن بالمقارنة مع الواحات الغربية لم تكن تفوتها إلا واحة بشلي (3717 نخلة)، وكان بعض ذلك النخيل على ملك أفراد من قبيلة غريب وأساسا من عرشي الفضيليين والغنايمة (أ.و.ت 1681، 783؛ ضيف الله 2000؛ الدرجيني، ص 160 ؛ أبو زكرياء، ص 242 ؛ إدريس ص 222-223 ؛ ابن خلدون، **العبر**، بيروت 1956-1957، ج 6، ص 338، وفي طبعة 1979، ج 6، ص 165، باربان، ص 49

جزيرة الوحيشي: هي إحدى القرى الجبلية التي تقع على الطريق المتجه نحو بلاد الجريد. وقد كانت مرتبطة بقرية المنشية إذ يعود الفضل في تأسيسها إلى الحوامد من سكان المنشية، وكانت تابعة مثلها إلى نفس الانتماء الصفي أي إلى صف شداد. وقد لاحظ بيشفال بشأنها سنة 1889 أنها قرية هامة بنيت من الحجارة، وذلك يعود ولا شك لقربها من جبل طباقة. كانت واحتها تضم سنة 1862 أكثر من ستة آلاف نخلة بالإضافة إلى أكثر من مائة أصل زيتون (ضيف الله، 2000 ؛ الشيباني، 2001؛ بيشفال 1889).

جمنة : تقع بلدة جمنة على بعد 16 كم من قبلي على الطريق الجنوبي الموصل إلى دوز، وقد احتلت موضعا مرتفعا يمكنها من مراقبة القادمين من كل الاتجاهات،

وامتدت واحتها حواليها. أما تاريخيا فقد عثر بها على آثار رومانية تتمثل في أعمدة وتيجان وبقايا مطاحن، ويذهب الباحث بول تروسي والضابطان نانسي وديمبرجيو إلى اعتبارها المحطة الرومانية المسماة آد تمبلوم (Ad Templum) التي ورد ذكرها في مسلك أنطونينوس، ويدعم رأيه بابتعادها عن تريس تماليني (تلمين) باثني عشر ميلا كما ورد ذلك في المسلك المذكور. أما في العهود الإسلامية فلم يرد ذكرها في كتب الجغرافيين أو الرحالة العرب إذ لم يمر بها أحد منهم لبعدها عن المسلك الرئيسي بنفزاوة آنذاك. أما أول من ذكرها فهو العياشي في رحلته (ق 17م) إذ ورد فيها "ثم ارتحلنا منها ومررنا في طريقنا على قرى كثيرة فاقت الحصر وبتنا بآخرها في زاوية يقال لها جمنة وبها قبر رجل من الصالحين يقال له سيدي أحمد الجمني وعقبه إلى الآن بالقرية متمسكون بسيرة الفقراء يطعمون الطعام". ولا شك أن ذكرها دون غيرها من القرى يدل على أهميتها، ثم أن العياشي أشار إلى أنها كانت زاوية، بمعنى ارتباطها بالطرقية والتصوف. وهنا فإن أسطورة التأسيس قد تلقي أضواء أكثر على هذا الجانب. ينحدر الجمنيون من الصحابي المقداد بن الأسود الكندي، وقد قدم أحد أحفاده سيدي عبد الله بالحاج إلى نفزاوة في منتصف القرن الهجري الثاني/8م، وتوقف في قرية جمنة التي كانت آنذاك آهلة بالسكان غير أنها كانت تعاني من شح الماء فضلا عن تعفنه. فكان سيدي عبد الله بن الحاج يجد صعوبة في الوضوء، وعندما وجد ذات يوم الماء أكثر وسخا من العادة صاح : "جمي ببركة الله" طالبا لها من الله أن يملأها، فارتفع مستوى الماء لتزول عنه النجاسة. ومن هنا جاءت تسمية البلدة. وهكذا نجد أن الماء هو أصل الاستقرار كما هو الشأن بالنسبة للقرى الواحية الأخرى، كما ارتبط ذلك بالشرف والمجد الدينيين، وبالجد المؤسس. أما تاريخيا فيبدو أن البلدة شهدت في النصف الأول من القرن السابع عشر تحولات عميقة جعلتها تبحث عن منافذ جديدة لحل الصعوبات التي كانت تعترضها، نتيجة الخلل بين وزنها الديمغرافي ومحدودية مجالها الواحي. وفي هذا الإطار نزحت مجموعات من الجمنيين متوغلين في شبه الجزيرة واستقروا بكل من بلدتي أم الصمعة وزاوية الحرث ، ويعيد أحد عقود الأحباس هذا النزوح إلى سنة 1035هـ/1626م. ويبدو أن هؤلاء النازحين استثمروا وهم في مواطنهم الجديدة الجانب الديني الصوفي وهذا ما قد نستشفه من اسمي القريتين (الزاوية والصمعة). وقد بقيت هاتان القريتان رغم بعدهما عن القرية

الأم مرتبطتين بها، بل اكتفتا بدور التابع لهـا فـي ولاءاتهمـا وانتمائهمـا الصـوفي ومرجعياتهما الروحية. كذلك ظهر في هذه الفترة ذاتها أشهر الجمنيين فـي العصـر الحديث ألا وهو العلم الصوفي سيدي إبراهيم الجمنـي (1037-1134هـ/ 1628-1722م). والحقيقة أن خروجه من البلدة وتجواله مغربا ومشرقا من أجـل العلـم لا يمكن تفسيره بعوامل ذاتية بحتة أو النظر إليه في قطيعة عن البيئة التي عـاش فيهـا وربما محدودية إمكانيات عائلته وانحسار النطاق الواحي لبلدة جمنة عمومـا. وبعـد عودته أراد أن يستقر بها للتدريس لكنه لم يجد العدد الكافي من الطلبة فارتحل عنهـا إلى جربة وهناك ذاع صيته واشتهرت القرية التي ينسب إليها. وإجمالا فـإن القـرن السابع عشر أسس لتقليدين لبلدة جمنة، أولهما : هذا التوجه العام نحو التعلم واحتراف أهلها الخطط الدينية والتعليمية حيث اشتهرت جمنة منذئذ بسيطرتها على هذا المجـال أكثر من أي بلدة أخرى فكانت تزود المنطقة بالمفتين والعدول والمؤدبين والأئمة، كما أنها احتكرت وظيفة القضاء بنفزاوة إلى حدود سنة 1903، وقد سـمحت لهـم هـذه الوظائف باشتراء العقارات بمختلف واحات المنطقة، بقبلي والجديدة وتلمين والرابطة ونقة... وثاني التقليدين : النزوح نحو مناطق أخرى سواء بنفزاوة مثلما أشـرنا إلـى استقرارهم بأم الصمعة وزاوية الحرث أو خارجها حيث استقر عدد مـنهم بمطماطـة وجربة، وفي القرن التاسع عشر بدأ التوجه نحو الحاضرة حيث استقر أوائل الجمنيين مؤسسين لجالية سيتكثف وجودها هناك في القرن العشرين. من جهة أخـرى كانـت واحة جمنة والجزر المحيطة بها تعد سنة 1852 أكثر من ستة آلاف نخلة وأكثر مـن ثلاثة عشر ألف سنة 1862 وهو ما يجعلها أكبر الواحـات بجنـوب نفـزاوة علـى الإطلاق. أما ديمغرافيا فقد كانت سنة 1861 تحتل المرتبة الأولى في وطـن يوسـف والرابعة بنفزاوة بحوالي الثلاثمائة نسمة. نشير كذلك إلى أن جمنة شاركت في القرنين 12-13هـ/18-19م في الصراع بين يوسف وشداد وبدت في فترة ما وكأنها تقـود الصف الأول، حتى أن كاهية قبلي حرض عليها السلطة المركزيـة فتشـكلت محلـة لإخضاعها وهجمت عليها سنة 1879م وألحقت بها أضرارا جسيمة حتى سمي ذلـك العام بعام خلاء جمنة (أ.و.ت، **الدفتران 783، 1681؛ أوجياس، ص 50** ؛ العياشي، ص 53؛ مورو، ص 119 ؛ تروسي، ص 48؛ بنبلغيث، "كفاح الشيخ غومـة..."، ص 310 ؛ ضـيف الله 2000، 2005).

الجمني، إبراهيم (1037-1134هـ/1628-1721م): صاحب مدرسة بجربة. هو إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم بن أبي بكر بن عمر وينتهي نسبه إلى المقداد بن الأسود الكندي، ولد بجمنة، وارتحل إلى المغرب الأقصى وأخذ عن الشيخ عبد الله بن بلقاسم الجُلالي بزاوية خنقة سيدي ناجي ثم توجه إلى بلاد زواوة بالجزائر لطلب العلم وعاد منها إلى الجنوب حيث استقر بزاوية الحمارنة ودرّس بها الحديث النبوي. وفي سنة 1072هـ/1662م، توجه إلى مصر ودرس بالجامع الأزهر، ومن شيوخه هناك الشيخ ياسين والشيخ اللقاني. كما أخذ الطريقة في مصر عن الشيخ الخدوي الطرابلسي. وعاد عن طريق البحر سنة 1075هـ/1665م لكن السفينة التي كانت تقله غرقت ففقد الكتب التي كان جلبها معه. وبعد إقامة وجيزة بمسقط رأسه رجع إلى مصر ليجلب كتبا أخرى، ويذكر ابن أبي الضياف أنه "مكث بها مدة يدرس". وبعد عودته النهائية أراد الاستقرار بجمنة غير أنه لم يجد بها طلبة ، فقصد جربة واجتمع عليه الطلبة وذاع صيته هناك حتى سمع به مراد باي، فتقرب منه وأمر له ببناء مدرسة سميت "المدرسة المرادية"، وذلك سنة 1085هـ/1674م، كما أن إبراهيم الشريف الذي استبد بالسلطة في تونس فيما بين 1702-1705م "عظمه وأكرمه واستمد منه صالح الدعاء"، واستجاب لشفاعته في أحد المساجين، وتواصل هذا الاهتمام به مع حسين بن علي الذي له "محبة واعتقاد في هذا السيد" كما يذكر ابن أبي الضياف، وقد حبس على مدرسته عدة ضياع وكان يمد طلبتها سنويا بالطعام. وقد تخرج منها عدد هام تولى الشيخ الجمني إرسالهم إلى المناطق النائية لتعليم الناس وإرشادهم ومن بين من تخرج عليه الولي محمد الغرياني والولي أبو الفداء بن إسماعيل بن الولي أحمد الباهي صاحب الزاوية الباهية بتونس العاصمة. وقد دفن في 5 ربيع الثاني 1134هـ / 24 ديسمبر 1721م بمدرسته بحومة السوق بجربة وأصبح قبره يزار للتبرك (خوجة، ص 130-132 ؛الجربي، ص 95-96 ؛ ابن أبي الضياف، ج 2، ص 129-130 ؛ العزابي (المنوبي)، "الشيخ أبو إسحاق إبراهيم الجمني"، في، **أضواء** (مجلة نادي الفكر بقبلي)، ع 6، نوفمبر 1988، ص 54-56، المريمي (محمد)، **إباضية جزيرة جربة خلال العصر الحديث**، كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة ودار الجنوب للنشر، تونس 2005، ص 338 وما بعدها).

الجمني، موسى : هو موسى بن عمر بن عبد الرحمن الجمني، مؤسس المدرسة والزاوية التي تنسب إليه في مطماطة. ولدببلدة أم الصمعة سنة 1120هـ/ 1708

وتوفي بمطماطة سنة 1184/1770-1771. درس على إبراهيم الجمني بجربة، وربما هو الذي أشار عليه بالاستقرار في مطماطة. والأكيد أيضا سكانها قد رحبوا به ، وقبلوا به حكما لفض نزاعاتهم وخلافاتهم. والأهم من ذلك أنه فتح مدرسة بترخيص من علي باشا سنة 1755. واستمر عمله فيها بعد عودة أبناء حسين بن علي إلى السلطة في السنة الموالية. وقد اشتهرت مدرسته وجاءها الطلبة من المناطق البعيدة حتى كتب عنه وقد تحدث عنه الورثيلاني سنة 1179هـ/1766م، إذ كتب ما يلي: "وأما الصالح على الإطلاق، والعالم العارف بالاتفاق، سيدي موسى الجمني الذي تؤخذ الآن عنه العلوم والفنون شتى تأتيه الطلبة من كل البلاد، وتشد إليه الرحال من جميع العباد، فقد ظهر فضله وثبت حلمه عند كل الناس في تلك الأقطار، وتبين فضله في جميع القرى والأمصار". وقد استمرت هذه المدرسة بعد وفاته وطيلة ما يقرب من قرنين (الورثيلاني، ص 654 ؛ ضيف الله بحث عن جمنيي مطماطة 2008).

جنعورة : هو الحي الجنوبي لمدينة قبلي ويقع على الطريق التي تربطها ببلدة دوز. وقد جاءت هذه التسمية من الولي امحمد جنعورة، دفين مقبرة المكان، والذي يحظى بمكانة خاصة لدى الأهالي المنحدرين من بلدة الكعبي.

الحرة : صنف من التمور ينضج في شهر سبتمبر، وهو من الأصناف التي يمكن تخزينها. لونه فاتح، وله طعم خاص وبه بعض الطراوة التي لا تؤثر على جودته عند نقله. كان يعتبر من الأصناف الجيدة في نفزاوة، وكان إنتاجه ومازال يروج على مستوى وطني، غير أن مكانته تراجعت بعد إدخال الدقلة إلى المنطقة. أما تاريخيا فقد كان يوجد في منتصف القرن التاسع عشر بأربع عشرة واحة على رأسها الواحات التالية بوعبد الله ثم تلمين فالقليعة ثم قبلي فنقة وأم الصمعة، بما يفوق 7 آلاف نخلة (الشيباني، 2001، ص 243).

حنيش : منبسط من الأرض يقع جنوب واحة دوز، اتخذ ساحة لتنظيم الألعاب والاستعراضات المتنوعة بمناسبة مهرجان الصحراء الدولي، إذ تجري فيه أمام المتابعين مسابقات الخيل والمهاري فضلا عن لوحات الصيد بالسلوقي وغيرها من الأنشطة.

الحوامد : نسبة إلى الولي سيدي حامد الحشاني أو سيدي حامد الشريف وهما حسب الأسطورة يعودان بأصولهما إلى الأشراف الأدارسة. استقر أحدهما بالقصر الأحمر والآخر بالمنشية. ونشأت حول ضريح كل منهما زاوية، وتركا سلالة يسمون بالحوامد. أنشأ حوامد المنشية جزيرة الوحيشي ثم الجزيرة البعيدة. أما حوامد القصر الأحمر فقد انتقلوا من بلدتهم إلى جمنة. وكان يعود للحوامد ريع العديد من أحباس النخيل بواحة المنشية وبغيرها من واحات نفزاوة ومن بينها واحة قبلي مثلا. كما كانت لهم أحباس شاسعة بسهلي السقي والشارب (ضيف الله 2000 ؛ 2005 ؛ صالح بن حمادي، ص 86 وما بعدها).

الدبابشة : قرية صغيرة كانت الأقرب إلى مدخل شط الجريد، وكان بها شيخ في نهاية القرن التاسع عشر. إداريا كانت تابعة إلى وطن يوسف الذي يشرف عليه خليفة تلمين. وكانت تعد سنة 1852 حسب الدفاتر الجبائية 1422 نخلة، وتجاوز ذلك العدد الثلاثة آلاف نخلة بعد عشر سنوات، وكانت آنذاك تحتل المرتبة الثانية من حيث عدد نخيل الدقلة بـ 28 نخلة، كما كان بها عدد من أصول الزيتون. غير أن القرية هجرت تماما نتيجة زحف الرمال وقد إتجه أهلها للسكن بقرية فطناسة القريبة منها.

درجين : حمل هذا الاسم تجمعان سكنيان، خرب أولهما وهو قلعة درجين قبيل منتصف القرن 5هـ فانشئ غير بعيد عنه تجمع ثان سمي درجين السفلى الجديدة. وقد لعبت درجين دورا هاما في التاريخ الإباضي لمنطقة نفزاوة، ثم اندثرت شهرتها مع انحسار ذلك المذهب عن المنطقة. فأين تقع درجين؟ وما هو الدور الذي لعبته؟ ذكر المستشرق البولوني تدوز ليفتشكي سنة 1935 أن قلعة درجين تقع على الطريق بين الجريد وواحة سوف، وقد درج الباحثون بعده على تحديدها ببلاد الجريد من بينهم الهادي روجي إدريس الذي يقول إنها تقع بأقصى غرب قسطيلية، ويذهب صالح باجية في نفس الإتجاه إذ يؤكد أنها "كائنة غربي نفطة" وأنه "مازالت بعض آثار خرائبها قائمة وأسماء جنات باسمها" ؛ أما درجين السفلى الجديدة فيؤكد أنها تقع بجر بني علي من واحة نفطة ويضيف أنه صادف "من يعرف من كان يسكن بجنوب شرقي (سيدي مرزوق) بنحو نصف ميل (منطقة درجين السفلى الجديدة) (كذا) التي لم تندرس إلا في أواخر (القرن الماضي) (كذا) وانتقل سكانها شمالي موقع درجين السفلى الجديدة مشرفين على الواحة". لكن يبدو أن ما ذهب إليه أولئك الباحثون والنتائج المرتبطة به

كانت خاطئة ذلك أن درجين سواء القديمة أو الجديدة تقع جنوبي شط الجريد وليس شماله وبالتالي فهي بمنطقة نفزاوة الحالية وتبعد عن قبلي نحو الجنوب الغربي بحوالي 40 كم. ويفرق سكان المنطقة بين الدرجينين بتسمية الأولى الدرجين الخالي ، بما يشير إلى أنها أخليت من سكانها وهذا ما تم فعلا عندما خربتها جيوش المعز بن باديس الصنهاجي، ويبدو أن الرمال غمرتها بعد ذلك وفي السنوات القليلة الماضية ظهرت بعض آثارها بعد انتقال تلك الرمال. أما درجين الجديدة، فتسمى حاليا الدرجين العامر وفي ذلك إشارة إلى أنه وقع تعميرها بعد خراب الدرجين الأولى. وبذلك فإننا نطمئن إلى أن الدرجين الخالي هي نفسها قلعة درجين والدرجين العامر هي درجين السفلى الجديدة التي تذكرها المصادر الإباضية. أما من حيث موقعها فتحتل قلعة درجين منطقة استراتيجية، إذ تحدها جنوبا كثبان الرمال الممتدة، بما يشكل سدا طبيعيا منيعا إلى حد ما أمام ما يمكن أن يتهددها من أخطار، أما من الجهات الثلاث الأخرى فتحيط بها امتدادات شط الجريد، أي أنها تحتل شبه جزيرة، ويبلغ ارتفاع موضعها 50م، بينما لا يتعدى الارتفاع شرقا 16 م وغربا 18 م، وبالتالي فهي ذات أهمية دفاعية. أما درجين السفلى الجديدة فهي أيضا تتموضع بنفس شبه الجزيرة، لكنها في مكان أكثر حماية. وقد سميت بالسفلى مقارنة مع قلعة درجين، إذ لا يتعدى ارتفاع موضعها الحالي 37 م،أما ما حولها من السباخ فيتراوح ارتفاعها بين 14 م غربا و16م شرقا. وهذا الموضع يمكنها من مراقبة ما حولها. كذلك فإن درجين السفلى تقع إلى شمال القلعة بنحو 6 كم أي أنها لم تبتعد عن الطريق الذي كان يربط بين قرى نفزاوة وبلاد الجريد عبر جنوب الشط، كما أنها تقع على الطريق الذي كان يربط بين جبل نفوسة وتاهرت عاصمة الدولة الرستمية، وكانت أيضا مرتبطة ببلاد سوف وأريغ بجنوب المغرب الأوسط. وقد جعل هذا الموقع من درجين همزة الوصل بين أهم المناطق الإباضية فكانت تمر بها القوافل التجارية والتأثيرات الثقافية والمذهبية. وبالنسبة لدورها التاريخي: يرجع تأسيس درجين إلى قبيلة بربرية تسمى بني درجين. ويبدو أن هذه المدينة كانت ذات دور دفاعي بحت -على الأقل في البداية- ولذلك سميت بالقلعة، ويعني ذلك أنها كانت مسورة وربما كان أهلها يعيشون حولها معتمدين على تربية الماشية. وقد تعرضت كتب الطبقات الإباضية إلى ذكر هذه المدينة التي كانت إحدى قواعد المذهب وعاصمة له بالمنطقة. وإضافة إلى بني درجين كانت

تسكن هذه المدينة قبيلة مزاتة اللواتية، كما أنها كانت تستقبل النازحين الإباضيين من جبل نفوسة وغيره في فترات المجاعة. وقد سكنها من شيوخ الإباضية أبو الخطاب عبد السلام بن منصور بن أبي ورجون. ولكن هذه القلعة وقع تدميرها سنة 440هـ/1049م من قبل الجيش الصنهاجي الذي ضرب حولها حصارا شديدا مما اضطر سكانها إلى المواجهة التي لم تكن في صالحهم إذ قتل المئات من الرجال وهدمت قلعة درجين وأحرقت وفقد المذهب الإباضي عددا من شيوخه. وهاجر من بقي من سكانها غربا إلى سوف وأريغ، ثم عاد قسم منهم إلى آثار مدينتهم وأسسوا قريبا منها مدينة أخرى هي درجين السفلى الجديدة. ويبدو أن هذه المدينة استفادت من مجد المدينة القديمة حتى اشتهرت في القرن 6هـ/12م بملابسها الصوفية الممتازة كما كانت تنتج البقول والتمور والزيتون. واستطاعت أن تؤوي إليها بعض النازحين من المناطق الأخرى مثل جبل نفوسة والجريد، ومن بين من قصدها قادما من نفطة سعيد بن سليمان التميجاري النفوسي وذلك في النصف الثاني من القرن 6هـ وكان مقدمها يسمى في هذه الفترة ابن علي أما المصدر الذي كان يتولى القضاء والإفتاء فهو ميمون بن أحمد المزاتي. غير أن درجين السفلى أصبحت تتراجع لصالح مناطق إباضية أخرى من بينها ورقلة، تراجعت مع تراجع المذهب الإباضي والاحتكاك مع بني هلال (إدريس، ص 166 ؛ باجية، ص 40 و147 و188؛ أبو زكرياء، ص 305، الشماخي، ج 2، ص 347 ; Lewicki, "Notice...", pp. 150-151 et "Al-Dardjini", p. 144 ؛ محمد حسن، ج1، ص 295).

الدرجيني، أبو العباس أحمد بن سعيد بن سليمان (القرن 7هـ/13م) : فقيه وشاعر وراوية إباضي. انتقل جده الأعلى يخلف بن يخلف من تميجار بجبل نفوسة إلى بلاد الجريد حيث احتل نسله مكانة هامة بين إباضيتها. وفي النصف الثاني من القرن 6هـ / 12م، انتقل والده إلى درجين السفلى الجديدة ودرس بها على ميمون بن أحمد. وبها تزوج بدرجين وولد له بها في بداية القرن 7هـ/13م أبو العباس أحمد الدرجيني. قضى أبو العباس طفولته بمسقط رأسه وشهد تراجع المذهب الإباضي بها، فتوجه سنة 616هـ/1219م إلى ورجلان للدراسة، يقول : "دخلت حلقة وارجلان حرسها الله تعالى سنة 616 في ربيع الآخر منها في أول ما وجب علي الصوم والبال خالي من الهم وكنت أعجب ممن ينفرد ولا يجتهد ومن يخلو بالمفيد كيف لا يستفيد

(...) وأقمت بوارجلان حولين كاملين وشهرين". غير أنه لم يعد إلى درجين، وإنما استقر بتوزر وانتقل منها في مرحلة لاحقة إلى جربة حيث حظي بمكانة هامة وتقدير كبير، وألف بها كتاب **طبقات المشائخ** الذي يقف به في حدود سنة 650هـ / 1252م. كما أجاب عن عدد من المسائل الفقهية جمعها بعده أبو طاهر إسماعيل بن موسى الجطالي تحت عنوان "كتاب الحساب وقسم الفرائض"، ولأبي العباس أيضا ديوان ورسائل شعرية. ويبدو أنه توفي في النصف الثاني من القرن 7هـ ودفن بجربة.(لويسكي، مقال الدرجيني ومقال نوتيس ؛ الشماخي ج2، ص 347، البرادي، ص 215-216).

الدقلة : هي أجود أصناف التمور بواحات الجنوب الغربي التونسي وما يقابلها من واحات بالجزائر. غير أن لفظة الدَّقَل في العربية تحمل نقيض ذلك المعنى، إذ ورد في **لسان العرب** أن الدَّقَل من التمر أردأ أنواعه، وفي وصف هذا الصنف ورد بأن تمر الدقل أحمر، ومنه ما تمره أسود وجرم تمره صغير ونواه كبير، أي أن الدقل هو ما يطلق عليه اليوم بنفزاوة اسم الشكان. فكيف أطلقت تسمية الدقلة على أجود أصناف التمور؟ يذهب البعض إلى أن هذه الكلمة اشتقت من اسم نهر دجلة بالعراق حيث موطن التمور والنخيل، إلا أننا لا نرى ذلك لعدم وجود هذا الصنف من التمر هناك. وإنما نعتقد أنها اشتقت من اللفظة العربية ذاتها، بما أن الدَّقَل -كما ورد في لسان العرب- ما لم يكن من التمر أجناسا معروفة، وهذه حالة الدقلة في بدايتها كأي صنف آخر جديد. ذلك أن نوى التمر إذا زرع يعطي أنواعا جديدة مختلفة عن النوع الأم، وغالبا ما يكون رديئا لكن قد يصادف أن يكون من بينها ما هو جيد إن في طعمه أو في لونه أو في حجمه، وهذا الصنف عادة ما يقع توليده وغراسته عن طريق الفسائل، وهذا ما كان مع نخلة الدقلة. وربما الهام أيضا أن نخلة الدقلة اختصت فيما يبدو بالتسمية العامة، وأعطتها معنى جديدا، ليصبح الدقل هنا أجود التمور. ينضج هذا الصنف من التمور في أكتوبر ونوفمبر، وهو حساس للرطوبة وللأمطار خاصة إذا نزلت في شهر أغشت (14 أوت/13 سبتمبر)، فيحزن الفلاحون لنزول المطر خلال هذه الفترة من السنة. أما تاريخيا فإن هذا الصنف من التمور لم يدخل نفزاوة إلا في القرن التاسع عشر بينما كان واسع الانتشار بالجريد. وفي سنة 1862 لم يكن بكل قرى نفزاوة غير 147 نخلة دقلة نصفها بواحة قبلي، ويتوزع النصف الباقي على

القرى التالية الدبابشة 28، تلمين 18، المنشية 14، بوعبد الله 8، أم الصمعة 4، القليعة 2. معنى ذلك أن غراسة هذا الصنف من الدقلة لم تبتعد حتى ذلك الحين عن الطريق القادم من الجريد والذي انتقلت معه الشجرة إلى المنطقة، ومن الطريف هنا أن الذين اهتموا بها من القبلاوية هم التبابسة أصيلو الجريد. إن دخول هذه الشجرة إلى نفزاوة وتطور غراستها تم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وخاصة في القرن العشرين وكان ذلك على حساب الأصناف الأخرى من النخيل، حتى لا نكاد نجد حاليا في الكثير من البساتين إلا نخيل الدقلة. وقد ساهم ذلك من جهة أخرى في ربط المنطقة باقتصاد السوق، حيث تروج كميات من الدقلة في الأسواق التونسية وتصدر كميات أهم إلى عدة بلدان بأوربا وغيرها.

دوز : هي أهم مدينة بنفزاوة من حيث عدد سكانها. اتخذت في البداية الربوة التي يوجد بها الجامع الكبير بدوز الشرقي موضعا لها، ويبدو أن هذا الموضع المرتفع كان لغاية دفاعية ثم خوفا من فيضان (واد الحلوف) الذي كان يمر جنوبي ذلك الموضع، وكذا للاستفادة من مياهه في ري المساحات المنخفضة التي ستشكل نواة الواحة فيما بعد. أما عن الوجود البشري بهذه المنطقة فهو قديم إذ عند بناء برج الشؤون الأهلية بدوز سنة 1887 وقع العثور على عدد هام من النقود التي تعود إلى العهد الروماني، وفي نفس هذا السياق يذكر محمد المرزوقي أن اسم دوز ورد في الأطلس الجغرافي الروماني. لكن طوال القرون الإسلامية الأولى لم يرد ذكرها لبعدها عن المسلك الذي يشق شط الجريد والذي وصفه عدد من الجغرافيين والرحالة العرب. ولعل أقدم الوثائق الأرشيفية التي ورد فيها اسم دوز تعود إلى القرن التاسع عشر، إلا أن أغلب تلك الوثائق تسميها زاوية المرازيق وحتى بلد المرازيق نسبة إلى القبيلة التي اتخذتها مركزا لها منذ أواخر القرن 8هـ/14م. فقد حل آنذاك بدوز المرابط حمد بن مرزوق بن عبد الله بودبوس المعروف بالغوث وبعد سنوات التحق به حفيده عمر المحجوب بن علي، والتحقت بهما عائلات من المرازيق وعائلات عربية أخرى نزلت بجوارهما واتخذت من زاويتيهما ملاذا ومركزا فنشأت حول كل زاوية قرية. واحترم في التنظيم المجالي الانتماء القبلي. غير أن المرازيق كانوا شبه رحل إذ يقضون أغلب فصول السنة متنقلين وراء قطعانهم بمنطقة الظاهر (السرير) والرمل (الصحراء) ويعودون في الخريف إلى مركزهم ليقوموا بجني التمور إذ كانت لهم بعض البساتين الصغيرة

التي يقومون بمجهودات جبارة لتهيئتها، فكانوا يزيلون الطبقة المتكلسة من سطح الأرض، فيستعملون حجارتها في البناء ويستغلون المساحات التي تصبح منخفضة ببضعة أمتار وقريبة من الطبقة المائية السطحية لغراسة النخيل والتين. ويطلق على تلك البساتين اسم الأغواط (م. غوط) غير أن عدد نخيلها كان محدودا إذ لم يتجاوز 4500 نخلة سنة 1862 كما كان المرازيق يمتلكون منذ القرن 9هـ/15م بعض البساتين بالواحات الهامة بنفزاوة مثل نقة وقبلي وتلمين. وفي سنة 1909 تم حفر أول بئر إرتوازية بدوز ثم حفرت بئر ثانية سنة 1913، وهو ما أدى إلى امتداد الواحة حتى بلغ عدد نخيلها سنة 1946 ثلاثين ألف نخلة، وقد أثر ذلك على حياة الترحال التي تراجعت وبدأ الناس يميلون إلى الاستقرار خاصة وقد تدعم القطاع الأول بإنشاء سوق أسبوعية ساهمت من جهة أخرى في التحام البلدتين ليشكلا معا بلدة دوز الحالية.
(المرزوقي، **ثورة** ص 20 وما يليها ؛ مارتال، ص 87 ؛ مورو، ص 136 ؛ أ.و.ت، صندوق 21، ملف 241، وث 58 و66 و70 وملف 243، وث 51 و52...).

رأس العين : هو اسم العين الطبيعية الرئيسية التي تروي واحة قبلي، وهذه التسمية نفسها كانت تطلق على عيون أخرى بنفزاوة ومن بينها عين ليماقس كما كانت موجودة بالعديد من المناطق بالبلاد التونسية مثل توزر وزغوان وحتى بالشرق العربي. تقع رأس العين شرقي واحة قبلي وهي تتكون من حوضين رئيسيين يتجمع فيهما الماء المنبجس من عشرين نبعا صغيرا، يقدر دفقها في بداية القرن العشرين بحوالي 100ل/ث، ينحدر الماء من ذينك الحوضين متخذا مجرى رئيسيا لينقسم بعد ذلك إلى ثلاثة مجاري يتجه كل واحد منها نحو جانب من الواحة، ويوزع على أصحابه طبقا لنظام معلوم بينهم.

الرحمات : قرية تقع في بداية الطريق الجنوبي المتجه من قبلي إلى دوز. كانت في القرن التاسع عشر تابعة إداريا إلى وطن شداد الذي تقوده قبلي. كان عدد دافعي الضرائب في حدود الستة سنة 1861، بما يعني أن البلدة لم يكن بها آنذاك إلا حوالي الثلاثين نسمة. أما اقتصاديا فقد كان بواحتها سنة 1862 ما يزيد عن ثلاثة آلاف نخلة بعضها كان على ملك القبلاوية، كما كان بها حوالي أربعمائة أصل زيتون، وهذه الأرقام تطورت بكثير عما ورد بالدفتر المؤرخ سنة 1852 إذ لم تكن تتجاوز عشر ذلك العدد بالنسبة للنخيل أما بالنسبة لأصول الزيتون فقد كان بحدود 305.

زاوية الحرث : تقع هذه البلدة غربي أم الصمعة بشبه الجزيرة، وقد عمرها هي أيضا الجمنيون في القرن 11هـ/17م. وارتبط مصيرها بمصيرهم، خلال الصراعات التي خاضوها في القرن التاسع عشر. كانت زاوية الحرث سنة 1861 تعد 36 من الخاضعين للمجبى أي أن عدد سكانها كان حوالي 144 نسمة. ولم تكن بواحتها آنذاك غير 1446 نخلة أي حوالي 1% فقط من نخيل المنطقة. كان يقطن بها سنة 1889 عمر بن إبراهيم أحد عدلين يعود لهما النظر على القرى الواقعة بين جزيرة الوحيشي وفطناسة.

زاوية الشرفاء : تقع هذه البلدة على الطريق الرابطة بين نفزاوة والجريد ومن الواضح أن تسميتها ذات صلة بالصوفية والمجد الديني والإنتماء إلى آل البيت، وقد قدم سكانها من الجريد في القرن 11هـ/17م (مورو 119).

زاوية العانس : تقع هذه البلدة على الطريق الذي يشق شط الجريد وينحدر سكانها من قرية بشري، وكانت في غالبها تابعة إداريا في القرن التاسع عشر إلى صف شداد مثل قسم من سكان البلدة الأم. كانت واحتها تعد سنة 1852 : 1311 نخلة، و2854 سنة 1862، بما يجعلها من أصغر الواحات الشمالية.

زاوية علي بن عبد الله : قرية صغيرة توجد داخل واحة تلمين، غير أنه لم يرد ذكرها في الدفاتر الجبائية مثلها مثل قرية الجديدة، وكانت تنتمي إلى صف يوسف أي أنها تعود بالنظر إلى خليفة تلمين.

زواوة : تعود تسمية هذه القرية لإقامة البعض من عسكر زواوة بها، وكان برج المنصورة يسمى أيضا برج زواوة، وهو ما يدل على التداخل الكبير بين القريتين. وقد ميز بيشفال سنة 1889 بينهما معتبرا أن زواوة مجاورة للمنصورة، وهذا يظهر من خلال وضعيتهما الإدارية حيث كان على رأس كل واحدة منهما آنذاك شيخ. كما كان موضع زواوة يختلف عن موضع المنصورة التي اعتبرها بيشفال قد أقيمت بالمكان الذي كانت تحتله قديما مدينة طرة. لكن رغم ذلك فإن قرية زواوة لم تظهر من خلال الدفاتر الجبائية مثلها في ذلك مثل قرية الجديدة المجاورة لها. وربما احتسبت آنذاك مع المنصورة كما كانت الجديدة تحتسب مع تلمين (بيشفال 105).

زينب النفزاوية (القرن 5هـ/11م): زوجة يوسف بن تاشفين. هي زينب بنت إسحاق النفزاوية، كانت تسكن بأغمات بجنوب المغرب الأقصى. وقد اشتهرت بجمالها وحكمتها وقامت حولها العديد من الأساطير التي تربطها بقوى خارقة "فبعض يقولون إن الجن يكلمها وبعض يقولون هي ساحرة، وبعض يقولون كاهنة". ولا شك أن ذلك يعكس قوة شخصيتها وتأثيرها. وإذ يذكر ابن عذاري أنها كانت تمتنع عن الزواج قبل أبي بكر بن عمر مؤسس الدولة المرابطية، فإن ابن خلدون يذكر أنها تزوجت قبله مرتين وكان زواجها من علية القوم إذ تزوجها شيخ قبيلة وريكة يوسف بن علي بن عبد الرحمن بن وطاس، ثم بعده أمير أغمات لقوط بن يوسف المغراوي. أما ابن عمر فقد تزوجها في ذي القعدة سنة 460هـ وبعد حوالي سنتين ونصف طلقها عندما عزم على التوجه نحو الصحراء لمواصلة فتوحاته ونصح خليفته وابن عمه يوسف بن تاشفين بأن يتزوجها "فإنها امرأة مسعودة"، وأسرع هذا الأمير بالزواج بها بعد تمام عدتها وذلك في شعبان 463هـ/1071م. ويذكر ابن عذاري أنها "أخبرته أنه يملك المغرب كله فبسطت آماله وأصلحت أحواله وأعطته الأموال الغزيرة" ففتحت أمامه بالتالي أبواب الطموح السياسي. ولا شك أنها استفادت من تجاربها السابقة كزوجة لثلاثة زعماء، فكانت خير مستشار وموجه ليوسف بن تاشفين حتى أنه كان يصرح بأن فتح البلاد، وبالتالي قيام الدولة، كان برأيها، ويظهر ذلك من خلال نجاحه في الانفراد بزعامة المرابطين، إذ عندما عزم أبو بكر بن عمر على العودة من الصحراء، اقترحت زينب على زوجها عدم التخلي له عن السلطة بأن يبدي له "الاستبداد في أحواله وأن يعمد له متاع الصحراء وماعونها"، وفي ذلك دعوة له للعودة من حيث أتى. وهذا ما فهمه ابن عمر عندما وصل إلى مراكش فسلم السلطة نهائيا إلى ابن تاشفين. ومن ابن تاشفين أنجبت زينب عددا من الأبناء من بينهم: المعز بالله الذي ولد سنة 464هـ/1072م، وقد قاد الجيش المرابطي الذي افتك سبتة كتمهيد للعبور إلى الأندلس ؛ والفضل الذي ولد سنة 469هـ/1077م. غير أنهما لم يلعبا دورا سياسيا بارزا فيما بعد وانتقلت سلطة المرابطين بعد أبيهم إلى أخيهم علي بن يوسف (ابن خلدون، ج 6، ص 183-184 ؛ ابن عذاري، ج 4، ص 18 وما بعدها حتى ص 30).

السقي : هو اسم سهل يوجد شمال شط الفجيج على الحدود بين ولايتي قفصة وقبلي، يتوجه إليه أبناء نفزاوة لزراعة الحبوب في المواسم الممطرة. وقد استغلت الجبال المحاذية له خلال الانتفاضات المسلحة وخاصة خلال الخمسينات.

الشارب : هو اسم سهل يوجد شمال شط الفجيج، يتوجه إليه أبناء نفزاوة لزراعة الحبوب في المواسم الممطرة.

الشارع : يطلق اسم الشارع على مجموعة القرى التي تقع على الطريقين اللذين ينطلقان من قبلي في اتجاه الجنوب والجنوب الغربي، وهي بازمة والرحمات وجمنة والقلعة من جهة والقطعاية وابنس وبشلي والبرغوثية وكلوامن وبني مَحمد والمساعيد والبليدات والجرسين من جهة أخرى. كان سكان هذه القرى حتى النصف الأول من القرن العشرين من أنصاف الرحل، غير أنهم لم يكونوا يتوغلون في الصحراء فينقطعون عن واحاتهم مثل قبائل المرازيق وغريب والعذارى، وإنما كانوا يبقون على اتصال مستمر بها إذ لا يبتعدون عنها بأكثر من مسيرة يوم. ولأنهم كانوا يخيمون على الطريق المؤدية إليها سموا بالشوارعية وسميت جهتهم بالشارع. لكن يذهب الشيخ المنوبي العزابي إلى أن هذه التسمية مرتبطة بالشرع والشريعة، إذ أن سكان جمنة وهي أهم قرى الشارع اشتهروا منذ القدم بحفظ القرآن والتفقه في الدين ومعرفة الشرع، فأصبحت كل الجهة تحمل اسم الشارع (ضيف الله 2000، العزابي، ص 54).

شبه الجزيرة : هي المنطقة التي توجد شمال نفزاوة وقد سميت كذلك لأن الشط يحيط بها من ثلاث جهات، وهي تمتد من قبلي جنوبا إلى فطناسة شمالا وتتكون بالتالي من أكبر عدد من قرى نفزاوة. وتشترك جميعها في إشرافها على الطريق التي تربط بين نفزاوة والجريد عبر الشط، كما أن تلك القرى احتلت مواقع دفاعية وخاصة منها ما سميناه بالقرى الجبلية التي تموضعت على جبل حلوص ومن بينها أم الصمعة وبوعبد الله والقليعة.

الشداخ : أحد أصناف التمور، وقد كان معروفا في الجريد في القرون الإسلامية الأولى، وهو من الأصناف التي كانت تعتبر جيدة. غير أنه مع ظهور أصناف جديدة من النخيل وخاصة منها الدقلة تراجع اعتباره وأصبح يصنف من الشكان.

شداد : هو اسم أحد الصفين المتنازعين في نفزاوة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وقد سمي باسم قائد قبيلة المثاليث التي ناصرت علي باشا. وقد اعترفت السلطات المركزية بالانتماء الصفي، ووافقت على تقسيم نفزاوة بين الصفين، وكانت بلدة قبلي عاصمة صف شداد، وتتبعها القرى التالية: بوعبد الله والقليعة والمنشية وجزيرة الوحيشي واستفطيمي وليماقس وطنبار وتنبيب والرابطة والمنصورة وإينس وقبلي وبازمة والبرغوثية والرحمات والبليدات والجرسين والطويبة إضافة إلى عروش: قعود والصابرية وأولاد سباع والمكاشرة. كما ضم صف شداد أغلب سكان بلدة زاوية العانس وثلث بلدة بشري.

الشكان : هو تسمية عامة لأصناف لامحدودة من التمور الأقل جودة إن في حجمها أو حجم النواة أو طعمها أو قابليتها للنقل أو الخزن. وهي تقابل لفظة الدقل في العربية حيث ورد في لسان العرب أن الدقل من التمر أردأ أنواعه، كما ورد بأنه ما لم يكن من التمر أجناسا معروفة. وكان الشكان يمثل أغلب ما في واحات نفزاوة من نخيل قبل أن تنتشر الدقلة فيها، بل أن بعض تلك الواحات كان في القرن التاسع عشر لا يحتوي إلا على الشكان ومن بينها الواحات الجنوبية والغربية كالجرسين والطويبة مثلا. ومن أنواع الشكان المعروفة العماري وميزته أنه أول ما ينضج من التمر، والهيسة والفزاني وغرس سوف وجميعها تنضج في شهر أوت ولها درجة مرتفعة من السكريات، والمدّور وله قابلية للخزن... كما أن ثمار أصناف عديدة من الشكان تعطى علفا للحيوانات إن كانت بلحا أو بسرا أو تمرا (الشيباني، 2001، ص 244 ؛ ابن مراد 1999، ص243).

الشهبان : أحد العروش التي تنسب إلى الغياليف. أتى جدهم امحمد بن عمر من تاجوراء بطرابلس واستقر في تلالت بتطاوين، وهناك نسبوا إلى ابنه بالأشهب. وقد انتقل أحدهم وهو نصر الدين إلى قبلي حيث عمل لدى الولي علي بدر الدين، حتى أصبح بدوره وليا. ينقسم الشهبان إلى عرشين رئيسيين أولاد محمود وأولاد نصر الدين. كان الشهبان في القرن التاسع عشر يملكون البعض من واحة قبلي، حتى أن إحدى القطع تحمل اسم "دمير الشهبان". كما كانوا يملكون بعض الواحات الصغيرة ومنابع الماء والمراعي بمنطقة البحاير. ساهم عدد منهم في المقاومة المسلحة في الخمسينات وانضموا إلى الحركة اليوسفية.

شيطان : اسم إحدى قرى نفزاوة ذكرت في القرن 2هـ، إذ لجأ إليها الشيخ أبو بكر بن يوسف النفوسي. وكان يسكنها بنو تناوت وهم بربر برز فيهم من مشائخ الإباضية أبو المنيب إسماعيل بن درار النفزاوي وأبو عبد الله محمد بن تامر التناوتي (أواخر ق.4هـ/10م.- النصف الأول من القرن 5هـ/11م) وقد وصفه الشماخي بأنه "شيخ فاضل، عالم تقي" (الدرجيني، ج 1، ص 87 وما بعدها ؛ الشماخي، ص 532).

الصابرية-الفوار : توجد هاتان المحطتان في أقصى غرب نفزاوة، وقد كانت بالفوار عين طبيعية يقصدها الرعاة لري إبلهم والتزود بالماء، أما الصابرية فقد كان بها عدد أهم من النخيل غير أنه لم يكن يتجاوز الألف نخلة يقصدها أصحابها في الخريف لجني التمور ويرتحلون عنها مبكرا نحو الجنوب في اتجاه بئر زار والمشيقيق وبئر عوين وقلب سعد الله.

الصلاعة : تعتبر هذه القبيلة أولاد زاوية وجدهم الولي محمد الصليعي، استقروا بالقطعاية، وهم ينحدرون من غريب. إداريا كانوا في القرن التاسع عشر تابعين إلى مشيخة أولاد يعقوب، للصلة الكبيرة بين القبيلتين حتى أن سمة إبل المكاشرة من أولاد يعقوب هي نفسها سمة الصلاعة (ميلود، ص 130).

الصنم : واحة صغيرة كانت تعد في أواسط القرن التاسع عشر 369 نخلة. كانت ملكا للعذارى.

طباقة : أو جبل طباقة هو الجبل الذي يبدأ غربي الحامة لينتهي في شكل ربوات صغيرة وقليلة الارتفاع قرب مدخل شط الجريد. وهو من التضاريس التونسية القليلة التي يعود تكوينها إلى الزمن الأول. في مطلع الخمسينات، قام الباحثان آرمبورغ وكوك بالتنقيب في موضع عين برمبة بالسفح الغربي لجبل طباقة وعلى بعد ثلاث كلم شرقي بلدة المنصورة، وقد توصلا إلى وجود الحياة البشرية في المنطقة في عهود ما قبل التاريخ.

طرة : اسم قرية قريبة من عين الغريق. ربما كانت جزءا من عاصمة نفزاوة في العهد الروماني المسماة تريس تماليني والتي تأسست على الأقل في القرن الميلادي الأول. لعبت طرة دور المركز الإداري لنفزاوة منذ الفتح الإسلامي إلى العهد الحسيني، وقد تعرضت إلى الدعوة الإباضية في القرن 2هـ/8م، إذ استقر بها أبو

داود القبلي النفزاوي أحد حملة العلم الخمسة الذين يعتبرون أوائل دعاة الإباضية بالمغرب الإسلامي، وبقي بها هذا المذهب على الأقل إلى القرن 5هـ/11م حيث كان يعتنقه بعض سكانها الذين ينحدرون من قبيلة لواتة البربرية، غير أنه بدأ يسجل منذ ذلك الحين تراجعه بطرة، إذ أن مقدمها المسمى أبو علي كان يتطاول على أتباع ذلك المذهب. هذا واشتهرت طرة بصناعة الزجاج والملابس الصوفية وكانت تلك الملابس "مما يتنافس فيه" حسب الوزير السراج ويصدر إلى الإسكندرية. وفي النصف الثاني من القرن 6هـ/12م، تعرضت إلى تنافس شديد للسيطرة عليها باعتبارها مركزا لنفزاوة، وقد سيطر عليها أولا الموحدون واستقر بها اثنان من دعاتهم ثم سيطر عليها قراقوش، ولكن في سنة 586هـ/1190م، افتكها منه بنو غانية وبقيت تابعة لهم إلى سنة 601هـ/1205م. ففي هذه السنة قام يحيى بن غانية بتدمير طرة وتركها "خاوية على عروشها وخرج من سلم من أهلها فتفرقوا في بلاد نفزاوة". ويبدو أن تلك الصراعات أثرت على مستقبل طرة في الحقب اللاحقة وقد لاحظ التجاني الذي زارها سنة 706هـ/1307م أنها بلد بالإسم وقرية بالمعنى، أما القصبة التي كان ينزل بها العمال فقد "أحالها الخراب دكا" و"لم يبق منها غير سورها المحيط" حسب التجاني دائما. وفي القرن 11هـ/17م، انتقل دور طرة إلى المنصورة الملاصقة لها. (الوزير السراج، ص 82 و387 ؛ القلقشندي، ص 108 ؛ التجاني، ص 142- 147).

الطرفاية : كانت واحة صغيرة في القرن التاسع عشر تابعة لقبيلة العذارى، لم يكن بها حسب الدفاتر الجبائية سنة 1852 غير 325 نخلة.

الطري، أبو يعقوب (القرن 6هـ/12م) : لم نعرفه إلا من خلال رحلة التجاني. كتب رسالة اهتم فيها بمدلولات لفظ العقل ومراتبه وربط فيها بين الأسباب وسببها الأصلي، غير أن هذا المنهج العقلاني لم يرق لأحد كبار الصوفيين بالجريد وهو أبو علي النفطي (498-610هـ/1105-1214م) الذي كتب ردا عليه أورده التجاني كاملا. ويبدو أن رسالة أبي يعقوب الطري بقيت موجودة على الأقل إلى القرن 8هـ/14م (التجاني، ص 143-146).

طنبار: إحدى قرى نفزاوة، تقع شمال تلمين على الطريق المؤدية إلى الجريد، كما تنطلق منها طريق أخرى نحو بلدة نقة غربا. وقد كانت تحتل موضعا مرتفعا، بما يجعلها تشرف على ما حولها. كانت في القرن التاسع عشر تابعة إداريا إلى وطن

شداد الذي يعود بالنظر إلى بلدة قبلي. أما اقتصاديا فكان بها سنة 1852 : 3591 نخلة وتطور ذلك إلى ما يزيد عن الخمسة آلاف سنة 1862.

الطويبة : بلدة صغيرة كانت تقع جنوبي شط الجريد غير بعيد عن مدينة درجين التاريخية، وقد كانت تابعة لبلدة الجرسين إذ لا تبعد عنها إلا بضعة كيلومترات، كما كانت تنتمي إلى صف شداد، عين عليها شيخ سنة 1887. كانت بهذه البلدة عين طبيعية محدودة الدفق، بقيت جارية إلى بداية السبعينات من القرن العشرين، وكانت مياهها تروي الواحة الواقعة غربا والتي يوجد بها في أواسط القرن التاسع عشر حوالي خمسمائة نخلة بالإضافة إلى 65 أصل زيتون. بقيت هذه البلدة مأهولة إلى أواخر الستينات حيث هجرها سكانها ليستقروا ببلدة الكليبية شرقا والتي أحدثت بها واحة عصرية منذ أواخر الخمسينات.

عام جمنة: هو عام 1296هـ/1879م، في هذا العام هاجمت قوات المحلة بقيادة مَحمد المرابط بلدة جمنة، بسبب تلكئها في إجراء عمليات الإحصاء لضبط عدد دافعي المجبى، بدعوى أنها بلدة زاوية. وقد دارت بين الطرفين معركة حقيقية يوم 25 أفريل 1879، أسفرت عن 39 قتيلا من جمنة و59 معتقلا، مقابل 21 قتلوا في صفوف القوات المهاجمة و39 جريحا. وقد تضررت جمنة من ذلك الحدث، حتى سميت تلك السنة بعام خلاء جمنة.

عام قبلي: هو عام 1274هـ/1857م، بعد أن قامت قبلي بإجارة غومة المحمودي، هاجمتها قوات المحلة بقيادة مَحمد خزندار، ودارت معركة بين الجانبين يومي 14 و15 سبتمبر 1857 ردت على إثرها قوات المحلة على أعقابها فانكفأت إلى قابس، ولكنها ما لبثت أن عادت مع تعزيزات جديدة وقامت باقتحام بلدة قبلي وتخريبها، واعتقل العديد من أبنائها وبيعت واحتها بتمامها، وحرم عل سكانها العودة إليها، ولذلك سمي بعام خلاء قبلي.

عبد الله الحاج : هو عبد الله بن إبراهيم بن أبي بكر وينتهي نسبه إلى الصحابي المقداد بن الأسود الكندي. عاش في القرن 11هـ/17م. وهو الجد المؤسس لبلدة جمنة وحاميها. تعيد الأسطورة أصله إلى الساقية الحمراء، وقد استقر بجمنة بينما كان عائدا من الحج، وتفجرت على يديه عينها. ومنه انحدرت العروش الأربعة للجمنيين وهي :

العبابسة (أولاد عباس) والوسايفة (أولاد يوسف) والسنوسية أو السنايسة (أولاد السنوسي) وأولاد مَحمد. أقيمت لعبد الله الحاج زاوية بجمنة يشرف عليها وكيل عادة ما يختار من أولاد مَحمد. كما انحدر منه عدد من الأولياء دفنوا بجمنة وخارجها من أهمهم سيدي إبراهيم الجمني بجربة، وسيدي موسى الجمني بمطماطة.

العماري : نوع من الرطب أسود اللون، هو أول ما ينضج من أصناف التمر بنفزاوة وذلك في أواخر شهر جويلية. غير أنه من نوعية رديئة، إذ أن جرم تمره صغير ونواه كبير وقشرته غليظة. أما بالنسبة لانتشاره فهذا الصنف معروف بمختلف واحات نفزاوة، لكن قلما يوجد منه أكثر من نخلة واحدة في البستان الواحد، وعادة ما يكون إنتاجه للاستهلاك العائلي.

العناد : اسم يطلق على مجموعة من ثلاث قرى بنفزاوة هي المنصورة والرابطة وطرة. وما يجمع بينها هو انتماؤها الصفي إلى شداد والعلاقات القرابية بينها. إلا أن هناك من يضيف إليها قرى أخرى مجاورة لها ومن بينها الجديدة اعتمادا على المأثور الشعبي "شاربين العناد من واد الغريق"، أي أن العناد يشمل القرى التي تسقي من عين الغريق. وتختلف الروايات في أصل هذه التسمية، إلا أنها كانت في المنطلق صفة سلبية ثم وقع الاعتراف بها، وحتى إداريا فقد كانت هذه القرى تنضوي تحت مشيخة واحدة تحمل اسم مشيخة العناد.

العوينة : هي قرية شرقي بلدة دوز. اتخذت موضعها الأول على ربوة بها عين ماء تسمى (عوينة الذيب)، وتعيد الأسطورة الفضل في انبجاس تلك العين إلى الولي عمر المحجوب الذي اختلف مع عمه الغوث وكان الجد المؤسس لبلدة العوينة. كانت هذه البلدة مثلها مثل دوز آخر المحطات الواحية في اتجاه الجنوب ولم يكن موقعها -رغم ما يمكن أن توحي به الخريطة- منزويا ولا منعزلا، إذ كان ملتقى طريقين هامين يربط أولهما نفزاوة بغدامس ويربط الثاني المنطقة بالجنوب الجزائري. أما عن سكانها فهم أولاد سلمى وأولاد عبد الله وأولاد عمر... من المرازيق. لقد ساهم سكان العوينة مساهمة كبيرة في مقاومة الاستعمار الفرنسي.

عين الغريق أو عين المنصورة : هي من أقدم العيون بنفزاوة، وهي عبارة عن مسطح مائي يتغذى من عدة منابع، تتجمع مياهها في ثلاثة أحواض رئيسية هي عين

زواوة وواد الغريق وبلاعة الحديد، وينفصل الحوضان الأخيران بجدار أرجعه البعض إلى العهد الروماني، في إشارة إلى قدم هذه العين. وقد وصف العديد من الجغرافيين والرحالة العرب هذه المجموعة المائية، وأولهم البكري الذي تحدث عن طرة ذاكرا أن "حولها عيون وبساتين". ويذكر الحميري أنها "على نهر كثيرة النخل والثمار، وحواليها عيون كثيرة". أما التجاني الذي مر بها في بداية القرن 8هـ / 14م فقد ذكر بأن عين طرة "بركة ماء متسعة حسنة المنظر، شارحة للنفس، تدخل البهائم إليها عند الشرب إلى حد معلوم لا تتجاوزه وإن جاوزته غابت في مغايض لا قعر لها، ويذكرون أن لها في كل عام رجل تقتله لا بد لها من ذلك وأكثر ما يكون ذلك في الغرباء". وفي ذلك إشارة إلى أهمية هذه العين. وفي القرن التاسع عشر كانت بهذه العين الكثير من الأسماك، وهو ما يؤشر على مدى إهمالها فلم يقع تعهدها بالحفر والتنظيف. وقد قدر صبيبها في النصف الأول من القرن العشرين بحوالي 100ل/ث، يضاف إلى ذلك العديد من العيون الأخرى التي تتخلل واحات المنصورة والجديدة والرابطة وتلمين ومن بينها عين شكنة بالجديدة وعين تلمين... وقد كان عدد نخيل تلك الواحات المتصلة ببعضها سنة 1862 أكثر من 70 ألف (البكري، 47-48 ؛ الحميري، التجاني، ص142؛ بيشفال 1889).

عين القطوسية : هي العين الطبيعية لبلدة الجرسين، وتعيد الأسطورة سبب تسميتها بالقطوسية لانتباه السكان إلى أن قطة لهم كانت مبتلة الشعر، فاقتفوا أثرها ليكتشفوا الثرى بالمكان الذي كانت فيه، فحفروه إلى أن انبجس الماء. وكان الناس يقدمون لهذه العين بعض القرابين الحيوانية، بما يذكر بعادة المصريين في تقديم القرابين البشرية لنهر النيل، وقد بقيت هذه العادة إلى بضعة عقود خلت. كانت عين القطوسية عبارة عن حوض مائي متسع به سبعة منابع رئيسية غير أن كمية الماء التي تدفعها لم تكن هامة حتى أن واحة الجرسين لم يكن بها سنة 1862 غير 2890 نخلة فقط. وفي سنة 1918 ارتفع صبيب هذه العين وقد قدر في خمسينات القرن العشرين بـ26ل/ث، وهو ما جعلها من أهم العيون بنفزاوة. وقد انعكست هذه الزيادة إيجابيا على واحة الجرسين، إذ أصبح الري مسترسلا طيلة اليوم بعدما كان ليليا، وكانت الدورة المائية تدوم 24 يوما. غير أن ما ميز هذه العين هو أن توزيع الماء بها لم يكن

على الأشخاص وإنما حسب العروش حيث يعود لكل واحد منها عدد من الوجبات التي يقع تقاسمها بين أفراده. جفت هذه العين تماما في ثمانينات القرن العشرين.

عين برمبة : موضع يقع بسفح جبل طباقة شرقي واحة المنصورة، أجريت فيه في بداية الخمسينات تنقيبات من قبل الباحثين س. آرمبورغ (C. Arambourg) ور. كوك (R. Coque) . وقد عثرا فيه على دلائل على وجود سحيق للإنسان بالمنطقة يعود إلى بدايات الزمن الجيولوجي الرابع، حيث نقبا في مستوى الفيلافرنشي وعثرا على حجارة ذات حد قاطع كانت تستعمل للصيد، كما عثرا على عظام حيوانات من بينها النمر والفيل العملاق والكركدن وغيرها. وقد نشرا نتائج ما قاما به سنة 1958. (قراقب، 1989-1990، ص 11-12 ؛ Arambourg et Coque, 1958).

عين تاورغى : هي من أقدم العيون ورد ذكرها لأول مرة في مسالك البكري التي أخذها عن مصادر تعود إلى القرن الرابع هـ/10م، حيث يقول : "ولمدينة نفزاوة عين تسمى بالبربرية تاورغى وهي عين كبيرة لا يدرك لها قعر" إشارة إلى أهمية دفقها آنذاك (البكري، 47)، ولا شك أن الأهمية التاريخية لبشري تعود في جانب كبير منها إلى أهمية هذه العين التي ألصقت بها عدة أساطير مازالت تروى إلى حد الآن، ومنها ما يتصل بأصل تسميتها إذ جاء في الأسطورة أنها قد ابتلعت عروسا على هودجها، ولما سئل عنها الخادم الذي كان يمسك برسن الجمل قال لهم : توّا رغا. وتضيف الأسطورة بأنه عثر بعد ذلك بعين الجرسين على إصبع تلك العروس. ولسنا في حاجة هنا إلى إعادة ما كتبه البكري منذ ما يزيد عن العشرة قرون من أن تسمية هذه العين ذات أصل بربري، غير أن الأسطورة تؤكد شيئا وهو أن العيون الطبيعية بنفزاوة تتبع من نفس الطبقة المائية، كما تؤكد وجود صلات بشرية بين قريتي فطناسة والجرسين. كانت عين تاورغى عبارة على حوض مائي متسع قدر منسوبه من المياه في أربعينات القرن العشرين بـ90ل/ث، وهي تقوم بري واحات بشري وفطناسة والدبابشة، وكانت هذه الواحات مجتمعة تعد سنة 1862 ما يزيد على العشرين ألف نخلة. لكن يبدو أن حفر الآبار الارتوازية منذ بداية القرن العشرين قد أثر سلبا على العيون الطبيعية ومن بينها عين تاورغى التي جفت تماما بين أكتوبر 1936 وماي 1940 ثلاث مرات متتالية، وقد نضبت تماما في ثمانينات القرن العشرين (مورو 42، ضيف الله 2000).

عيون جمنة : بالنظر إلى عدد النخيل المسجل على بلدة جمنة في القرن التاسع عشر، يمكن اعتبار عينها من أهم العيون بالجهة الجنوبية من نفزاوة، غير أن الحقيقة غير ذلك إذ أن ما سجل آنذاك يشمل إلى جانب واحتها جزر النخيل التابعة لها والمحيطة بها. ذلك أن عين جمنة لم تكن تمكن من ري مسترسل طوال اليوم، وإنما كان حوضها يسد هو الآخر نهارا ليوزع ما تجمع به من الماء ليلا، وكانت الدورة المائية تدوم 11 ليلة وكانت لكل واحدة من الليالي اسمها كليلة الشُّرُف. كما كان بكل جزيرة من الجزر المحيطة بجمنة عيونها الصغيرة، وكانت الوحدة الزمنية لتوزيع الماء بها أيضا الليلة، إذ كانت هذه العيون تسد نهارا ويوزع ماؤها ليلا، ويمكن أن نذكر من بينها عين جزيرة حمو، حيث كانت الدورة المائية تدوم 35 ليلة، وجزيرة السليمانية حيث كانت الدورة تدوم ثماني ليال وجزيرة تمدامر حيث كانت الدورة المائية تدوم 11 ليلة، وكذلك عين جزيرة المنصورية...

غريب : هي كنفدرالية قبلية مجالها غربي نفزاوة وصولا إلى منطقة الوادي بالجزائر وبلاد الجريد فضلا، كانت إلى القرن العشرين تعيش على التنقل والترحال ثم استقرت شيئا فشيئا بالعديد من القرى بنفزاوة مثل الصابرية والفوار والمطروحة وبشني والرجيم وغيدمة وغيرها. تتكون كنفدرالية غريب من أربعة عروش كبرى هي: الصابرية وقعود وعوينة راجح والصلاعة. غير أن هذه العروش لا تنحدر من جد واحد. وحتى داخل كل واحد من تلك العروش فإن لكل لحمة مرجعيتها من ذلك مثلا بالنسبة للصابرية، نجد أن شبيب يعتبرون أنفسهم السكان الأصليين لبلدة الصابرية وأن جدهم هو سيدي غانم، بينما يشترك الكرايمة والرحامنة والبيضان في أن جدهم هو سيدي المختار. وينحدر الفضيليين من المرابطة أمي هندة دفينة عوينة راجح. كما تختلف عروش غريب من حيث انتمائها الصفي، من ذلك أن الصلاعة والفضيليين كانوا من صف يوسف بينما كان الصابرية وقعود من صف شداد. من جهة أخرى، كان غريب يعتبرون أولاد زاوية فكانوا معفون من دفع الضرائب حيث لا نجد لهم أثرا في دفاتر المجبى في القرن التاسع عشر (ميلود، ص 108-111).

غليسية : كانت مركز قبيلة العذارى في جنوب نفزاوة، يعودون إليها في فصل الخريف لجني التمور والزيتون، إلا أنها كانت في أواسط القرن التاسع عشر ذات واحة صغيرة، إذ كانت تعد 325 نخلة سنة 1852 و29 أصل زيتون، وتطور هذا

العـــدد بعد عشر سنوات على التوالي إلى 655 نخلة و45 أصل زيتون(أوجيـــاس، ص 51؛ بنبلغيث، "النخيل بنفزاوة..."، ص 570).

الغماري النفزاوي، أبو بكر بن فتح (النصف الثاني من ق7هـ/13م-بداية القرن 8هـ/14م) : فقيه وشاعر، استغرب التجاني وجوده بنفزاوة عندما زارها سنة 706هـ/1307م وذكر أن "له التقدم في حسن الخط وهو انفرد فيه بطريقة اخترعها لم تعرف قط في أنواع الخط المعدودة، وبرع فيها في وقتنا هذا جماعة من أهل الجريد أخذوها عنه"، كما أورد التجاني في رحلته البعض من شعره (التجاني، ص 147-177).

الغول، عبد الله (1910-1950) : أحد الثوار على الاستعمار الفرنســـي. ينحـــدر عبد الله بن عمر بن محمد الغول أصيل بلدة العوينة من عائلـــة ســـاهم أبناؤهـــا فـــي انتفاضتي 1915 و1943 واستشهد فيهما عدد منهم، فقد شارك والده عمر في انتفاضة الجنوب سنة 1915 ثم تشرد بعد فشلها في الصحراء حتى تمكنت السلطات الفرنســية من القضاء عليه سنة 1924. ونشأ أبناؤه على روح الرفض والثورة ومن بينهم عبـــد الله. ولد عبد الله الغول قبل خمس سنوات فقط من التحاق والده بالانتفاضة، ونفي مـــع عائلته صغيرا إلى بني خداش. وعندما شب عمل في قطاع الفلاحة وتربية الماشية إلى أن اندلعت الحرب العالمية الثانية، إذ كشفت هذه الحرب عن حدود القـــوة الفرنســـية وعجزها أمام قوات المحور، فكان ذلك حافزا له لكي يظهر حقده على الفرنسيين. لقد كان عبد الله الغول من أوائل الذين رفعوا السلاح ضد الفرق الفرنســـية الصـــحراوية المرابطة بالجنوب الغربي، إذ كان أحد سبعة سلمهم الإيطاليون السلاح للـــدفاع عـــن الحمى، فكان أحد مفجري انتفاضة المرازيق في غرة جانفي 1943، وشارك فيما بعد في أغلب الاصطدامات مع الفرنسيين وخاصة منها تلك التي وقعت بقصـــر تارســـين ودوز في ماي 1944 وبئر الأدنس وطويل الصابرية في جوان 1944، وفي آخر ذلك الشهر انقسم المجاهدون إلى ثلاث مجموعات ضمت إحداها أبناء الغول الذين توجهوا نحو جبل مطماطة واصطدموا عديد المرات مع القوات الفرنسية، وقد جرح عبـــد الله في إحدى تلك المصادمات قبل أن يتوغل مع أصحابه في التراب الليبي؛ لكن القـــوات الأنقليزية ألقت عليه القبض في بداية 1948 رفقة اثنين من مجموعته وسلموا للسلطات الفرنسية. غير أن عبد الله الغول تمكن من الهرب من السيارة التي كانت تنقلـــه مـــن تطاوين إلى بني خداش، فانتقم الحراس من رفيقيه بأن أطلقوا عليهما النار فقتلوهمـــا.

أما هو فقد تحول إلى منطقة الغياليف قرب الحامة بحثا عن رفاقه القدامى ثم اتجه نحو الوطن القبلي، لكن تم اكتشاف أمره وألقي عليه القبض من جديد وقدم للمحكمة العسكرية الفرنسية التي حكمت عليه بالإعدام سنة 1949 ونفذ فيه ذلك الحكم يوم 20 نوفمبر 1950 (المرزوقي، **ثورة المرازيق**، ص 55 وما بعدها ثم ص 126-128 و150-153. كذلك شهادة ابنه السيد محمد الغول).

الغياليف : إحدى القبائل البدوية بنفزاوة وتمتد مراعيهم بالظاهر والبحاير. لهم مزار محاذ لواحة قبلي. وقد دفن جدهم ابن غيلوف في القرية التي تنسب إليه قرب بلدة الحامة. كانوا يعتبرون في القرن التاسع عشر أحد العروش المكونة لأولاد يعقوب، حيث كانوا يعودون بالنظر إلى شيخ هذه القبيلة، وكانوا طبقا لذلك يقومون بدور في ترشيح هذا الشيخ، من ذلك أن خمسة عشر من رجالهم ضمنوا في أكتوبر 1894 في ترشيح محمد بن نصر بن عبد الصادق لمشيخة أولاد يعقوب، علما وأن عدد الضامنين وصل آنذاك إلى 93 شخصا ينتمون إلى مختلف العروش بالإضافة إلى أهالي نقة. لعب الغياليف دورا كبيرا في حركة المقاومة المسلحة في بداية الخمسينات، واستشهد منهم حوالي السبعة (أ. و.ت ؛ ضيف الله، 2005، سعيد، البشير القريوي).

الفرع الزيتوني بنفزاوة : تأسس هذا الفرع بقبلي سنة 1949 وقد أسندت إدارته إلى الشيخ محمد بن سليمان العويني. ساهم أبناء نفزاوة في العناية بهذا الفرع من خلال توسعة الجامع الذي يحتضنه وبناء قاعتين لتدريس الرياضيات وإصلاح مدرسة سكنى الطلبة. وكان يدرس به خلال السنة الدراسية 1949-1950 حوالي مائتين وخمسين تلميذا. وله الفضل في توجيه العديد من أبناء نفزاوة للتعليم. أغلق الفرع الزيتوني بنفزاوة سنة 1961،

فرعون : واحة قرب مدخل شط الجريد تقع شرقي بلدة بشري. ذكر التجاني في بداية القرن 14م أن جميع الأهالي يعتقدون أن قد غرسها فرعون وأن تمرها مباح لمن مر بها من الغرباء (التجاني، ص 142).

الفزاني : نوع من أنواع التمور، ينضج في سبتمبر، كثير الحلاوة. يبدو أنه جيء به من منطقة فزان الليبية ومن هنا جاءت تسميته.

فطناسة : تقع هذه البلدة قرب مدخل شط الجريد وغير بعيد عن بلدة بشري العاصمة التاريخية لنفزاوة، وربما كانت حيا تابعا لها. وقد استمدت اسمها من اسم قبيلة فطناسة البربرية التي تنحدر من قبيلة مزاتة. كانت فطناسة في القرون الإسلامية الأولى مركزا إباضيا هاما إذ يروي سليمان بن عبد الله بن شكر الفطناسي المزاتي أنه أدرك بها في أواسط القرن 5هـ/11م اثني عشر مسجدا، وهو ما يدل على أهميتها الديمغرافية واتساع رقعتها. لكن يبدو أنها اتجهت نحو التراجع خاصة بعد أن انتقلت عاصمة نفزاوة من بشري إلى قبلي مع بداية العهد العثماني (أبو زكرياء، ص 328-329).

الفطيمي : ويسمى أيضا **العليق**، وهو من أحسن أصناف التمور مباشرة بعد الدقلة، ويشبهه من حيث الحجم أو يفوقه قليلا، ويختلف عنه من حيث لونه إذ للعليق لون داكن، كما أن له نكهة خاصة، وهو صالح للخزن ولا يؤثر النقل على نوعيته. ولذلك كان يعرف بمختلف أسواق البلاد التونسية، كما أنه أدخل كمكون في الحلويات التقليدية وعلى رأسها المقروض. ولا شك لدينا أن ذلك في علاقة مع عراقته حيث نعتقد أنه عرف بواحات نفزاوة منذ عدة قرون، والدليل على ذلك كثافته في الواحات القديمة، وفي منتصف القرن التاسع عشر كان يوجد بست عشرة واحة في مقدمتها واحة المنشية بما يفوق ألفي نخلة ثم بأكثر من ألف نخلة بكل من واحات تلمين وفطناسة وقبلي.

قبلي : تقع قبلي بوسط منطقة نفزاوة وكانت إلى أواخر القرن التاسع عشر بلدة تتوسط واحتها إذ تحيط بها أشجار النخيل من كل الجهات وتتميز بموضع مرتفع نسبيا عما حولها من بساتين لكي لا تغمرها المياه المتدفقة بقوة أو التي يملأ بها الخندق المحيط بالسور. وقد ساهم موضعها داخل الواحة في حمايتها من الرياح وزحف الرمال التي عرفت بها المنطقة. كان عدد سكان قبلي سنة 1889 حوالي 675 نسمة، غير أن هذا العدد ما فتئ أن تزايد بما ساهم في تغيير موضعها الأول وخروجها من وسط الواحة، وهي ليست المرة الأولى التي يحاول فيها القبلاوية مغادرة البلدة القديمة إذ قد ظهر حي جديد خارج الواحة يسمى الجدايد. أما المكان الذي اختاره الفرنسيون، فقد حرصوا على تطويره لجعله نقطة جذب ومراقبة للسكان. وبالفعل فقد مكن قبلي من أن تصبح أول نقطة بعد تجاوز جبل طباقة ومنها تنطلق الطرقات المؤدية إلى

أطراف نفزاوة الثلاثة : الجنوبي (جمنة/دوز) والجنوبي الغربي (بشلي/الجرسين) والشمالي الغربي (تلمين/بشري). ولهذا الموقع الجديد أهمية عسكرية إذ أنشأت السلطات العسكرية به ثكنة مراقبة وأصبح مركزا إداريا لنفزاوة. وبالعودة إلى البلدة القديمة، فإنها من ناحية مورفولوجية تتمركز حول المسجد الجامع بصومعته المتواضعة، وتجاوره غربا الرحبة التي كانت تقوم مقام السوق حيث كانت تتواجد أغلب الدكاكين التجارية وتمتد المساكن شرقا وغربا. أما التخطيط فهو غير منتظم إذ أن الأنهج ضيقة وملتوية وتفضي إلى ساحات كانت تساهم في تهوئة البلدة المكتظة بالسكان وتصلح مجالا للعب الأطفال. وكانت بلدة قبلي مسورة ولها أبواب تغلق ليلا أو أثناء الهجومات على البلدة، وهذه الأبواب هي :باب البودي شرقا، وباب الزاوية وباب الشباك شمالا، وباب ارتينه غربا، وباب الرحبة جنوبا. وإضافة إلى السور الذي تهدم جزء منه سنة 1857، كان يحيط ببلدة قبلي خندق يملأ ماء للحيلولة دون دخولها من قبل المهاجمين. وقد بقي هذا الخندق إلى سنة 1903 حيث تحول إلى طريق دائري يفصل بين البلدة وبساتينها. أما البلدة الجديدة فقد أقيم بها سوق وثكنة ومركز إداري كما وقع احترام الإنتماء القبلي والوظيفة الاقتصادية في التنظيم المجالي للبلدة، إذ تكون حي النزلة ليستقبل سكان قبلي القديمة الذين كانوا يشتغلون بالفلاحة بصورة تكاد تكون مطلقة. وبغربي السوق أقام اليهود منازلهم لتكون قريبة من متاجرهم. أما بشرقيه فقد استقرت مجموعات من أولاد يعقوب وحمل ذلك الحي اسمهم، وكانوا يقومون غالبا بالوظيفة الإدارية والعسكرية. وتجدر الإشارة إلى أن تخطيط هذه الأحياء كان متعامدا وذلك يعكس التأثر بالنمط الغربي الذي سعت السلطات الإستعمارية إلى نشره. أما من الناحية التاريخية فاعتمادا على ما يوجد بقبلي من حجارة مهندمة وبقايا أعمدة وتيجان أعاد بعض المهتمين وجود هذه البلدة إلى العهد الروماني لكنهم اختلفوا في اسمها القديم. فالباحث شارل تيسو (Ch. Tissot) اعتبرها محطة (Ad Templum) المذكورة في مسلك أنطونينوس ويدلل على ذلك بوجود آثار بدت له أنها بقايا معبد استمدت منه البلدة اسمها. أما الضابط العسكري الفرنسي دونو (Donau) فقد لاحظ أن المسافة بين تلمين أو تريس تماليني وقبلي لا توافق الاثني عشر ميلا التي ينص عليها مسلك أنطونيوس والتي تفصل عاصمة نفزاوة عن Ad Templum، واعتبر أن هذه الأخيرة ليست سوى بشري. ولم تفت

مسألة المسافة تيسو إلا أنه يفصل بين موقعي Tamallen و Turris Tamalleni حيث أن الأولى هي تلمين والثانية هي أم الصمعة، وهذه الأخيرة تبعد عن قبلي باثني عشر ميلا. غير أن الباحث بول تروسي (P. Trousset) يرى أن Ad Templum قد تكون جمنة وليست قبلي أو بشري. ومهما يكن اتجاه هذه الإفتراضات أو النقاشات فإن قبلي تبدو قديمة فعلا. أما في التاريخ الإسلامي فقد ورد ذكرها فيما يبدو في القرن 2هـ/8م، إذ أن أحد علماء الإباضية الخمسة كان يسمى أبو داود القبلي النفزاوي. فهل أنه نسب إلى قبلي أم أنها نسبت إليه وتخلت عن اسمها القديم؟ يبدو أن كلا الاحتمالين وارد. وقد ذكرت قبلي لأول مرة بوضوح في رسم حجة تعود إلى عهد السلطان الحفصي أبي عمرو عثمان (839-894هـ/1435-1489م) الذي حبس بستان قرقدة المعروف إلى اليوم على إحدى الزاويا بالعاصمة، وقد انتقلت ملكيته بعد ذلك وصولا إلى الجمنيين وفي بداية القرن السادس عشر ألح في طلبه الولي أبو الغيث القشاش إلى أن تمكن من ضمه إلى أحباسه. غير أن موقع بلدة قبلي الذي كان دون أهمية موقع طرة جعلها لا تلعب دورا تاريخيا في القرون العشرة الأولى من الوجود العربي الإسلامي، فلم يرد ذكرها في كتب الرحالة والجغرافيين العرب. ومع ذلك يمكن أن نؤكد أنها كانت آنذاك بلدة بربرية. وفي القرن 10هـ/16م، وفدت إليها عناصر بشرية جديدة تنحدر من قبيلة المحاميد الطرابلسية فاستطاعت البلدة الهادئة حتى ذلك الحين أن تحتل موقعا جديدا في نفزاوة، إذ أن المحاميد الذين سيسمون أولاد بلوم لعبوا منذ قدومهم دورا قياديا بالمنطقة فكانوا يجمعون الضرائب باسم باشا طرابلس في البداية ثم أصبحوا تابعين لإيالة تونس. ومنذ القرن 12هـ/18م، برزت قبلي بقيادتها للشق المناصر لعلي باشا في الفتنة الحسينية الباشية، وعندما عاد الحسينيون إلى السلطة سنة 1170هـ/1756م لم تسلم قبلي بهزيمة علي باشا فانتفضت ضد أبناء حسين بن علي مما جعل السلطة المركزية ترسل إليها محلة لإخضاعها فمات عدد هام من سكانها. وفي نهاية ذلك القرن فقدت قبلي البعض من نفوذها على نفزاوة لصالح تلمين التي كانت تقود صف يوسف بينما اقتصر دور قبلي على قيادة صف شداد، وأصبح الصراع يحتد حينا ويخفت آخر بين هاتين العاصمتين إلى أن استجار غومة المحمودي سنة 1857 بالحاج حمادي بن بلقاسم خليفة قبلي، فأجاره في الوقت الذي قررت فيه السلطة المركزية توجيه محلة لطرده، غير أن البلدة

كبدت القوات الحكومية في أواسط سبتمبر من تلك السنة هزيمة قاسية مما أجبرها على العودة إلى قابس وطلب قائدها تعزيزات جديدة تمكن بفضلها من دخول البلدة بعد شهرين وقام بتدميرها وبيع واحتها إلى القرى المعادية لها فسمي ذاك العام بعام قبلي. لكن يبدو أن أهالي قبلي قد استعادوا أملاكهم بعد أن سمحت لهم السلطة المركزية بشرائها من جديد وكان ذلك سنة 1860. أما إداريا فقد استطاعت قبلي أن تتجاوز الوضعية الإستثنائية التي وجدت فيها بسبب مواجهتها للمحلة، فاستعادت دورها القيادي بنفزاوة وتزامن ذلك مع بروز شخصية أحمد بن بلقاسم بن حمادي الذي سمي في البداية شيخا ثم خليفة لصف شداد وأخيرا كاهية على نفزاوة، وقد حافظت قبلي على دورها كعاصمة لنفزاوة إلى حد الآن (تروسي، ص 41-48؛ العزابي (المنوبي)، "نبذة من تاريخ نفزاوة"، في، **أضواء**، ع 4، 1977، ص 26 ؛ عيسى، ص 124-125 ؛ ضيف الله، **المجتمعات المائية**، ص 53-66 ؛ بنبلغيث، "كفاح الشيخ غومة...").

قرقدة : اسم أحد البساتين بواحة قبلي، يقع شرقي البلدة، ورد ذكره لأول مرة في رسم حجة تعود إلى القرن الخامس عشر الميلادي، وقد حبسه السلطان الحفصي أبو عمرو عثمان (839-894هـ/1435-1489م) على إحدى الزاويا بتونس العاصمة. غير أنه بيع بعد ذلك حتى وصلت ملكيته للجمنيين، ثم طالب به المرابط أبو الغيث القشاش وآل إليه في الأخير وكان ذلك في بداية القرن السابع عشر، ثم انتقل حبسه إلى الزاوية البكرية بتونس. وفي القرن التاسع عشر كان به حسب الدفاتر الجبائية بين 110 و120 نخلة، كلها شكان. (عيسى، ص 124-125).

قرى نفزاوة : عرفت نفزاوة منذ القديم حياة الاستقرار، إذ كانت منابع المياه عاملا أساسيا في نشوء الواحات والانتقال إلى الاقتصاد الزراعي، فكانت تنشأ قرب تلك الواحات قرى تتفاوت أهميتها حسب أهمية دفق العيون الطبيعية، وعندما تنضب المياه يرتحل السكان إلى مناطق أخرى للبحث عن ظروف مواتية، فتتقلص واحاتهم القديمة وتتحول إلى مجرد جزر نخيل، ومن أمثلة ذلك قلعة درجين التي خربت في القرن الخامس هـ وكذلك الطويبة وإبنس إذ رحل عنهما سكانهما في النصف الثاني من القرن العشرين. من جهة أخرى عرفت نفزاوة منذ القديم بكثرة تجمعاتها السكنية، فقد ذكر اليعقوبي في ق3هـ/9م أن "نفزاوة عدة مدن" وأضاف معطى آخر بقوله : "يحيط بالمدائن التي تلي القبلة الرمال"، وهو بلا شك يقصد قرى جنوب نفزاوة التي مازالت

تعاني من زحف الرمال. وعندما جاء التجاني إلى المنطقة في بداية ق 8هـ/14م. اجتاز في طريقه من طرة إلى بشري "قرى كثيرة منها قرية تعرف بكليكل وقرية تعرف بياسك وقرية تعرف ببني يوسف وقرى سواها"، وأكد ابن خلدون في نهاية ذلك القرن ظاهرة تعدد القرى بنفزاوة. واعتمادا على المصادر المكتوبة توصلنا إلى وضع قائمة تضم ثلاث عشرة قرية هي : بشري، طرة، تيمليمن أو تلمين، قلعة درجين، درجين السفلى الجديدة، الجرسين، فطناسة، نقة، شيطان، تيزاج أو تنزاج، ياسك، كليكل، بني يوسف. وانطلاقا من هذه القائمة يمكن إبداء الملاحظتين التاليتين : أولاهما أن خمسة من تلك القرى لم نستطع تحديدها ولعلها الأسماء القديمة لبعض القرى الموجودة إلى حد الآن من ذلك أن ياسك قد تكون قرية الرابطة الحالية، والدليل على ذلك أن أحد بساتينها يحمل إلى حد الآن هذا الاسم (الياسكي). أما الملاحظة الثانية فهي أن تلك القائمة يمكن أن تتسع لتشمل عددا آخر من القرى خاصة إذا أمكننا الاطلاع على الوثائق الخاصة من عقود ملكية وأحباس وغيرها والتي مازال أصحابها يحتفظون بها وقد لا يقدرون قيمتها التاريخية. أما بالنسبة للتاريخ الحديث والمعاصر، فإن الوثائق تؤكد كثرة القرى بالمنطقة، وقد ذكر الكومت فيليبي سنة 1829 أنه يوجد بها حوالي خمسين قرية بعدما كان عددها مائة، ويبدو أنه اعتمد في ذلك على مأثور شعبي يقول : "نفزاوة مائة بلاد وبلاد"، ولا شك أن الرقم الذي يقدمه هذا النص يحمل دلالة مجازية إذ لا يعدو أن يكون تعبيرا عن كثرة القرى، وهو معطى أكدت عليه المصادر القديمة ويشهد الواقع الحالي بصحته. أما بيشفال فقد أحصى في ثمانينات القرن التاسع عشر 48 قرية. (اليعقوبي، **البلدان**، ص 102 ؛ التجاني، **الرحلة**، ص 153 ؛ ابن خلدون، ج 6، ص 419 ؛ مونشيكور، ص 256 ؛ بيشفال، 99).

القصبي : أحد أنواع الرطب يستمد اسمه من طوله. وهو ينضج في شهر أوت ولا يقع تخزينه.

القصر الأحمر : اسم بلدة كانت تقع في الجهة الجنوبية من نفزاوة، يذكر اسمها بالقصور الموجودة بأقصى الجنوب الشرقي، وهو ما يجعلنا نفترض أنها بنيت على غرارها ولنفس الأغراض خاصة وأن سكانها كانوا يقضون أغلب السنة في الترحال. اتخذها الحوامد في بداية العصور الحديثة مستقرا لهم، وفيها دفن جدهم سيدي حامد الذي ينحدر من الأشراف الأدارسة. وعاش فيها ثلاثة أجيال منهم، ولكن محدودية

ثروتها المائية دفعت الجيل الرابع بقيادة حامد الصغير إلى البحث عن مكان آخر للاستقرار فتوغل داخل شبه الجزيرة وأنشأ بلدة المنشية. لكن القصر الأحمر لم يخل تماما من أهله إلا في القرن التاسع عشر، إذ هجروها إلى بلدة جمنة المجاورة، وتحولت إلى مجرد جزيرة نخيل، وكانت تعود لأهلها حسب الدفتر المؤرخ سنة 1852: 552 نخلة و725 بعد عشر سنوات بالإضافة إلى ما يعود لزاويتهم من أحباس ببعض الواحات الأخرى ومن بينها واحة قبلي، كما كان بواحة القصر الأحمر 19 أصل زيتون. (الشيباني 239، بيشفال 1889 ؛ نانسي وديمبروجيو، 33).

القطعاية : احتلت هذه البلدة موضعا مرتفعا يحيط به الشط من جميع الجهات، وكانت تابعة إلى صف يوسف. أما سكانها فإن أغلبهم في الأصل من قبيلة الصلاعة من أحفاد الولي محمد الصليعي. كانت واحة القطعاية تعد سنة 1862 حوالي ألف نخلة و156 أصل زيتون بما يجعلها من أصغر الواحات وذلك يؤشر على ضعف منسوب عينها من جهة وإحاطة الشط بها من جهة أخرى (الشيباني 2001، ميلود، 111).

القلعة : كانت هذه البلدة تحتل ربوة تمكنها من الإشراف على المنخفضات المحيطة بها، فاستمدت اسمها من موضعها المرتفع الذي جعلها تبدو منيعة كالقلعة والذي لفت من جهة أخرى اهتمام الباحثين الأثريين. فقد اعتقد دونو Cdt Donau أن موضع القلعة قد يخفي آثارا رومانية وذهب الباحث شارل تيسو Ch Tissot إلى اعتبارها محطة Aggarsel وجاراه في ذلك نانسي وديمبروجيو وقد ورد ذكر أقارسال في لوح بونتنقار Table de Peutinger، غير أن تروسي يؤكد أنه لم توجد بها مواد أثرية قديمة. كانت القلعة في القرن التاسع عشر تابعة إلى وطن يوسف، وكانت واحتها تضم سنة 1862 ما يقرب من خمسة آلاف نخلة بما يجعلها أهم من دوز آنذاك، كما كان أصحابها يملكون عددا من أصول الزيتون الموجودة بالجزر المحيطة بها ومن أهمها السليمانية والنعيمات والسعدية وقراد والبيضاء والخضرية... وقد اختيرت في بداية العهد الاستعماري لتكون عاصمة لنفزاوة قبل أن يسند هذا الدور إلى قبلي (تروسي، ص 49؛ بيشفال).

القليعة : لا شك أن هذا الاسم يدل على الدور الدفاعي لهذه البلدة التي كانت تحتل موضعا مرتفعا بالسفح الجنوبي لجبل حلوص، وكان سكانها ينسبون إليه إذ كانوا يسمون الحلالصة. ثم بدلت البلدة موضعها إذ اتجه أهلها للنزول إلى الموضع الحالي

المنبسط مقتربين من واحتهم. أما اقتصاديا فقد كان عدد نخيلها سنة 1852 يقرب من ثمانية آلاف وفاق العشرة آلاف سنة 1862 وهو ما مكنها من احتلال المرتبة السادسة في وطن شداد، عشر ذلك النخيل من نوع الحرة الذي كان يعتبر من الأصناف الجيدة، كما كان يوجد بواحتها 676 أصل زيتون (برابان 79، الشيباني، 2001، 239 وما بعدها).

الكعبي : قرية صغيرة توجد داخل واحة قبلي، غير بعيد عن البرج الذي ابتناه أحمد بن بلقاسم لنفسه. غير أن الكعبي لم تكن تحت سلطته إذ كانت تنتمي آنذاك إلى وطن يوسف الذي يعود بالنظر إلى خليفة تلمين. تعيد أسطورة التأسيس سكان الكعبي إلى ثلاث مجموعات جاءت اثنتان منها من البلاد الليبية وهما السلاسلة والعمايرة، وجاء الزغاديد من الساحل، وكان ذلك في تواريخ مختلفة. ولا شك أن موقع الكعبي غير بعيد عن رأس العين يعطيها أهمية بالغة، غير أن البلدة تعرضت إلى وباء في النصف الأول من القرن التاسع عشر فتحول سكانها عنها إلى كدوة زريات. كان أهالي الكعبي يملكون سنة 1852 ما يقرب من ثلاثة آلاف نخلة وارتفع ذلك العدد بحوالي الألف نخلة بعد عشر سنوات، وكان أكثر من عشر ذلك النخيل من نوع الكنتة الموجه للتسويق (أ.و.ت دفتر 1681 ؛ نانسي وديمبروجيو 31؛ الشيباني 2001).

كلوامن : قرية توجد على الطريق الغربي لنفزاوة، سكانها من المكاشرة من أولاد يعقوب. كانت تنتمي إلى صف شداد، وكان بواحتها سنة 1862 حوالي ألف نخلة فقط وبضعة أصول زيتون. اشتهرت بما تنتجه نساؤها من برانس (ديمبروجيو نانسي، ورقة 95؛ الشيباني، 2001، ص 241 ؛ بيشفال 108).

الكنتة : كانت قبل إدخال الدقلة تعتبر من الأصناف الجيدة من التمور، بعد كل من العليق والحرة، وهي ذات لون فاتح ويمكن تخزينها ولا يؤثر نقلها على جودتها. وكانت تجد بعض الرواج في الأسواق التونسية. وتختلف الكنتة عن الكنتيشي المعروف بالجريد، إذ أنها أكبر منه حجما، وإن كانت تشبهه من حيث الصلابة. وكانت في منتصف القرن التاسع عشر توجد في 15 واحة خاصة منها الواحات التي تروى من عيني المنصورة (حوالي 8 آلاف نخلة) ورأس العين (حوالي ألفي نخلة)، وعلى رأس تلك الواحات تلمين والجديدة بما يفوق 4 آلاف نخلة، ثم الرابطة بنصف هذا العدد (الشيباني 2001، 243-244).

اللاقمي : ربما تعود هذه الكلمة إلى أصل لاتيني (lacrima) وقد حذف منها حرف الراء، كما ذهب إلى ذلك الأستاذ إبراهيم بن مراد، وهذه الكلمة تعني الدمع والقطرة تتحدر من صموغ النباتات والأشجار. واللاقمي شراب يستخرج من النخل بعد أن يقتطع جريده الوسطي من أساسه فلا يبقى منه غير الجمار، فيشتغل عليه الفلاح يوميا بما يسهل للسائل الخروج من الجمار والانسياب قطرة قطرة نحو إناء معد لذلك. ويشرب اللاقمي في الساعات الأولى من إنزاله، حيث يكون عذبا، وهو شراب ومغذي فإن تجاوز ذلك أو كان الطقس حارا فإنه يتحول إلى شراب مسكر. كان سكان نفزاوة يلجؤون إلى شراب اللاقمي في الربيع. وهو يباع في القرى الهامة مثل قبلي بالكأس (بن مراد، ص 361-362).

ليماقس : هي موقع ماقس (Maggs) الروماني حسب الكونت فيليبي الذي زار المنطقة سنة 1829. كانت هذه البلدة صغيرة جدا في القرن التاسع عشر حتى أن عدد سكانها في نهاية الثمانينات كان في حدود 26 نسمة فقط، وكان بها آنذاك منزلان من الحجارة، وبها ولي محلي هو سيدي عبد اللطيف. وكانت تابعة إلى وطن شداد. آل جزء هام من ملكية واحتها سنة 1906 إلى بعض الأفراد من الغياليف والمقارحة. إداريا كانت في القرن التاسع عشر تابعة لمشيخة قبلي إذ لا تبعد عنها إلا باثني عشر كيلومتر، ثم ألحقت في العهد الاستعماري بمشيخة المنصورة، وقد اكتسبت بعض الأهمية عندما هيئت بالقرب منها الطريق المؤدية إلى قابس عوضا عن الطريق التي تمر جنوبي جبل طباقة. أما اقتصاديا فقد كانت من أصغر واحات وطن شداد، إذ لم يكن بها سنة 1852 إلا 412 نخلة فقط (أ.و.ت، 1681 ؛ ضيف الله 2000، بيشفال 1889، شهادة البشير القريوي).

المدرسة الابتدائية بقبلي : هي أول مدرسة تتأسس في نفزاوة في عهد الحماية، وقد بقيت حتى أواخر الستينات تسمى مدرسة البنات. كانت تعد سنة 1900: 36 تلميذا، وتضاعف هذا العدد تقريبا في العشرينات والثلاثينات كما يبينه الجدول التالي:

السنة	العدد
1926	62
1927	73
1937	72
1938	89

من خلال هذا الجدول نلاحظ أن المدرسة بقيت في حالة استقرار بين 1927 و1937. وقد كان التلاميذ المسلمون يشكلون بها أغلبية مطلقة، وفي حين ارتفع عددهم بين 1927 و1938 من 49 إلى 63، انخفض عدد التلاميذ اليهود من 22 إلى 20، وارتفع عدد التلاميذ الفرنسيين من اثنين إلى 6. أما بالنسبة لعدد الفتيات فقد ارتفع من 4 إلى 6 بين 1927 و1938، ولم تكن تدرس بها فتيات مسلمات سنة 1938 بعد أن كانت بها فتاة مسلمة واحدة سنة 1927. أما عن الإطار التربوي، فقد كان بها خلال هذه الفترة معلمان أحدهما للفرنسية وآخر للعربية. في سنة 1949 انتقد الأهالي نظام التعليم بالمدرسة حيث كان التلاميذ يدرسون حصة واحدة يوميا. وفي سنة 1955 طالبت المنظمات القومية بالمنطقة بإيجاد قسم تكميلي بها (**الزهرة**، 11-12-1949؛ **صوت العمل**، 17-9-1955، ص4؛ Statistique générale de la Tunisie, 1927 et 1938).

المرازيق : هي إحدى أهم قبائل نفزاوة، يمتد مجالها جنوب المنطقة ولها قاعدتان هما دوز والعوينة. يذكر الضابط الفرنسي بيشفال الذي خالطهم أن المرازيق قدموا من بلدة شكشوك بليبيا، وأن جدهم سيدي مرزوق بن عبد الله هو الذي جاء إلى المنطقة، وأنه خلّف ولدين هما سيدي أحمد الغوث ومنه تنحدر عروش دوز وسيدي عمر المحجوب ومنه تنحدر عروش العوينة. وتتمثل تلك العروش في أولاد منصور وأولاد يحي والعبادلة والعمايرة بدوز الشرقي، والجلايلة وأولاد عون والرواشدية وأولاد عبد النور والعبيدات بدوز الغربي، وبالعوينة أولاد سلمى وأولاد عبد الله وأولاد عمر... أما عن أصولهم الإثنية فيذكر بيشفال أن المرازيق هم من العرب المستعجمة، ويرى بيار مورو أنهم ينحدرون من البربر، إلا أن محمد وعلي المرزوقي يؤكدان أنهم من عرب بني سليم. كانت قبيلة المرازيق معفاة من دفع المجبى على أساس أنها قبيلة زاوية، واستمر ذلك إلى سنة 1907. إلا أن المفارقة أنها كانت في نفس الوقت تنتمي إلى صف يوسف، وكان أبناؤها يشاركون في الصراعات ضد صف شداد من ذلك أنهم شاركوا سنة 1857 في الهجوم على غومة المحمودي عندما كان لاجئا ببلدة الجرسين، وفي سنة 1869 ناصروا أولاد يعقوب ضد خليفة قبلي أحمد بن بلقاسم. وعند احتلال المنطقة سنة 1882 قدم أغلب أعيان المرازيق إلى الجنرال فيلبار للتعبير له عن خضوعهم، في حين أن عددا من أبناء العوينة أعربوا عن رفضهم للاحتلال من خلال هجرتهم إلى ليبيا رفقة علي بوعلاق، كما ساعد المرازيق الثوار التونسيين

القادمين من ليبيا للقيام ببعض العمليات ضد المصالح الفرنسية (1886). وفي سنة 1887 حوكم البعض منهم بالسجن والغرامة لرفضهم إعطاء معلومات طلبها منهم ضابط الاستعلامات الفرنسي. وشارك عدد وإن كان محدودا من المرازيق في ثورة 1915 بالجنوب التونسي وقاموا سنتي 1943-1944 بانتفاضة كبيرة وواجهوا القوات الفرنسية في العديد من المعارك. أما اقتصاديا، فقد كانت واحة دوز تعد عام 1862: 4500 نخلة فقط، كما كان المرازيق يمتلكون بعض البساتين بواحات قبلي وتلمين ونقة. وكانوا خلال المواسم الممطرة يزرعون الحبوب في وادي المرقب وفي الأودية المجاورة بشرقي نفزاوة. إلا أن اقتصادهم كان يرتكز بالأساس على تربية الماشية وخاصة منها الضأن بنسبة 33% من قطيع نفزاوة سنة 1946 و31% من قطيع الماعز و22% من قطيع الإبل. إن أهم ما عرفته قبيلة المرازيق خلال الفترة المعاصرة هو اتجاهها التدريجي نحو الاستقرار، فبعد أن كانوا يقضون أغلب أشهر السنة في الترحال بأقصى الجنوب والعودة إلى دوز عند جني التمور، أصبحت فترات الترحال تتقلص حتى عُدّوا في منتصف الأربعينات من أنصاف الرحل (بيشفال 114-123، المرزوقي، مورو).

المرزوقي، مَحمد بن مصطفى بن علي: ولد بالعوينة-دوز في 22 سبتمبر 1916، حفظ القرآن الكريم بمسقط رأسه، والتحق بجامع الزيتونة سنة 1930 ليحرز سنة 1935 على دبلوم العلوم العملية من الخلدونية وعلى الشهادة الأهلية ثم على التحصيل سنة 1944. نشط منذ الثلاثينات في عدة جمعيات من بينها جمعية الشباب النفزاوي التي تولى كتابتها العامة في جانفي 1937 وجمعية الرابطة الزيتونية ولجنة الدفاع عن مصالح المدرسيين. كان ناشطا في الحزب الحر الدستوري الجديد إذ حضر مؤتمر نهج التريبونال (1937)، وسجن غداة أحداث أفريل 1938 ثم أطلق سراحه في أواسط أوت من نفس السنة. اشتغل وهو لا يزال طالبا بالكتابة الصحفية ومن بين الصحف التي تعاون معها آنذاك **العمل** و**الهلال** و**النهضة** فيما بين 1944 و1953. درّس سنة 1956 بمعهد ابن شرف قبل أن يشتغل بالمعهد القومي للآثار بين 1957 و1961، ثم التحق بقسم الأدب الشعبي بوزارة الثقافة حتى وفاته في نوفمبر 1981. له ما يزيد عن الثلاثين كتابا، أولها أبو العلاء المعري، آراؤه وعقيدته وقد نشره وهو لا يزال طالبا (1935).

المرزوقي، نصر بن علي بالحاج علي: أصيل بلدة دوز ولد سنة 1915، درس بجامع الزيتونة وبرز في العمل الجمعياتي الشبابي حيث نشط في كل من جمعية الشباب النفزاوي (جانفي 1937) وجمعية الرابطة الأدبية (ماي 1937)، والرابطة الأدبية. كان من الطلبة الذين رفتوا من جامع الزيتونة سنة 1939 وقد أبعد إلى مسقط رأسه. ناضل في صفوف الحزب الحر الدستوري الجديد. وانتخب في مارس 1956 عضوا بالمجلس التأسيسي. عمل معلما ثم مدير مدرسة ابتدائية فرئيس قسم بوزارة التربية.

المزاتي، ميمون بن أحمد (القرن 6هـ/12م) : هو أحد شيوخ الإباضية، ينحدر من قبيلة مزاتة التي ساهمت بدور هام في قيام الدولة الرستمية (160-296هـ/777-909م) حتى قال عبد الوهاب بن رستم :"إنما قام هذا الدين بسيوف نفوسة وأموال مزاتة"؛ وبنفزاوة كانت هذه القبيلة تستوطن فطناسة ودرجين. وقد انحدر منها ميمون بن أحمد المزاتي الذي كان في النصف الثاني من القرن 6هـ/12م مصدّرا بدرجين السفلى الجديدة "فكان حكمه عدلا وقوله فصلا" أي أنه كان يتولى الإفتاء وحل النزاعات، كما كان يقوم بالتدريس بمسجدها وكان سعيد والد أبي العباس الدرجيني ممن تخرج عليه. وقد طال عمره حتى شهد تراجع المذهب فكان "يتمنى أن يلقى من يسأله عن المسألة سؤال مستفيد أو يلقى عارفا أو معترفا" (الشماخي، ج 2، ص 347؛ أبو زكرياء، ص 150).

المساعيد : قرية صغيرة تقع جنوب نفزاوة، كانت إداريا تابعة إلى صف يوسف، وكان سكانها يرتحلون في الربيع مع المرازيق ويتوجهون في المواسم الممطرة إلى السقي والشارب للحراثة وزراعة الحبوب. وكانت بواحتها سنة 1852: 2220 نخلة وتجاوز ذلك الثلاثة آلاف نخلة بعد عشرة سنوات، بما يجعلها من أكبر الواحات في جنوب نفزاوة (أ.و.ت، الشيباني، ص 240 ؛ بيشفال، ص 108).

المنشية : هي إحدى القرى الجبلية إذ كانت تحتل السفح الشمالي لجبل حلوص ويحيط بها سور ذو ثلاثة أبواب هي : باب الظواهرية وباب الشواشين وباب أولاد المري. وهي تفتح جميعها إلى الجنوب أي نحو الجبل حيث تنبع عين البلدة، كما أنها تمكن من مراقبة الطريق التي تمر حذو السفح الآخر من الجبل وتربط بين نفزاوة والجريد عبر الشط. أما من الناحية التاريخية فقد عثر قرب المنشية على أدوات ما قبل

تاريخية تعود إلى بداية العصر الحجري الحديث بما يدل على قدم الحياة البشرية بالمنطقة. وفي العهد الروماني كما في العهود الإسلامية لم ترد أي إشارة إليها بما في ذلك في المصادر الجغرافية العربية رغم وجود هذه البلدة على المسلك الرئيسي الذي مر به بعض الرحالة ومن بينهم التجاني، وذلك يدل على أنها لم تكن موجودة أصلا أو أنها لم تكن ذات شأن يذكر. ورغم أن الرواية الشفوية قد توحي بأن هذه القرية قديمة النشأة حيث أن سكانها الأوائل يسمون الهدايمة الذين قد يكونون من البربر، فإن اسمها العربي قد يؤيد ما جاء في أسطورة تأسيسها الذي ينسب إلى المرابط حامد الصغير، وهو ينتمي إلى الجيل الرابع من الحوامد. وهؤلاء من العرب الذين قدموا إلى نفزاوة في بداية العصر الحديث، وقد حاولوا طيلة ثلاثة أجيال الاستقرار بعدة أماكن من نفزاوة من بينها قبلي والبرغوثية والقصر الأحمر، إلى أن نجح الجيل الرابع بقيادة حامد الصغير في اختيار هذا الموضع الجديد بعد أن عثر فيه على الماء، واستقر به وأنشأ زاويته ومن هنا جاء اسم المنشية، وكان ذلك في القرن السابع عشر، حيث أن حجة اقتسام الورثة بين أبنائه الثلاثة تعود إلى سنة 1064هـ/1654م. وهكذا فإن الماء هو أصل الاستقرار بالمنشية شأنها في ذلك شأن القرى الواحية الأخرى، وهي تتميز أيضا بارتباطها بالزاوية والتصوف، وقد لعب هذان العاملان الدور الحاسم في تطورها بعد ذلك. أما إداريا فقد كانت المنشية على الأقل في القرن التاسع عشر مقرا لمشيخة، وكانت تابعة إلى صف شداد الذي كانت تقوده قبلي، وهي من البلدات التي فكر فيها خليفة قبلي سنة 1857 لكي يلجأ إليها المرافقون للثائر الطرابلسي غومة المحمودي. أما ديمغرافيا فقد كانت تحتل المرتبة الثانية بنفزاوة مباشرة بعد قبلي إذ يقدر عدد سكانها بما يفوق الثلاثمائة نسمة اعتبارا إلى أن دافعي الضرائب بها كانوا في حدود 67 فردا سنة 1861. وهو ما يناسب دورها الاقتصادي بين قرى نفزاوة إذ كانت المنشية طبقا لما ورد في الدفتر الجبائي المؤرخ سنة 1862، تحتل المرتبة الثالثة من حيث عدد النخيل في وطن شداد، وتتصدر هذا الوطن من حيث عدد النخيل من صنف الفطيمي الجيد بأكثر من ألفي نخلة بل كانت بها آنذاك 14 نخلة من صنف الدقلة، وهو ما لفت انتباه الضباط الفرنسيين الذين كتبوا عن المنطقة في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن الموالي ومن بينهم بيشفال الذي وصفها بأنها قرية هامة ولها واحة كبيرة ومياه وافرة وتمور جيدة. أما ديمبروجيو ونانسي فقد اعتبرا أن تمورها

هي الأفضل بنفزاوة. وبالإضافة إلى النخيل كان بواحتها ما يزيد عن مائتي أصل زيتون (بيشفال ص 106؛ برابان، ص 80، مورو، ص 91؛ ديمبروجيو 32 وما بعدها)

المنصورة : تقع هذه البلدة قرب عين الغريق، ويبدو أنها ظهرت في مطلع العهد الحديث حيث لم يذكرها التجاني الذي زار المنطقة في بداية القرن 14م، في حين تحدث بإطناب عن طرة وعن عينها. كانت المنصورة مستقرا للحامية العثمانية وما قد يدل على ذلك اسمها حيث أن صفة "المنصورة" تنعت بها الجيوش العثمانية. أما عن الانتماء الصفي، فقد كانت بلدة المنصورة من صف شداد خلافا لبلدة الجديدة المحاذية لها.

مهرجان الصحراء بدوز: هو من أهم المهرجانات بالجنوب التونسي، انطلق سنة 1910 تحت عنوان "عيد الجمل" وكان خاصا بسباق المهاري. ثم تحول عام 1967 ليصبح مهرجانا دوليا للصحراء. وهو ينتظم في بداية فصل الشتاء من كل سنة ويختص بإحياء العادات والتقاليد الخاصة بالبادية من خلال العديد من اللوحات القارة من بينها عراك الفحول والعرس التقليدي وسباق المهاري وصيد الأرنب بالسلوقي ولعبة المعقاف والألعاب الفروسية، إلى جانب عدد من الأنشطة الثقافية كالأمسيات الشعرية والندوات والحفلات الفنية والعروض المسرحية والسينمائية، وتشارك فيه فرق للفنون الشعبية من تونس وبعض البلدان العربية وغيرها. ويستقطب هذا المهرجان الآلاف من السواح التونسيين والأجانب.

نقة : قرية تقع شمال نفزاوة يحيط بها شط الجريد من الشمال والغرب والجنوب بما يجعلها ذات موضع مشرف رغم أن ارتفاعها بالكاد يتجاوز العشرين مترا فوق سطح البحر. وتعزز موضعها الدفاعي بوجود ربوة الشوشة التابعة لها باتجاه الشرق والتي يقترب ارتفاعها من خمسين مترا. أما من حيث الموقع فهي لا تبعد أكثر من ستة كيلومترات عن الطريق الذي يشق نفزاوة باتجاه الجريد. ولعل من العوامل التي جعلتها تتخذ هذا الموقع إضافة إلى العامل الدفاعي توفر المياه إذ توجد بها عين طبيعية هامة. أما عن تاريخ هذه القرية، فيبدو أن الحياة البشرية قد وجدت بها منذ عهد سحيق، إذ وقع العثور بها على نقيشة لوبية، كما توجد بها الكثير من الحجارة المهندمة التي تعود إلى العهد الروماني. أما في العهود الحديثة فقد استقطبت نقة عناصر بشرية قادمة من جنوب نفزاوة، وأساسا المرازيق والجمنيين، حيث اشتروا

بعض العقارات المحيطة بها، واتخذها أولاد يعقوب قاعدة لهم وامتلكوا واحتها حتى ارتبط اسمها بهم. كانت نقة تصنف ضمن صف يوسف. دخلها الجيش الفرنسي يوم 3 أفريل 1882 وقام بتخريبها. (الخريطة التوبوغرافية، تروسي، ص 42 ؛ المرزوقي، الثورة، ص 20-21).

نويل : تقع هذه البلدة جنوب شط الجريد غير بعيد عن مدينة/قلعة درجين. وقد احتلت موضعا مرتفعا. وقد وجدت بعض الآثار الرومانية بها من أعمدة وحجارة مهندمة وخاصة معاصر زيتون بما يدل على نوعية الفلاحة آنذاك. ويبدو أن نويل كانت من أوائل الأماكن التي أوى إليها بنو سليم، حيث أن دليلهم بومخيبر لم يمدح من قرى نفزاوة سواها. إذ قال : "من أول ما ناش بدني ترابها الشر في أولها والخير في أعقابها". كانت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر تابعة إداريا لوطن يوسف الذي يشرف عليه خليفة تلمين. وكان سكانها من أنصاف الرحل إذ كانوا يرتحلون في الربيع وجزء من الصيف مع العذارى، ثم اتجهت حياتهم نحو تقليص فترة الترحال عما كانت عليه في أواخر القرن التاسع عشر. أما اقتصاديا فقد كانت تعد سنة 1862 أقل من ثلاثة آلاف نخلة (بيشفال 109).

الهيسة : نوع من الرطب، من أوائل ما ينضج من التمر في نفزاوة، يتراوح لونه بين الخضرة والصفرة، ويتميز بنسبة عالية من السكريات، وهو طري، ولا يقع تخزينه، يوجد في أغلب البساتين دون أن يتعدى عدد النخيل منه الواحدة أو الاثنتين في كل بستان، وهو في العادة يقتصر على الاستهلاك العائلي.

يوسف : هو اسم أحد الصفين المتنازعين في نفزاوة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وقد سمي باسم قائد قبيلة الهمامة التي آزرت حسين بن علي في صراعه ضد ابن أخيه علي باشا الذي سمي أنصاره بشداد. وكانت بلدة تلمين عاصمة لصف يوسف وتتبعها يوسف إداريا القرى التالية: الدبابشة وفطناسة وزاوية الحرث وأم الصمعة ونقة والجديدة والكعبي والقطعاية وبني امحمد وبشلي وكلوامن والمساعيد وجمنة والقلعة ونويل وجزء من زاوية العانس وثلثا بشري، وأهم عروش المرازيق وأولاد يعقوب والعذارى والصلاعة.

الخاتمة

تتميز نفزاوة عن غيرها من مناطق الجنوب التونسي بموقعها المنزوي، وهو ما جعلها تشكل عالما بذاته، التقت فيه البداوة والاستقرار، وتجاورت فيه الواحة بمياهها ونخيلها مع الصحراء بكثبانها وحماداتها. وفي هذا التقاطع عاش البشر، وكتبوا التاريخ بأعمالهم أحيانا ودمائهم وأرواحهم أحيانا أخرى.

وبالفعل فقد كان لنفزاوة طوال تاريخها إضافات متميزة في محيطها القريب والبعيد، ويكفيها في هذا الإطار أنها أنجبت فاتح الأندلس، ومالك الصغير، وأول قضاة الجماعة بقرطبة... ومن الطريف أن أبناءها هؤلاء وغيرهم برزوا خارجها حتى أن نسبتهم إليها أصبحت لدى البعض موضع شك ونقاش. وقد حاولنا في هذا الكتاب أن نعيد الأمور إلى نصابها، وأن نتجه مباشرة إلى استقراء الأحداث جميعها، بكل ما يمكن من تجرد وموضوعية. كما حاولنا أن نقوم بعملية ترميم لتاريخ المنطقة بعد أن قمنا بحفريات مضنية في عدة مصادر ومراجع لم تسعفنا في أحيان كثيرة إلا ببعض الجمل الجافة أو الفقرات المتكتمة. ونعترف بأن ما وصلنا إليه لا يتجاوز أحيانا ما يصل إليه علماء الآثار عندما يزيلون الأتربة والرواسب عن رسوم مدينة قديمة، ومن المؤسف حقا أن الأمل في إعادة تلك المدينة إلى ما كانت عليه صعب التحقيق بالنسبة إلى العهود السابقة للتاريخ الحديث، وهو ممكن بالنسبة للقرون الأربعة الماضية ولكنه يتطلب مجهودات مركزة وأبحاثا مكثفة بدور الأرشيف وخاصة منها الأرشيف الإداري للمنطقة ودفاتر العدول إضافة إلى الوثائق التي يمتلكها الخواص. وقد سعينا من جهتنا منذ صدور الطبعة الأولى من هذا الكتاب إلى تعميق البحث حول مواضيع تخص هذه الفترة المتأخرة وأمكن لنا أن ننتج عدة مقالات صدرت أربعة منها ضمن كتابنا المجتمعات المائية.

من جهة أخرى لم تكتشف بالمنطقة إلى حد الآن آثار هامة، إذ باستثناء بعض المواقع كقصر ترسين وقصر غيلان لم توجد غير بعض الحجارة المتفرقة هنا وهناك والتي اهتم بها الباحثون الأوربيون باعتبارها قد تعود إلى العهد الروماني، ومع ذلك

نعتقد أن نفزاوة تحوي ثروة أثرية هامة ولكن تغطيها كثبان الرمال، ويكفي أن ننظر إلى العشرات من جزر النخيل التي كان بعضها مسكونا، ألا تحوي مرتفعاتها بعض الآثار؟ ثم أن البعض هنا وهناك يعثر من حين لآخر عن نقود قديمة أو جرار وربما عن أدوات ما قبل تاريخية، ويتحدث البعض الآخر عن أنفاق بهذه القرية أو تلك. مما يستوجب قيام مؤسسة تتولى القيام بمسح أثري للمنطقة وصيانة المواقع الأثرية وربما تأسيس متحف جهوي للغرض.

إن الحاجة إلى ذلك تتأكد في هذه المنطقة التي كشفت عن أقدم آثار تدل على وجود بشري بالبلاد التونسية، وقد وجدت تحديدا بموضع عين برمبة على بعد بضعة كيلومترات من مدينة قبلي الحالية. ثم أن آثارا ما قبل تاريخية أخرى وجدت بأماكن متفرقة بالمنطقة. كما ترك الرومان آثارا هامة بعدة مواقع حيث كانت المنطقة على التخوم الجنوبية لدولتهم، ثم أن الفترة العربية الإسلامية في حاجة إلى الكشف عما تركته من آثار قد تكون هامة خاصة حول أهم المدن التاريخية بالمنطقة مثل بشري وطرة ودرجين([1]).

إن الموقع المحمي والمنزوي لنفزاوة جعلها في عدة فترات من تاريخها على هامش النفوذ المركزي ويكفي أن نذكر علاقة المد والجزر التي ربطتها بالقيروان، عاصمة إفريقية في القرون الإسلامية الأولى، فقد كانت المنطقة آنذاك همزة وصل بين تاهرت عاصمة الدولة الرستمية غربا وجبل نفوسة بالبلاد الليبية. ولم تنس المنطقة هذا الماضي في فترات لاحقة، من ذلك أنها ارتبطت في بداية العهد العثماني بإيالة طرابلس قبل أن تتحول إلى إيالة تونس. ويبدو أن تعاطفها مع الطرابلسيين أثناء الاحتلال الإيطالي في بداية القرن العشرين لم يخرج عن هذا الإطار، في حين أن أحداث الجلاز والترامواي الواقعة بتونس العاصمة، لم تجد بها أي صدى. وربما يعود ذلك بالأساس إلى طموح أهلها الدائم للانتماء إلى إطار أوسع وحنينهم المتوارث إلى الشرق حيث قبلتهم الدائمة.

إضافة إلى ذلك، إن الحياة بنفزاوة قد انبعثت حول المياه فنشأت حول كل عين واحة، استقر حولها السكان وهكذا ظهرت عشرات القرى والمداشر طبقا لعدد المنابع

([1]) كشف تحرك الرمال بدرجين الخالي عن بعض تلك الآثار في أواخر القرن العشرين.

المائية. ولم تبرز بالمنطقة تاريخيا مدن هامة تضاهي ما ظهر مثلا بمنطقة الجريد التي تتشابه مع نفزاوة جغرافيا وطبيعيا واقتصاديا. وقد جعلت بعض تلك القرى من الواحة درعا لها تقيها العواصف الرملية في الربيع وريح الشهيلي صيفا وبرد الشتاء القارس ومن بين تلك القرى قبلي والمنصورة وتلمين، بينما كانت مواضـــع بعــض القـــرى الأخرى جبلية مما جعلها حصينة ومثال ذلك القليعة وأم الصمعة وبوعبــد الله، وفـــي فترة متأخرة نسبيا نشأت قرى أخرى بجنوب المنطقة هي عبارة عن مستقرات فصلية لبعض القبائل ومن بينها دوز والفوار والصنم. غير أن كل هذه القرى تطـــورت فـــي اتجاه واحد حتى تماثلت حاليا في حين اندثرت بعض القرى الأخرى ونزح سكانها نحو مواطن جديدة.

إن نفاد الطبعة الأولى من هذا الكتاب بسرعة كبيرة، يدل على شغف أبناء المنطقة بتاريخها، وربما الأهم من ذلك أنه ساهم في لفت النظر إلى ضرورة الاهتمــام بـــذلك التاريخ، وهذا ما لمسناه من خلال الرسائل الجامعية التي قدمت منذ طبع الكتاب عـــام 2000. كما لا يفوتنا أن نشير من جهة أخرى إلى أن هذا الكتاب هو ثمـــرة مجهـــود واجتهاد فرديين، ويجب التعامل معه على هذا الأساس، وليس باعتباره ملكا مشـــاعا. وإذ راعينا فيه الشروط العلمية المطلوبة، فذلك احتراما منا للقارئ ولمهنة المـــؤرخ، والباحث حتى لو كان مبتدئا عليه أن يلتزم بتلك الشروط، وفي غياب ذلك يفتقد عملـــه الوزن والقيمة المطلوبين.

وبعد نعترف بأن هذا الكتاب فتح لنا أبوابا كانت موصدة، ومهّد لنا سبلا لـــم تكـــن نافذة، وهو من هذه الزاوية قد حقق الغاية وأجزى. ولا غرو فقد كان –رغم الصرامة التي التزمناها لأنفسنا– رسالة عشق صادق إلى تلك الأرض الطيبة نفزاوة بكل ما فيها ومن فيها.



المصادر والمراجع

1- باللغة العربية :

أ- كتب ومخطوطات:

- ابن الأبـار، **إعتـاب الكتـاب**، نسـخة إلكترونيـة متاحـة علـى الموقـع التـالي: http://www.alwaraq.com/

- ابن أبي دينار (أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم)، **المؤنس في أخبار إفريقية وتـونس**، تحقيق وتعليق محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس 1967.

- ابن أبي الضياف (أحمد)، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، تحقيق لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، تونس 1963، ج.4، 271 ص.

- ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ص 1153، نسخة إلكترونية متاحة على الموقع التالي : http://www.alwaraq.com/

- ابن حوقل (أبو القاسم)، **كتاب صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحيـاة، بيـروت 1979، 432 ص.

-ابن خلدون (عبد الرحمان)، **كتاب العبر وديوان المبتدإ والخبر في أيام العرب والعجـم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، مؤسسة جمال للطباعة والنشـر، بيـروت 1979، 7 مجلدات.

- ابن عبد الحكم (أبو القاسم)، **فتوح إفريقية والأنـدلس**، تقـديم ألبيـر قـاتو Albert Gateau، الجزائر 1947.

- ابن عذاري، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيـق ومراجعـة إحسـان عباس، الدار العربية للكتاب، تونس 1983، 4 أجزاء.

- ابن القنفد (أبو العباس أحمد)، **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصـية**، تقـديم وتحقيـق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس 1968، 356 ص.

- أبو زكرياء (يحي بن أبي بكر)، **كتاب السيرة وأخبار الأئمة**، تحقيـق عبـد الـرحمن أيوب، تونس 1985.

- الإدريسي، **كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، معهد الدراسات الشرقية بنابولي، روما، 1970، جزآن.

- باجية (صالح)، **الإباضية بالجريد**، دار بوسلامة، تونس 1976.

- البرادي (أبو القاسم بن إبراهيم)، **كتاب الجواهر المنتقاة في إتمام ما أخل به كتاب الطبقات**، طبعة حجرية، القاهرة 1302 هـ.

- البكري (أبو عبيد)، **المغرب في ذكر إفريقية والمغرب**، وهو جزء من كتاب **المسالك والممالك**، حققه وقدم له بالفرنسية دي سلان De Slane، الجزائر 1911.

- بلحولة (محمد علي)، **قفصة قديما وحديثا**، طبع دار الجويني، تونس 1990.

- بن حمادي، صالح، **أساطير النشأة في الجنوب التونسي**، تونس 2002.

- بن سوف (الهاشمي)، **من ذكريات الشدائد**، مخطوط، 65 ص.

- بن مراد، إبراهيم، **الكلم الأعجمية في عربية نفزاوة**، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 1999.

- التجاني (أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد)، **رحلة التجاني**، تقديم ح.ح. عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، تونس 1981، 502 ص/ تونس 2005.

- الجربي (محمد أبوراس)، **مؤنس الأحبة في أخبار جربة**، حققه ومهد له وعلق عليه محمد المرزوقي، تونس 1960، 205 ص.

- الجعبيري (فرحات)، **نظام العزابة عند الإباضية في جربة**، تونس 1975.

- الجنحاني (الحبيب)، **المغرب الإسلامي : الحياة الاقتصادية والاجتماعية (3-4هـ/9-10م.)**، تونس 1978، 285 ص.

- جوليان (شارل أندري)، **تاريخ إفريقيا الشمالية**، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس 1983، 415 ص.

- حسن (محمد)، **المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس 1999، جزءان.

- حسين (محمد الخضر)، **الدعوة إلى الإصلاح**، جمع وتحقيق علي التونسي، ط.2، المطبعة التعاونية، دمشق 1393-1973، 228 ص.

- الحميري (أبو عبد الله محمد)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، نسخة إلكترونية متاحة على الموقع التالي: http://www.alwaraq.com/

- خوجة (حسين)، **ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان**، تحقيق وتقديم الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس 1975.

- الدرجيني (أبو العباس أحمد)، **كتاب طبقات المشائخ بالمغرب**، حققه إبراهيم طلاي وقدم له عبد الرحمن بلكي، الجزائر 1974، جزءان.

- الدرقاش (الهادي)، **أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، حياته وآثاره**، دار قتيبة، بيروت-دمشق 1989، 528 ص.

- راضي (علي محمد)، **الأندلس... والناصر**، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1967، 118 ص.

- الرقيق (أبو إسحاق إبراهيم؟)، **تاريخ إفريقية والمغرب**، تحقيق وتقديم المنجي الكعبي، تونس 1968.

- الزركشي (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم)، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، المكتبة العتيقة، تونس 1966، 189 ص.

- السراج، **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة، تونس 1970، ج1.

- الشريف (محمد الهادي)، **تاريخ تونس**، دار سراس للنشر، تونس 1980.

- الشماخي (أحمد بن سعيد)، **كتاب السير**، تحقيق ودراسة محمد حسن، شهادة التعمق في البحث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تونس 1979، جزءان (مرقون)، وقد صدر تحت عنوان : **كتاب السير، الجزء الخاص بتراجم علماء المغرب إلى نهاية القرن الخامس هـ/11م**، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس 1995، 466 ص.

- الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ص 1153، نسخة إلكترونية متاحة على الموقع التالي : http://www.alwaraq.com/

- ضيف الله (محمد)، **المجتمعات المائية بتونس : قبلي وزغوان في القرن التاسع عشر**، المطبعة المغاربية للنشر، تونس 2005، 200 ص.

- الطوير (محمد محمد)، **ثورة الشيخ غومـــة المحمودي على العثمانيين، ليبيا 1835-1858**، منشورات دار الفرجاني، طرابلس، ط2، 1995، 688 ص.

- العياشي، أبو سالم، **إتحاف الأخلاء بإجازات المشايخ الأجلاء**، تقديم وتحقيـــق محمـــد الزاهي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999.

- عيسى، لطفي، **أخبار المناقب في المعجزة والكرامة والتـــاريخ**، دار ســـراس للنشـــر، تونس 1993.

- الغَـــزّي (نجم الدين)، **الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشـــرة**، نسخة إلكترونية متاحة على الموقع التالي : http://www.alwaraq.com/

- القلقشندي (أبو العباس أحمد)، **كتاب صبح الأعشى**، القاهرة 1915، ج5.

- لجنة البحوث التربوية بقبلي، **تاريخ نفزاوة**، مخطوط على ملك الشيخ الهاشـــمي بـــن سوف، جوان 1965، 37 ص.

- المالكي (أبو بكر عبد الله)، **رياض النفوس**، القاهرة 1951.

- المحجوبي (علي)، **انتصاب الحماية الفرنسية بتونس**، سراس للنشر، تـــونس 1986، 175 ص.

- محفوظ (محمد)، **تراجم المؤلفين التونسيين**، دار الغرب الإسلامي، بيـــروت 1982، ج1.

- المرزوقي (محمد)، **صراع مع الحماية**، دار الكتب الشرقية، تونس 1973، 454 ص.

- المرزوقي (محمد)، **دماء على الحدود**، الدار العربية للكتاب، تونس 1975، 406 ص.

- المرزوقي (محمد)، **قابس جنة الدنيا**، القاهرة 1962.

- المرزوقي (محمد) والمرزوقي (علي)، **ثورة المرازيق**، دار بوسلامة، تـــونس 1979، 242 ص.

- المصراتي (علي مصطفى)، **غومة فارس الصحراء**، منشـــورات مكتبـــة الفرجـــاني، طرابلس الغرب 1960، 285 ص.

- معمر (علي يحيى)، **الإباضية في موكب التاريخ : الإباضـــية فـــي تـــونس**، بيـــروت 1966، 460 ص.

- مقديش (محمود)، **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، تحقيق علي الزواري ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1988، جزءان.

- مؤنس (حسين)، **شيوخ العصر في الأندلس**، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة 1965، 112 ص.

- ميلود (محمد)، **إبل وعزائل وتعريف بالقبائل بمنطقة نفزاوة -ولاية قبلي**، الشركة العالمية للطباعة، سوسة 2005، 231 ص.

- نجاحي (محمد العزيز)، **مدينة دوز، نموذج التداخل بين البداوة والحضارة في الجنوب التونسي**، دار سحر للنشر، تونس د. ت.

- النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، نسخة إلكترونية متاحة على الموقع التالي : http://www.alwaraq.com/

- الورثيلاني (الحسين بن محمد)، **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1974.

- ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ص 1736 ؛ نسخة إلكترونية متاحة على الموقع التالي: http://www.alwaraq.com/

- اليعقوبي (أحمد بن واضح)، **البلدان**، ط 3، النجف 1957.

ب- مقالات ومحاضرات:

- بن سالم (المهدي)، "الجوانب الخفية في شعر أحمد البرغوثي"، محاضرة مخطوطة في 30 ص قدمت في ملتقى أحمد البرغوثي للشعر الشعبي، قبلي 1988.

- بن سوف (الهاشمي)، "من أعلام المنطقة (الشاعر الشعبي أحمد البرغوثي)"، في، **أضواء**،(مجلة غير منتظمة الصدور كان يشرف عليها نادي الفكر بقبلي) ع 2، 1975، ص 31-45.

- بن سوف (الهاشمي)، "من أعلام المنطقة (الشاعر الشعبي محمد الغراب)"، في، **أضواء**، ع 3، 1976، ص 45.

- بنبلغيث (الشيباني)، "كفاح غومة بن خليفة المحمودي في جنوب تونس" في، **المجلة التاريخية المغاربية**، س 19،ع 67-68، أوت 1992، ص 289-312.

- بنبلغيث (الشيباني)، "النخيل في نفزاوة ودوره الاقتصادي والاجتماعي خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر"، في، **المجلة التاريخية المغاربية**، س 20، ع 71-72، ماي 1993، ص 565-580.

- بنبلغيث (الشيباني)، "أهمية الأوقاف العامة من النخيل في الحياة الدينية والاجتماعية بواحات نفزاوة خلال القرن التاسع عشر"، في، **المجلة التاريخية المغاربية**، س 21، ع 75-76، ماي 1994، ص 287-299.

- بويحي (سالم)، "النضال العمالي والنشاط النقابي في القطاع الفلاحي بواحات الجنوب الغربي (الجريد ونفزاوة) 1947-1959"، في، **المجلة التاريخية المغاربية**، س 21، ع 75-76، ماي 1994، ص 247-285.

- حسن (عبد الحميد)، "ثورة المرازيق، 1943-1944"، في، **البلاد التونسية في فترة ما بعد الحرب (1945-1950)**، أعمال الندوة الدولية الخامسة حول تاريخ الحركة الوطنية المنعقدة بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس في ماي 1989، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، تونس 1991، ص 310-335.

- ضيف الله (محمد)، "في مسألة العلاقة بين الأعيان والاستعمار في الجنوب : القايد سعيد بن نصر نموذجا"، في الندوة الدولية الثانية عشرة حول : **الجنوب التونسي من الاحتلال إلى الاستقلال**، المنعقدة بتونس، 6-8 ماي 2004، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية 2005، ص 419-448.

- ضيف الله (محمد)، "مخزنة الأعيان المحليين: قراءة في سيرة الكاهية أحمد بن بلقاسم"، **روافد**، ع 11، 2006، ص 115-131.

- العزابي (المنوبي)، "نبذة من تاريخ نفزاوة"، في، **أضواء**، ع 4، 1977، ص 23-29.

- العزابي (المنوبي)، "الشيخ أبو إسحاق الجمني"، في، **أضواء**، ع 6، نوفمبر 1988، ص 54-56.

- علية الصغير (عميرة)، "ملامح من نفزاوة في السنوات الأولى من الإحتلال الفرنسي من خلال نوتيسات الإستعلامات العسكرية"، في، **أمل**، س 4، ع 11/10، الدار البيضاء، 1997.

- علية الصغير (عميرة)، "نفزاوة زمن الاستعمار وجدلية الخضوع والمقاومة (1881-1956)"، في الندوة الدولية الثانية عشرة حول : **الجنوب التونسي من الاحتلال إلى الاستقلال**،

المنعقدة بتونس، 6-8 ماي 2004، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية 2005، ص 197-227.

- علية الصغير (عميرة)، "نفزاوة والمقاومة المسلحة في الخمسينات"، ضمن كتابه : **المقاومة الشعبية في تونس في الخمسينات، انتفاضة المدن، الفلاقة، اليوسفية**، مطبعة التسفير الفني صفاقس 2004، ص 137-147.

- قراقب (عبد الرزاق)، "البلاد التونسية في عصور ما قبل التاريخ"، في، **كراسات التاريخ للسنة الأولى ثانوي** (نشرية الأساتذة)، الكراس الأول، وزارة التربية، تونس 1989-1990.

-المرزوقي (محمد)، "على هامش السيرة الهلالية، أبو مخيبر"، في، **الحياة الثقافية**، ع 16-17، تونس جويلية-أكتوبر 1981، ص 7-10.

ج- رسائل جامعية :

- بن طاهر (جمال)، **الملكية بنفزاوة من خلال دفاتر القانون (1852-1862)**، شهادة الكفاءة في البحث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية تونس 1982.

- بن علي (حسن)، **واحة قبلي وعلاقتها بالسلطة المركزية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر**، شهادة الدراسات المعمقة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية تونس 2003-2004.

- بنخالد (بلقاسم)، **بلاد نفزاوة في العصر الوسيط : دراسة تاريخية أثرية**، ماجستير، كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، 2004-2005.

- حسن (بلقاسم)، **الأوضاع العامة بنفزاوة في عهد محمد الصادق باي من 1859 إلى 1882**، شهادة الكفاءة في البحث تحت إشراف الأستاذ علي المحجوبي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس 1992، 156 ص (مرقونة).

-رجب (صولة)، **قبيلة نفزاوة ودورها في تاريخ المغرب الوسيط، من الفتح إلى القرن الخامس الهجري 7-11م**. شهادة الدراسات المعمقة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية تونس 2003-2004.

- الزاهد (إبراهيم)، **العلاقات بين المجتمعات الواحية بين الجنوب الغربي التونسي والجنوب الشرقي الجزائري في القرن التاسع عشر**، ماجستير 2006-2007.

- الزيراوي (محمد)، **نحو إنشاء متحف للتراث الشعبي بواحات نفزاوة**، ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس 2004-2005.

2- بغير العربية :

- L'Africain (J. L.), **Description de l'Afrique**, traduit de l'italien par A. Epaulard, 2T, Paris 1956.

- Arambourg (C.) et Coque (R.), "Le gisement villafranchien de Aïn Brimba (Sud Tunisien) et sa faune", in, **Bulletin de la Société Géologique de France**, 6e série, 1958.

- Augias (L.), "Deux années au Nefzaoua", in, **Revue Tunisienne (R. T.),** 18e année, N° 85, Jan. 1911, pp. 42-53.

- Bachrouch (Taoufik), **Formation sociale barbaresque et pouvoir à Tunis au 17e s.**, Pub. de l'Université de Tunis 1977.

- Baduel (Pierre-Robert), **Société et émigration temporaire au Nefzaoua (Sud Tunisien),** Ed. CNRS, Paris 1980, 121 p.

- Baraban (Léopold), **A travers la Tunisie, études sur les oasis, les dunes, les forêts, la flore et la géologie**, Paris 1887.

- Bédoucha (Geneviève), L'eau l'amie du puissant, une communauté oasienne du Sud tunisien, Editions des Archives contemporaines, Paris 1987.

- Bedoucha-Albergoni (Geneviève), "La mémoire et l'oubli, l'enjeu du nom dans une société oasienne", in, **Annales Eco. Soc. Civilisations**, 35e année, N° 3-4, Mai-Août 1980, pp. 730-747.

- Bouady (C-N), et Mestiri (M.), **Gafsa, Djérid, Nefzaoua : étude d'aménagement touristique**, Tunis 1962.

- Carton (L.), "Nybgenii et Nefzaoua", in , **R.T.**, 1914 (pp. 207-216 et 354-368) et 1915 (pp. 35-47).

- Collectif, **Kébili dans son collier de palmes**, projet de reconstruction d'un village du Sahara tunisien,Instituto Tecnico Commerciale e per Geometri "Luigi Einaudi", Rome s. d., 112p.

- FOURNET (André), "Les gisements à faune villafranchienne de Tunisie", ***Notes du Service Géologique de Tunisie***, 1971, pp. 53-69.

- Goldstein (Daniel), **Libération ou annexion, aux chemins croisés de l'histoire tunisienne 1914-1922**, M.T.E. Tunis 1978, 535 p.

- Gragueb (A.) et Mtimet (A.), **La préhistoire en Tunisie et au Maghreb**, Alif Ed. Tunis 1989, 102 p.

- Guérin (Victor), **Voyage archéologique dans la Régence de Tunis**, 2 T., Paris 1862.

- Idriss (H.R.), **La Berbérie orientale sous les Zirides**, 2 T., Alger 1962.

- Karoui (H.) et Mahjoubi (A.), **Quand le soleil s'est levé à l'ouest, Tunisie 1881, Impérialisme et résistance**, CERES Productions, Tunis 1983, 193 p.

- Lewicki (Tadeusz), "Al-Dardjini", in, **E.I.**, Leyden 1965, T.2, pp. 144-145.

- Lewicki (T.), "Notice sur la chronique Ibadite d'ad-Dargini", in, **Rocznik Orjentalistyczny**, T.11, 1935, pp. 146-172.

- Lewicki (T.), "Sur le nom de Dieu chez les Berbères médiévaux", in, **Folio Orientale**, T.8, 1966-7.

- Lewicki (T.), "Survivances chez les Berbères médiévaux d'ère musulmane de cultes Anciens et de croyances païennes", in, **F.O.**, T.8, 1966-7, pp. 5-40.

- Louis (A.), **Aux Nefzaouas, Le palmier et les Hommes, du semi-nomadisme à la sédentarisation**, Extrait remanié de IBLA, 1968, 43 p.

- Louis (A.), **Villes et villages de Tunisie**, RTT, Programme de langue française, service international (1964-1970).

- De Marmol, **Description générale de l'Afrique**, Trad. de Nicolas Perrot Sieur d'Ablancourt, 3 vol., Paris 1667.

- Martel (André), **les confins saharo-tripolitains de la Tunisie (1881-1911)**, P.U.F., Paris 1965.

- Monchicourt (Ch.), **Relations inédites de Nyssen, Filippi et Calligaris (1788, 1829, 1834)**, Paris 1929.

- Moreau (Pierre), **Des lacs de sel aux chaos de sable, le pays des Nefzaouas**, IBLA, Tunis 1947, 206 p.

- Pignon (J.), **Un document inédit sur la Tunisie au XVIIe** s.. Pub. de l'Université de Tunis 1963, 115 p.

- Philebert (Ch.), **La 6e Brigade en Tunisie**, 2e édition, Henri Charles-Lavauzelle, éditeur militaire, Paris-Limoges 1895, 232 p..

- Résidence générale de France à Tunis, **Historique du Bureau des Affaires Indigènes de Kébili**, Bourg 1931.

- Roudaire (E.), **La mer intérieure africaine et l'ancienne** Baie de **Triton**, Extrait de **la Nouvelle Revue**, 1er Mai 1884, Paris 1884

- Saint-Paul (G.), **Souvenirs de Tunisie et d'Algérie**, Tunis 1909.

- Sarel (J.), **Parcours Mérazig**, Tunis 1948, 207 p.

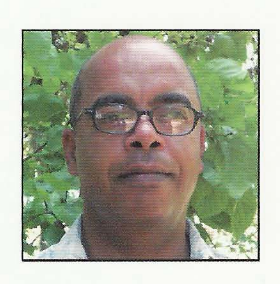
- Sternberg (Benno-Sarel), "Semi-nomades du Nefzaoua", in, **Recherches sur la zone aride, nomades et nomadisme au Sahara**, UNESCO , 1963, pp. 123-133.

- Stieglitz (Robert R.), "Neith, Athena and Tinnit : Cultural Diffusion and the Maghreb in Antiquity", in, **Les Cahiers de Tunisie**, T.39, N° 117-118, 3e et 4e trim. 1981, pp. 465-476.

-Talbi (Mohamed), "Un nouveau fragment de l'histoire de l'Occident Musulman (62-196/682-802), l'épopée d'al-Kahina", in, **Etudes d'histoire Ifriqiyenne et de civilisation musulmane médiévale**, Pub. de l'Université de Tunis 1982, pp. 125-167.

- Trousset (Pol), **Recherches sur les limes tripolitanus : du Chott el-Djérid à la frontière tuniso-libyenne**, Paris 1974.

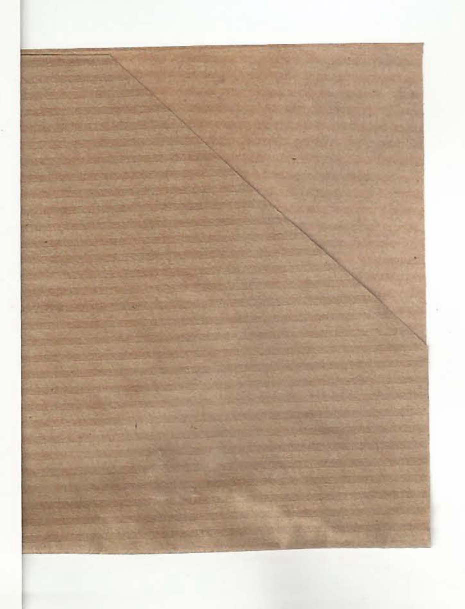
-Violard (Emile), **L'Extrême sud Tunisien**, Tunis 1905.



محمد ضيف الله

مولود في 21 أوت 1960 بالجرسين قبلي، زاول تعليمه الابتدائية بالمدرسة الابتدائية شارع الحبيب بورقيبة بقبلي، والثانوي بمعهد قبلي ثم بقابس، والعالي بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس حيث أحرز على الأستاذية في التاريخ (جوان 1985)، ثم شهادة الكفاءة في البحث (أكتوبر 1988) فدكتوراه المرحلة الثالثة (أفريل 1994) حول موضوع : الحركة الطالبية التونسية 1927-1939.

صدرت له أربعة كتب هي: **الحركة الطالبية التونسية 1927-1939** منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان 1999، 368 ص. **نوافذ على تاريخ نفزاوة**، ط 1، مطبعة بابيريس نابل 2000، 209 ص. **المدرج والكرسي : بحوث حول الطلبة التونسيين بين الخمسينات والسبعينات**، مكتبة علاء الدين صفاقس 2003-200ص. **المجتمعات المائية بتونس : قبلي وزغوان في القرن التاسع عشر**، المغاربية للطباعة والإشهار تونس 2005، 200 ص.



الخبر عن نفزاوة وبطونهم وتصاريف أحوالهم

... وأما بقايا بُطون نفزاوة فلا يُعرَف لهم لهذا العهد حيّ ولا مَوطِن إلا القُرى الظّاهرة المُقدّرة السّير المنسوبة إليهم ببلاد قسطيلية، وبها مُعاهَدون من الفرنجة أوطنوهم على الجزية واعتقاد الذّمة عند عهد الفتح، وأعقابهم لهذا العهد. وقد نزل معهم كثير من بني سليم من الشّريد وزغبة وأوطنوها وتملّكوا بها القِفار والضّياع. وكان أمر هذه القُرى راجعا إلى عامل توزر أيّام استبداد الخلافة، فلمّا تقلّص ظلّ الدولة عنهم وحدثت العُصبة في الأمصار استبدّت كلّ قرية بأمرها، وصار مقدّم توزر يحاول دخولهم في إيالته فمنهم من يُعطيه ذلك، ومنهم من يأباه حتى أظلّتهم دولة مولانا السلطان أبي العباس وأدرجوا كلّهم في طاعته واندرجوا في حبله، والله وليّ الأمور ولا ربّ غيره.

ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 116

الثمن : 13,000 د.ت

ر.د.م.ك : 978-9973-0-468-0